

جبر اللہ علیہ السلام

افزادہ
فیلبسحتی
وکارلبروکلما
علی الشارح الاسلامی



الطبعة الأولى
۱۴۰۳ھ - ۱۹۸۳م

جدة - المملكة العربية السعودية

عبد الكريم علي باز

افتراءات
فيليب حتك
وكارل بروكلمان
على الشارح الاسلامي

الطبعة الأولى
١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
جدة - المملكة العربية السعودية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الناشر

تَهَامَة

جدة - المملكة العربية السعودية
ص.ب ٥٤٥٥ - هاتف ٦٤٤٤٤٤٤

جميع الحقوق لهذه الطبعة محفوظة للناشر



افتراوات
فيليب حتك
وکارل بروکلمان
على الشارح الاسلامي

إِهْدَا

إِهْدَايْ هَذَا إِلَى الَّتِي وَهَبْتَ لِي مَا أُنَار
لِي الطَّرِيقَ فِي حَيَاتِي ..

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ أَكُونَ حَيْثُمَا تَحِبُّ وَتَرْضَى ..

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله باعث النبيين بدين الحق، والصلاة والسلام على من جعل الله رسالته خاتمة لرسالات السماء عامة لجميع خلقه، شاملة لكل أوامره ونواهيه، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .
وبعد

فهذه مقدمة مبسطة لموضوع رسالتي المقدمة لنيل درجة الماجستير والتي أحاول بها أن أبدأ في طرق أول باب من أبواب التحصيل العلمي وأنا في بداية الطريق، وموضوعها هو:

دراسة نقدية لبعض

آراء فيليب حتي وكارل بروكلمان في التاريخ الاسلامي

والذي دعاني لاختيار هذا الموضوع هو انتشار هذه الآراء التي وقف الاستشراق من ورائها في مظهرين، كما قال فضيلة الشيخ الغزالي: أولهما ان الاستشراق كهانة جديدة تلبس مسوح العلم والرهبانية في البحث وهي أبعد ما تكون عن بيئة العلم والتجرد، وجمهرة المستشرقين مستأجرون لإهانة الاسلام وتشويه محاسنه والافتراء عليه .

والآخر هو أن جمعاً غفيراً من المثقفين في بلادنا بؤاً هؤلاء القوم مكانة هم دونها بيتين، ووقعوا في شباكهم ففسدت عقائدهم ومثلهم فلا محيص من اماطة اللثام عن وجوههم وإبرازهم على حقائقهم العارية. (١)

ومن المؤسف، أن بعض هذه التهم والريب قد نسجت بمنوال محكم من لدى صنعة مهرة، قد تخصصوا في ذلك، فأظهروها للعامة وكأنها حقائق ثابتة اقتنع بها البعض، والبعض الآخر — الأحسن ثقافة — وقف في حيرة من أمره مما جعل الشك يتسرب في بعض الأحيان، الى الاسلام وجوهره، حتى بدا يخبو بريقه في نفوس الذين بهرتهم حضارة أوروبا واشتد اعجابهم بأفكار المستشرقين .

فوجدت أنه لزاماً عليّ أن أسعى محاولاً الكشف عن بعض هذه التهم واظهار زيفها والتي حاول المغرضون الصاقها بالاسلام .

وليكون في المكتبة العربية وأمام القاريء وخاصة الشباب المسلم مصدر موثوق به مدعم بالأدلة العقلية والنقلية، يكشف زيف هؤلاء الدساسين و يرد كيدهم في نحورهم بعدما يتضح الحق و يبدو ضياؤه أمام عيون الشباب المسلم، فلم يغتر بما يقرأ من كتبهم أو ينقاد لما يسمع من كلامهم .

(١) الغزالي: محمد — دفاع عن العقيدة والشرعية ضد مزاعم المستشرقين، القاهرة (١٣٩٥هـ).

ولا أحسب نفسي أول من كتب في هذا المجال، بل لقد جعل الله للإسلام أقلاما تسعى لمحو ما التصق به من زيف أمثال العالم أبي بكر بن العربي، والدكتور إبراهيم شعوط، والشيخ محمد الغزالي، والأستاذ أحمد محمد جمال، فسعوا جاهدين — جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء — إلى إظهار الحق وكشف زيف المبطلين، إلا أن كتاباتهم كانت شاملة وعامة، ولم تتركز في الرد على رأى شخص معين.

أما موضوعي فقد تركز في الرد على اثنين من هؤلاء فقط هما: «فيليب حتي» و «كارل بروكلمان» ولكتابين من كتبهما (تاريخ الشعوب الإسلامية — لبروكلمان) و (تاريخ العرب المطول — لفيليب حتي)..

وكان موضوع بحثي هو دراسة نقدية لبعض الآراء الموجودة في هذين الكتابين، وللفترة الممتدة من بداية البعثة الحمديدية حتى نهاية العصر العباسي الأول، وكان اختياري للتصدي هذين الكتابين، لما لهما من شهرة ذائعة الصيت في الأوساط العربية والإسلامية، لأن كتابيهما من أكثر كتب التاريخ الحديث انتشارا وشيوعا بين الشباب المسلم، ووجودا في المكتبات، وتدريسا في معظم الجامعات والمعاهد.. فأحببت أن ألقت نظر المسلمين إلى خطورة هذين الكتابين وخبث نية صاحبيهما.

ولقد تصديت في منهج رسالتي لنقد هذه الآراء والرد عليها بأن أذكر الرأى ثم أبدأ الرد عليه بالأدلة المختلفة، منها العقلية ومنها النقلية، وقد اعتمدت في تفنيد هذه الآراء على الكتاب والسنة ثم استعنت بالأدلة النقلية والعقلية، والتي نقلتها لاستدل بها من بعض كتب المستشرقين الذين سجلوا في كتبهم اعترافاتهم بعقرية الإسلام، ورجاله، كدين شامل مكتمل، اهتم بكل أمور الدين والدنيا، وبمكارم الأخلاق، وحث على اتباعه والتخلق بأخلاقه والأخذ بالعلوم في شتى مجالاتها، حتى أضحت لمعتنقيه حضارة زاهية جمعت بين الروح والمادة، فامتازت عن الحضارات الأخرى بالشمول والبقاء، وأعطى المرأة حقها من الحرية والانصاف، وأنصف الرقيق والأسير وضرب على يد الظالم والمفسد.

ولقد كان اختياري للأدلة من كتب هؤلاء المستشرقين المنصفين أمثال: توماس أرنولد، وجوستان لوبون، لأرد كيد المفترين منهم وأبين لهم زيفهم وافتراءهم، وحتى تصبح هذه الشهادة منهم على أنفسهم بكذب ادعائهم، فيتضح بعد ذلك للمرتاب والمفتون بثقافة الغرب كذب هذه الادعاءات، فشهادة الخصوم بعضهم على بعض من أقوى الأدلة على ثبوت الحقائق التي تعرض لها الخصوم.

لذلك رأيت أنه لزام على أن أقدم للقارئ شهادات المنصفين من غير المسلمين، على أن كل الادعاءات التي ذكرها كارل بروكلمان وفيليب حتي لا تتصل بأي سبب من أسباب الحقيقة ولا تقوم على أى نهج علمي.

ولقد كان تقسيمي للموضوع كما يلي :

أولاً: — المقدمة.

— التمهيد، وهو عبارة عن لمحة مبسطة عن حركة الاستشراق .

ثانياً: القسم الأول: ويشتمل الرد على بعض الآراء والشبه الموجودة في كتاب فيليب حتي

— «تاريخ العرب المطول»، وهذا القسم مقسم الى ثلاثة فصول:

أ) صورة من الآراء في عصر النبوة.

ب) صورة من الآراء في عصر الراشدين.

ج) صورة من الآراء في عصر بني أمية وبني العباس .

ثالثاً: القسم الثاني: ويشتمل على الشبه والآراء في كتاب «تاريخ الشعوب الإسلامية»

لكارل بروكلمان، وهو مقسم الى ثلاثة فصول أيضاً:

أ) مختارات من الآراء في عصر النبوة.

ب) صورة من الآراء في عصر الراشدين .

ج) نماذج من الآراء في عصرى الأمويين والعباسيين .

رابعاً: القسم الثالث: وهو مقسم الى ثلاثة أجزاء أيضاً:

أ) مقارنة بين طريقة كل من المؤلفين في تصوير هذه الشبه والآراء .

ب) واجب رجال التاريخ ازاء هذه الآراء .

ج) بعض الكتب التي تأثرت بآراء (حتي) و (بروكلمان).

خامساً: عقدت فصلاً آخر ذكرت فيه تعريفاً مبسطاً لبعض أهم المراجع التي أفادتني في بحثي .

سادساً: الخاتمة وهي عبارة عن كلمة مبسطة عن النتائج التي توصلت اليها .

سابعاً: الفهرس، فقاائمة المراجع والمصادر التي اعتمدت عليها في بحثي .



« تمهيد »

المشرقون

متى بدأت حركة الاستشراق ؟

بدأت حركة الاستشراق منذ العصور الإسلامية الأولى حينما وصل الإسلام إلى الأندلس، وأخذ نوره يضيء ظلام القلوب والعقول، من هذه البقعة التي كانت غارقة في الجهل والظلمة والتخلف، فلما تفتحت عيون أهل هذه البلاد على هذا الدين وعلى المثل الكريمة التي تمثل دين الإسلام على حقيقته وظهر شموخ الإسلام فيما يدعوا إليه في مجال العلم والعقيدة، واكتسح كل ما سبقه من حضارات وراعى الغرب أن يكون في منأى عن تلك الصورة المشرقة، فأخذ يستقى من مناهلها، وأصبح العرب حملة مشاعل الحضارة من الشرق إلى الغرب، وصاروا أساتذة للأوروبيين.

وصارت الجامعات الإسلامية في إسبانيا تضم الكثير من الطلبة الأوروبيين في أحضان أروقتها ليدرسوا كل ألوان العلم، ووجد الأوروبيون في حضارة العرب ما يناسب احتياجاتهم ويسد الفراغ الموجود لديهم، حيث كان لها من المرونة والواقعية ما يجعلها تتناسب ورغبات الشعوب على اختلاف أجناسها وثقافاتهما.

ولم يكتف الأوروبيون بتلقي علومهم ف الجامعات الإسلامية فقد أسسوا عدة جامعات ومعاهد وكراسي لدراسة الحضارة الشرقية في بلادهم.

وأصبح المسيحيون في أوروبا يستقون من حضارة المسلمين شتى أنواع العلوم والمعارف والفنون، ودفعهم ذلك إلى تعلم لغة العرب ليقتبسوا من حضارتهم وعلومهم التي ظهرت في الشرق الإسلامي فصاروا يحاولون أن يصبغوا ثقافتهم بالصبغة الشرقية الإسلامية، ومن هنا عرفوا بالمستشرقين.

ونصل من وراء هذا كله إلى أن الاستشراق قد بدأ أول ما بدأ بدراسة العلوم الإسلامية، مأخوذاً بالنتائج العلمية التي حققها المسلمون، ولكنه كان استشراقاً عفويّاً لا يضمّر أى قصد سوى الاستفادة من حضارة الشرق باعتبارها نموذجاً جديداً للحضارات.

واهتمت الدول الأوروبية بارسال بعثات علمية إلى بلاد الأندلس لدراسة العلوم والفنون والصناعات، نتيجة ذبوع شهرة الأندلس وحضارتها الإسلامية الزاهرة، كما بعث الملك فيليب النافارى إلى الأمير الأموى بالأندلس (هشام الأول — ١٧٢/١٨٠ هـ) (١) يسأله السماح له بإيفاد

(١) هشام الأول خلف أباه عبد الرحمن الأول، أمه أم ولد تسمى حلل كان أبوه قد عهد إليه بالامارة من بعده وولاه مارد، وأعده للحكم، وكان يأنس فيه الخزم ويثق به.. وقد شبهه المؤرخون بعمربن عبد العزيز في عدله واهتمامه بشؤون المسلمين، قرب الفقهاء إليه حتى أصبح لهم نفوذ كبير في الدولة، وكان يبعث الثقات إلى الكوريسألون الناس عن سير الولاة، وكان هشام تقيماً صالحاً صرف عهده فيما يعود على بلاده بالخير والرفاهية وهو من أهل الخير والصلاح كثير الغزو والجهاد لرفع راية الإسلام في الأندلس.

(أنظر حسن إبراهيم حسن — تاريخ الإسلام السياسي ج ٢ ص ٢٣٣—٢٣٤) .

هيئة لاستطلاع حالة بلاد الأندلس، ودراسة نظمها وشرائعها والثقافات المختلفة فيها، ليتمكن من نقل هذه الصور إلى بلاده. (١)

ثم تلت هذه المرحلة مرحلة أخرى، هي مرحلة الاستشراق من أجل هدف معين، وفي هذه المرحلة اتخذ أقباهم على الاستفادة من الحضارة الشرقية الإسلامية شكلاً علمياً منظماً، قائماً على أسس علمية ثابتة واضحة، ثم تطور إلى نوع من التقنين (التنظيم) في الدراسات، فأطلق عليها الدراسات الشرقية، وأسست لذلك مدارس خاصة من قبل الحكومات الأوروبية وذلك لتحقيق أهدافها الاستعمارية.

ومن الملاحظ أن الاستشراق بدأ بعد مؤتمر فيينا الذي دعت إليه البابوية سنة ١٣١١م وذلك بعد أن طرد المسلمون الصليبيين من بلاد الشام نهائياً بعد سقوط عكا آخر معاقلهم في سنة ١٢٩٠م.

دوافع الاستشراق

أولاً - دافع ديني:

إننا لا نحتاج إلى كبير عناء في البحث للتعرف على الدافع الديني للاستشراق عند الغربيين، فقد بدأ أول ما بدأ الاستشراق المنظم من الفاتيكان، ورواد الاستشراق هم رجال الكنيسة وعلماء اللاهوت، وظلوا هم المشرفين على هذه الحركة والمسيرين لها للدفاع عن الكنيسة ولمواجهة الضغوط الشديدة المتزايدة من المفكرين المتمردين على سلطانها، فحين فتحت الحضارة الإسلامية متنفساً لهم ومهدت لهم الفرصة للتفكير والتخلص من قيود الكنيسة وإظهار إعجابهم بالاسلام، كان هم الكنيسة أن تطعن في الاسلام وتشوه محاسنه، وتحرف حقائقه لتثبت لجماهيرها التي تخضع لسلطانها أن الاسلام هو الخصم الوحيد للمسيحية، وهو دين لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم همج لصوص، وسفاكو دماء، يحثم دينهم على الملذات الجسدية. (٢)

ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم بعد أن رأوا أن الحضارة الإسلامية قد زعزعت أسس العقيدة الدينية عند المسيحيين، وأخذت تشككهم في تعاليمهم التي كانوا يتلقونها من رجال الدين عندهم، فلم يجدوا غير تشديد الهجوم على الاسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة. (٣)

(١) مصطفى: عاطف - المستشرقون في الاسلام - العدد الثاني من السنة الثانية ص ٢٠٣. مجلة الدارة مقال (المستشرقون في الاسلام).

(٢) القاري: عبد العزيز - مجلة محاضرات الجامعة الإسلامية/محاضرات موسم ١٣٩٤/٩٣ هـ ص ٩٧٦ (المستشرقون في الميزان).

(٣) د. السباعي: المستشرقون والاستشراق - ص ١٧ الكويت ١٣٨٧ هـ.

ثانياً - دافع استعماري

لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين - وهي حروب دينية محضة في ظاهرها وحقيقتها - لم ييأس الغربيون من العودة الى محاولة احتلال بلاد العرب والمسلمين، فأتجهوا الى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات وحضارة ولهجات شعوبها، ثم ازداد نشاطهم في البحث عن أجداد الأمة العربية، وذلك ليتعرفوا على مواطن القوة فيضعفوها والى مواطن الضعف فيغتلبوها، ولما تم للدول الغربية الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية على بلاد الشرق بدأوا في تنشيط الاستشراق، وإضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين وبث الوهن والارتباك في تفكيرهم، وذلك عن طريق التشكيك في فائدة ما في أيديهم من تراث، وما عندهم من عقيدة وقيم إنسانية، حتى يفقدوا الثقة في أنفسهم ويتركوا مقاليد أمورهم في أيدي هؤلاء المستعمرين، ويتأثروا بما عندهم من أخلاق وعادات وتقاليد، فيتم للمستشرقين ما يريدون من خضوع المسلمين حضارتهم وثقافتهم خضوعاً لا تقوم لهم من بعده قائمة.

ثالثاً - دافع اقتصادي

ومن الدوافع التي كان لها أثرها في تنشيط الاستشراق، رغبة الغربيين في التعامل مع الشرق لترويج بضائعهم، والاستيلاء على موارده الطبيعية الخام بأبخص الأثمان، لفتح أسواق تجارية لصناعاتهم وقتل النشاط الصناعي والتجاري في الشرق، حتى يبقى تحت سيطرتهم متخلفاً فيما يضمن لهم مصدراً رخيصاً للمواد الخام، فسعوا لاجتثاث شعور النقص عند المسلمين، وخلق التخاذل الروحي وحملهم على الرضا والخضوع لتوجيهات الاستعمار الغربي. (١)

تحدثنا عن الدوافع التي دفعت رجال أوربا للبحث في تراث المسلمين، واعتبرنا هذه الدوافع بمثابة المقدمات لتخطيط طويل الأمد، ثم تبين بعد ذلك أن هذه الدوافع والمقدمات كان لها أهداف تقصد إليها تبعاً لخطة مرسومة كما أن لها وسائل استحدثوها لاقتناع الناس بها.

بعض أهداف الاستشراق

وبعد دراسة أهداف الاستشراق وجدنا أن هناك اتجاهين:
الاتجاه الأول - يرمي الى التشكيك في الاسلام من كل جوانبه.
الاتجاه الثاني - البحث العلمي الخالص بنية الاستفادة من الجوانب المشرقة في الاسلام.

(١) أبو راية: محمد - جولة مع المستشرقين - ص ١٨ - القاهرة ١٣٩٦ هـ.

الاتجاه الأول - التشكيك في الاسلام من كل جوانبه

(١) التشكيك في صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم: وفي مصدرها الاهي، فأخذ جمهورهم ينكرون أن يكون محمد نبيا موحى اليه من عند الله جل شأنه، و يتخبطون في تفسير مظاهر الوحي في نزوله على الرسول، فمن المستشرقين من يرجع ذلك الى «نوع من الصرع» كان ينتابه صلى الله عليه وسلم، ومنهم من يعزوه الى مرض نفسي، ومنهم من يرجعه الى تخيلات كانت تملأ ذهنه صلى الله عليه وسلم وقالوا إن القرآن من وضع محمد، قد وضعه حسب ظروف البيئة، وحاجة شعبه، معتمدا على معلوماته السطحية من الكتب السماوية السابقة له، وهكذا كانت بحوثهم حول الوحي والقرآن أو الدعوة والعبادات تعتمد دائما على الاليهام والتشكيك في أمر النبوة. (١)

وهكذا، كأن الله لم يرسل نبيا قبله حتى يصعب عليهم تفسير ظاهرة الوحي.

ولما كانت النبوة في نظرهم لموسى وعيسى باعتبارهم يهودا ونصارى، ووجدوا أنفسهم أمام نبوة محمد صلى الله عليه وسلم التي تعتبر نمطا جديدا، لها خصائصها ومميزاتها من حيث إنها للناس كافة مؤيدة بكتاب مفصل كان انكارهم لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم تعنتا قد ملأ نفوس أكثرهم وبخاصة الرهبان والقساوسة الذين جعلوا من أنفسهم مبشرين ودعاة مثل «رايموند لى» رئيس أسقفية طليطلة وحاكم مدينة كاستل سنة ١١٣٠ - ١١٥٠، و «بيتر» حامل لواء حملة لوم المسيحيين على مهادنة الاسلام، وكان رأى «بيتر» أن تكون البداية على القرآن ولهذا ترجم القرآن لللاتينية (٢)، وأعدوا عدتهم لحرب الاسلام بكافة الأسلحة.

وحين يعجزهم فهم ما ورد في القرآن الكريم من حقائق تاريخية عن الأمم الماضية مما يستحيل صدوره عن نبي (أمى) مثل محمد صلى الله عليه وسلم، يزعمون ما زعمه المشركون الجاهليون في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، من أنه استمد معلوماته عن أناس كانوا يخبرونه بها.

وقد أشار القرآن الى ذلك بقوله تعالى: «ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربي مبين». (٣)

وهكذا يتخبطون في ذلك تخبطا عجيبا، وحين يعجزهم فهم ما جاء في القرآن من حقائق علمية لم تعرف، ولم تكتشف الا في هذا العصر، يرجعون ذلك الى ذكاء النبي صلى الله عليه وسلم فيقعون في تخبط أشد غرابة عن سابقه.

وتبعاً لذلك الانكار، يقولون إن الاسلام ليس ديناً من عند الله وإنما هو دين ملفق من الأديان الأخرى السابقة له.. وليس لهم في ذلك سند يؤيده البحث العلمي، وإنما هي ادعاءات تستند على

(١) مصطفى: عاطف - مجلة الدارة - العدد الثاني والثالث من السنة الثانية ص ٢٠٣ (المستشرقون في الاسلام).

(٢) المرجع السابق

(٣) سورة النحل - آية ١٠٣

بعض نقاط الالتقاء بين الاسلام وبين الديانة اليهودية والنصرانية .. وحتى اذا كان قد أخذ من الأديان الأخرى على زعمهم فهو دين من عند الله .

ونلاحظ أن المستشرقين اليهود أمثال — جولدنسهير، وشاخت — هم أشد حرصا على ادعاء استمداد الاسلام من اليهودية وتأثيرها فيه . (١)

وكان المفروض — في نظرهم — أن الديانات الالهية تتعارض مبادئها الأخلاقية وكأن الذي أوحى بدين هو غير الذي أوحى بدين آخر فتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

(٢) **التشكيك في الحديث النبوي:** ولقد عمدوا أيضا الى التشكيك في الحديث النبوي الذي اعتمد عليه علماؤنا المحققون، و يتذرع هؤلاء المستشرقون بما دخل على الحديث النبوي من وضع ودرس، متجاهلين تلك الجهود التي بذلت من قبل علماء الحديث لتنقية الحديث الصحيح من غيره، مستنديين الى قواعد بالغة الدقة في الثبوت والتحري مما لم يعهد عندهم في ديانتهم ولم يبلغ عشر معشار ما قام به العلماء المسلمون للتأكد من صحة الكتب المقدسة عندهم . وقد رد علماء المسلمين أحاديث كثيرة نسبت الى رسولهم وهذه الأحاديث المردودة لضعف سندها أو متنها، تعتبر أقوى من التراث الديني الرائج بين اليهود والنصارى (٢) والذي حملهم على ركوب متن الشطط في دعواهم هذه، ما رأوه في الحديث النبوي — الذي اعتمدوا علماؤنا — من ثروة فكرية وتشريعية مذهشة وهم لا يعتقدون في نبوة الرسول، فادعوا أن هذا لا يعقل أن يصدر كله من محمد الأمي بل هو عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى، فالعقدة عندهم هي عدم تصديقهم بنبوة الرسول ومن هنا ينبعث تحبطهم (٣) فأثاروا الشبه حول السنة المطهرة، فمن هؤلاء من يقول: ان السنة لم تدون الا في منتصف القرن الثالث الهجري، لذا حصل التزويد والتغيير طائنين لجهلهم أو تجاهلهم على الأصح، ان الإمام البخاري رحمه الله هو أول من دّون السنة وسجل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد توفي سنة ٢٥٦ هجرية.

والصحيح أن أول من ألف في السنة هو الزهري ثم مالك ولم يكن البخاري أول من كتب في السنة، ومنهم من أثار الشبه حول السنة باعتبار أنها تضمنت فضائل عدة من الصحابة ومن وقع الخلاف بينهم كما هو معلوم، فهم لحبثهم يرون أن كل أحاديث الفضائل قد وضعها أنصارها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومما سلكه أعداء الاسلام في سبيل هدم السنة والتشكيك فيها هو اثاره الشبهات حول أكابر رواتها وحملتها ومدونيتها، كما أثاروا الشبهات حول الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه وهو

(١) د. السباعي: ص ٢٣ — الاستشراق والمستشرقون

(٢) الغزالي: دفاع عن العقيدة والشريعة — ص ٦٣

(٣) د. السباعي: الاستشراق والمستشرقون — ص ٢٤

أكثر الصحابة رواية للحديث، كما أثاروا الشبهات حول الامام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري الذي دون السنة في عهد عمر بن عبد العزيز بأمر منه .
ومن أمثال هؤلاء المستشرقين اليهودي جولد سيهر ودجالون. (١)

(٣) التشكيك في قيمة الفقه الاسلامي: ان ذلك الرصيد الهائل من التشريع لم يجمع مثله لجميع الأمم في جميع العصور، لقد أسقط في أيديهم كثيراً حين اطلاعهم على عظمتهم وهم لا يؤمنون بنبوة الرسول فلم يجدوا بداً من الزعم بأن هذا الفقه العظيم مستمد من التشريع الروماني، أى أنه مستمد منهم هم الغربيين، وقد بين علمائنا الباحثون فيها ضعف هذه الدعوى ثم تبين فيما قرره مؤتمر القانون المقارن المنعقد في لاهاي (٢) من أن الفقه الاسلامي فقه مستقل بذاته، وليس مستمداً من أى فقه آخر، مما أفحم المتعنتين منهم وأقنع المنصفين الذين لا يبيغون غير الحق سبيلاً. (٣)

(٤) التشكيك في قدرة اللغة العربية: ولم يقف هجومهم عند هذا الحد وإنما ذهبوا في حملتهم المسعورة الى التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي، ليظل العرب عالة على مصطلحاتهم التي تشعروا بفضلهم وسلطانهم الأدبي على العرب، وتشكيكهم في غنى الأدب العربي، واظهاره مجدياً فقيراً ليتجه العرب الى الأدب الغربي، وذلك هو الاستعمار الفكري الذي يبيغونه مع الاستعمار العسكري الذي يرتكبونه. (٤)

(٥) التشكيك في التراث الحضاري: ثم ذهبوا بعد ذلك الى تشكيك المسلمين في تراثهم الحضاري، ويدعون أن الحضارة الاسلامية منقولة عن الحضارة الهيلينية وهي التي كانت قائمة في تلك الفترة في الشرق والتي تأثرت بالحضارات الشرقية خاصة بعد فتح الاسكندر للشرق ولم يكن العرب والمسلمون الا نقلة لفلسفة تلك الحضارة وآثارها، ولم يكن لهم ابداع فكري ولا ابتكار حضاري، وبذلك يكونون قد تمكنوا من اضعاف ثقة المسلمين بتراثهم.

(٦) اضعاف روح الاخاء الاسلامي بين المسلمين: وذلك عن طريق إحياء القوميات التي كانت من قبل الاسلام واثارة النعرات والخلافات بين شعوبهم.

فسعى الاستشراق جاهداً الى اعادة فكرة الشعوبية الى العالم الاسلامي بقصد اضعاف وحدته، وذلك مثل الدعوة البربرية في شمال افريقيا، والفرعونية في مصر، والفينيقية في ساحل فلسطين ولبنان، والآشورية في العراق.

(١) أنظر الصواف : محمد محمود — المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام صفحة ١١١ — ١١٤ الطبعة الأولى .

(٢) (لاهاي) عاصمة المقاطعة الجنوبية بهولندا، كما تعد العاصمة الحقيقية لها، بها المحكمة الملكية والمجلس التشريعي ومحكمة العدل الدولية التي أوصى باقامتها مؤتمر عام ١٨٩٩م بلاهاي نفسها (الموسوعة العربية الميسرة ص ١٥٤٦) .
(٣) (٤٥٣) د. السباعي — مصطفى — الاستشراق والمستشرقون — ص ٢٥ .

فاستغل الاستشراق ضعف الدولة العثمانية وبدأت تظهر حركة تركيا الفتاة سنة ١٩٠٨م وكانت هذه الحركة هي ثمرة عدة جهود من النشاط الذي قامت به جماعات صغيرة بتأثير الآراء والأفكار الغربية. (١)

وسعوا الى تفتيت العالم الاسلامي من بين يد الدولة العثمانية، وهناك تقرير رفعه (لورنس) — صديق العرب في ذلك الوقت — الى الحكومة البريطانية سنة ١٩١٧م يقول فيه: «علينا أن ندفع العرب لانتزاع حقوقهم من تركيا بالقوة، لأننا بهذا نستطيع أن نقضي على خطر الاسلام بأن نجعله يعلن الحرب على نفسه فنمزقه من الداخل». (٢)

فسعى الغرب الى تقسيم العالم العربي الاسلامي، لمناطق منعزلة تحت حمايته، وذلك في الاتفاقية الانجليزية الفرنسية الروسية سنة ١٩١٦م التي عرفت باتفاقية «سايكس بيكو». (٣)

ونرى من ذلك أن الغرب سعى جاهدا الى تقسيم العالم الاسلامي على أساس القومية، أي الى عالم عربي وغير عربي، مما أدى الى قطع الصلات بين المسلمين، وأصبحت الصلات قائمة على العنصر القومي، مجردة من كل صلة بالاسلام حتى تسهل السيطرة عليها.

وعلى كل حال فقد دأب القائمون على الاستشراق، في عقد المؤتمرات العامة لتنظيم نشاطهم منذ عام ١٨٧٣م، ونشر المقالات في الصحف وتأليف الكتب التي تطفح حقدا وسما على الاسلام ونبيه، وتوهن القيم الاسلامية وتفتت وحدة الشعوب الاسلامية لتحقيق أهدافهم. (٤)

الاتجاه الثاني — أهداف علمية خالصة بنية الاستفادة من الجوانب المشرقة في الاسلام

وهذه لا يقصد منها الا البحث والتمحيص، ودراسة التراث العربي والاسلامي، دراسة تجلو لهم بعض الحقائق الخافية عنهم، وهذا الصنف قليل عدده جدا، وهم مع اخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الأخطاء، والاستنتاجات البعيدة عن الحق، إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية، وإما لجهلهم بالأجواء الاسلامية التاريخية على حقيقتها، فيتصورونها كما يتصورون مجتمعاتهم، ناسين الفروق الطبيعية والنفسية والدينية التي تفرق بين البيئة التاريخية التي يدرسونها وبين البيئة الخاصة التي يعيشونها.

(١) د. أرنست — تركيا الفتاة ص ٣٩ بيروت ١٩٦٠م .

(٢) جمعة: سعد — مجتمع الكراهية ص ٨٨ بيروت دار الكتاب العربي .

(٣) أنطونيوس: جورج — يقظة العرب ص ٥٧٨ بيروت ١٩٦٩ .

(٤) الطهطاوى: محمد عزت اسماعيل: — الاستشراق والتبشير — ص ٤٣ القاهرة ١٣٩٧هـ .

وهذه الفئة هي أسلم الفئات في أهدافها، وأقلها خطراً، إذ سرعان ما يرجعون الى الحق حين يبين لهم، ومنهم من يعيش بقلبه وفكره في قلب البيئة التي يدرسها فيأتي منطبقاً مع الحق والصدق والواقع، ولكنهم يلقون عنقا من أصحاب الأهداف الأخرى، إذ سرعان ما يتهمونهم بالانحراف عن النهج العلمي، والانسحاق وراء العاطفة والرغبة في مجاملة المسلمين والتقرب اليهم، كما فعلوا مع «توماس أرنولد» حين أنصف المسلمين في كتابه «الدعوة الى الاسلام»، وهذا يعتبر من أدق وأوثق مراجع المستشرقين في تاريخ التسامح الديني في الاسلام، يطعن فيه المستشرقون المتعصبون — خاصة المبشرين منهم — بأن مؤلفه كان مندفعاً بعاطفة قوية من الحب والعطف على المسلمين مع أنه لم يذكر فيه حادثة الا أرجعها الى مصدرها. (١)

ومن هؤلاء أيضاً من يؤدي به البحث الخالص لوجه الحق، الى اعتناق الاسلام والدفاع عنه مثل المستشرق الفرنسي «دينيه»، الذي عاش في الجزائر فأعجب بالاسلام وأعلن اسلامه وتسمى باسم «ناصر الدين دينيه»، وكتب كتاباً اسمه «أشعة خاصة بنور الاسلام» بين فيه تحامل قومه على الاسلام ورسوله. (٢)

وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم

وأما الوسائل فهي:

- ١ — تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الاسلام واتجاهاته وعن رسوله صلى الله عليه وسلم وفي معظمها كثير من التحريف المتعمد والقاء التهم بلا سند، أو نقل نصوص بعد بترها لتشويه بعض وقائع التاريخ.
- ٢ — اصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الاسلام وبلادهم وشعوبه لغرض تمكين الاستعمار في هذه البلاد.
- ٣ — الارساليات التبشيرية الى العالم الاسلامي لمزاولة الأعمال الانسانية في الظاهر كالمستشفيات والمدارس والجمعيات الخيرية، والملاجيء ودور الحضانة مثل جمعيات الشبان المسيحية وأشباهاها.
- ٤ — القاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية التي تكشف عن آرائهم في الاسلام.
- ٥ — مقالات في الصحف المحلية عندهم، والصحف التي استطاعوا شراءها في البلاد الاسلامية، وقد أعلن المبشرون عنها (٣).

(١) د. السباعي: مصطفى — الاستشراق والمستشرقون ص ٢٧، الطهطاوي: محمد عزت اسماعيل — التبشير والاستشراق

ص ٤٠، القاري: الشيخ عبد العزيز محاضرات الجامعة الاسلامية لموسم عام ٩٣/٩٤ ص ٢٧٧ (المستشرقون في الميزان) .

(٢) د. السباعي: مصطفى — الاستشراق والمستشرقون ص ٢٧ .

(٣) د. خالدى: مصطفى، فروخ: عمر — التبشير والاستعمار ص ٢١٣ بيروت ٩٠ هـ .

- ٦- عقد المؤتمرات لاحكام خططهم وطرح بحوث عامة في ظاهرها وهي في الحقيقة دعاية ضد الاسلام حتى وقتنا الحاضر. (١)
- ٧- دخول طائفة من المستشرقين في الدين الاسلامي ظاهرا ليبشروا بالمسيحية في ظل الشعار الاسلامي. (٢)

موازن البحث عند المستشرقين

يعتمد معظم المستشرقين في تحرير أبحاثهم عن القضايا الاسلامية على ميزان غريب بالغ الغرابة في ميدان البحث العلمي، فمن المعروف أن العالم المخلص يتجرد من كل هوى وميل شخصي عندما يريد البحث العلمي في أى موضوع فيتابع النصوص والمراجع الموثوق بها، حتى يصل الى الحقيقة العلمية المطلوبة.

ولكن أغلب هؤلاء المستشرقين كانوا على نقيض من ذلك، فهم يضعون في أذهانهم فكرة معينة، و يبدأون في تصيد الأدلة لاثباتها، وحين يبحثون عن هذه الأدلة لا تهمهم صحتها بمقدار ما يهتمهم امكان الاستفادة منها لدعم آرائهم الشخصية، وكثيرا ما يستنبطون الأمر الكلي من حادثة جزئية، أو أنهم يدخلون بشخصياتهم، وآرائهم وأهوائهم الخاصة فيفسرون الحوادث و يناقشون النصوص، ويحللون القضايا والشخصيات الاسلامية (٣) على ضوء وجهة نظرهم، و يطلون من نافذتهم الخاصة فيلقون ظلالا معينة تغير معالم الصورة الأصلية.

ومن هنا يضربون في متاهات أملاها عليهم الهوى والغرض، رغم ما توفر لهم من الامكانيات العلمية بالحصول على المخطوطات الثمينة من تراث الاسلام، التي كان من شأنها أن تهديهم الى الفكرة السليمة عن الاسلام والمسلمين. (٤)

الخدمات التي قدمها الاستشراق للبحث العلمي

ذكرنا فيما سبق أن هناك طائفة من المستشرقين اتجهت الى البحث العلمي الخالص بنية الاستفادة من الجوانب المشرقة للاسلام، ولا يفوتنا هنا أن نقول كلمة حق ننصف بها الذين أنصفوا الاسلام ودافعوا عنه، فقد اهتم كثير من المستشرقين بتاريخنا الحضاري، الذي

(١) د. السباعي: المستشرقون والاستشراق — ص ٢٨.

(٢) د. أ. ج. اربرى — المستشرقون البريطانيون — ص ١٠ لندن ١٩٤٦ م.

(٣) د. السباعي: مصطفى — المستشرقون والاستشراق — ص ٤٥، مصطفى: عاطف مجلة الدارة — العدد الثالث والرابع من سنة ١٣٩٦ هـ ص ٢٠٧، مقال (المستشرقون في الإسلام) .

(٤) القارى: محاضرات الجامعة الاسلامية ص ٢٧٧ مقال (المستشرقون في الميزان) .

يعتبرونه ركنا وأصلا في دراسة أحوال المسلمين من جميع جوانبها، و يرجع إليهم الفضل في إبراز المقومات الكبرى والمعالم الرئيسية للحضارة الاسلامية.

وكذلك أبرز بعضهم أثر الاسلام في حضارات الأمم الأخرى، وكيف تأثرت بحضارته كما أوضحوا بذلك أثر الحضارة الاسلامية في حضارة أوربا، وبذلك ترتب على هذه الدراسة كشف حقيقة الاسلام وحضارته للجميع، وأنه لم يكن مجرد ثقافة روحية ولم تنحصر حضارته في ميدان معين، ولم تكن الحضارة الاسلامية تراث جنس واحد وأمة واحدة، فقد أنشأ الاسلام حضارة واسعة ثمينة فيها الروح والمادة، فيها المعرفة والعمل، فيها الأدب والعلم، حضارة اتسع صدرها لكل نافع من ذخائر الحضارات السابقة لها، واستطاعت بعد ذلك أن تخرجه للعالم مطبوعا بطابعها الانساني.

وقد اعترف المستشرقون المنصفون بذلك، وقد أخرجوا عديدا من البحوث في هذا المجال. (١)

كما ظهر بذلك أثر الفكر الاسلامي لدى بعض الفلاسفة الغربيين مثل (ديكارت) واحتلت دراسة الفلسفة الاسلامية مكانها في الجامعات الأوروبية وانتشر في أوربا كثير من الآثار الاسلامية، وبعض من روائع الأدب الشرقي بين شعوب أوربا.

وكان من نتيجة اهتمام الاستشراق بحضارتنا وتراثنا أن نشر كثير من المخطوطات الشرقية وذلك بعد تحقيقها من قبلهم، والحق أن كثيرا من المراجع التي تعتمد عليها اليوم دراستنا العربية، يرجع الفضل في ظهورها أو تيسير الانتفاع منها الى أولئك المستشرقين. (٢)

فقد اهتموا وكرسوا كل جهودهم لاستيعاب المصادر وجمع المعلومات بشكل واسع وربما ساعدهم على ذلك اهتمامهم بالاختصاص الدقيق بحيث يقضي أحدهم فترة طويلة من عمره في بحث واحد يتفرغ له، وكذلك من ضمن خدماتهم التي قدموها للبحث العلمي التنسيق والترتيب في منهج البحث والتأليف والاحصاء والفهرسة وعنايتهم بذلك عناية كبيرة، وكان ذلك شيئا جديدا على الدارسين المسلمين في الفترة التي ظهرت فيها دراسات المستشرقين إلى عالم القراء، وتنبهت الأوساط العلمية والدارسون في العالم الاسلامي إلى هذا المنهج المنسق الذي ظهر في دراسات المستشرقين فاستفادوا منه في بحوثهم ودراساتهم (٣).

(١) مجلة الدارة — العدد الثاني والثالث من السنة الثانية — ص ٢٠٧ (المستشرقون في الاسلام) •

(٢) د. هاشم: زكريا — المستشرقون والاسلام ص ١٦٨ — القاهرة ١٣٨٥هـ.

(٣) القارى: — محاضرات الجامعة الاسلامية — الموسم الثقافي ٩٤/٩٣ مقال (المستشرقون في الميزان) •

مدارس الاستشراق

لقد اهتم الغرب بانشاء مدارس خاصة لتخريج جماعات منهم يجيدون اللغات الشرقية ، ويدرسون شتى علوم الشرق، ومهيأون لتحمل المسؤوليات التي ستلقى على عاتقهم تجاه الشرق وأهله، وليكونوا عملاء للاستعمار في بلاد الاسلام، الاستعمار بشتى أساليبه، وليكونوا أداة تقوض صرح البناء الاسلامي من جميع جوانبه الدينية والثقافية والاجتماعية، وذلك باتصالهم بالمسلمين فيوهمونهم بأنهم على معرفة تامة بأحوال الشرق وعلومه وعقائده ولغاته، وهذا ما دأب عليه الاستشراق لتوهين قوي المسلمين وايهامهم في كل مناسبة بأنهم ضعفاء ومتخاذلون في شتى الميادين .

وسأذكر بعض هذه المدارس على سبيل المثال لا الحصر:

أولا — مدارس في داخل العالم الاسلامي:

- ١ — الجامعة الأمريكية في استانبول
- ٢ — الجامعة الأمريكية في بيروت
- ٣ — الجامعة الأمريكية في القاهرة
- ٤ — معهد جوته الألماني في القاهرة
- ٥ — الكلية الفرنسية في لاهور

ثانيا — مدارس للاستشراق في العالم الغربي:

- ١ — لقد أسس البابا سلفستر الثاني مدرستين عربيتين لتدريس اللغة العربية والحضارة الشرقية، وكانت الأولى في روما — في مقر بابويته — والثانية في راميس وطنه، ثم أضاف بعد ذلك مدرسة ثالثة وهي مدرسة شارتر. (١)
- ٢ — ولما صار الاستشراق مغذيا لروح التبشير بدأ بانشاء عدة مدارس لهذا الغرض منذ القرنين الخامس عشر والسادس عشر، ثم أنشئت مدرسة الجمعية المقدسة لنشر الايمان وأنشأها غريغوريوس الخامس عشر سنة ١٦٢٢. (٢)
- ٣ — كما أنشأ مدارس خاصة للأغراض السياسية مثل:
(١) المدرسة العربية ومعهد «بريل» في مدينة ليون بهولندا.
(٢) مدرسة اكسفورد في انجلترا.
(٣) مدرسة القناصل الامبراطورية الملكية في النمسا، مهمتها تعليم السلك الدبلوماسي اللغة العربية.

(١) المليباري: مجلة المؤتمر الأول للأدباء السعوديين ص ١٨٩٦ مقال (المستشرقون والدراسات الاسلامية) .

(٢) المرجع السابق ص ١٩٠١ .

(٤) وفي باريس أنشئت مدرسة على هذا الغرار باسم المدرسة الخصوصية للغات الشرقية الحية سنة ١٧٩٥م. (١)

(٥) وأنشأت بريطانيا معهد الدراسات الشرقية في لندن سنة ١٩١٧م، وكان نتيجة ارتفاع الصيحات المطالبة بتأسيس معهد شرقي في بريطانيا، تكون مهمته اعداد وتخرج رجال ونساء يستطيعون أن يخدموا وطنهم في الشرق، اما في السلك السياسي أو التجاري أو في دوائر الحكومة وراء البحار أو في ميادين الثقافة.

وقد تشجعت الحكومة البريطانية نتيجة ضغط الحروب الأولى عندما وجدت نفسها في حاجة الى الذين يهتمون باللغات الشرقية، وذلك بالرغم من مصالح بريطانيا الكثيرة المتزايدة الممتدة من المحيط الأطلسي الى بحر الصين، فعهدت الحكومة البريطانية الى اللورد (برى) بانشاء معهد على هذا الغرار. (٢)

وهناك بعض الكراسي خاصة للدراسات الشرقية في داخل أروقة الجامعات الأوروبية مثل:

- ١ — كرسي للدراسات الشرقية، بجامعة سانت اندريز (٣) سنة ١٩٦٨م.
- ٢ — كرسي للدراسات الاسلامية بجامعة كمبردج وبها كرسي آخر تأسس عام ١٩٣٢، تعهّد توماس آدافر رئيس بلدية لندن بتمويله.
- ٣ — مركز الشرق الأوسط للدراسات العربية في لندن أسس عام ١٩٦٠م. (٤)



(١) المصدر السابق ص ١٩٠٢.

(٢) القارى: محاضرات الجامعة الاسلامية الموسم الثقافي ٩٣/٩٤ ص ٢٨٥ مقال (المستشرقون في الميزان).

(٣) (سانت اندريز جامعة في مدينة لا باس في بوليفيا أسست عام ١٨٣٠. — الموسوعة العربية الميسرة ص ٩٤٩.

(٤) محاضرات الجامعة الاسلامية — ص ٢٨٥.

التعريف بفيليب حتي وكارل بروكلمان

وما دمنا في مجال الحديث عن المستشرقين، رأيت لزما عليّ أن أورد ترجمة مبسطة ومختصرة عن كل من المؤلفين اللذين هما مجال بحثي «فيليب حتي» و «كارل بروكلمان».. وأقول مختصرة لعدم وجود المراجع الكافية لترجمة هاتين الشخصيتين، وذلك لكونهما معاصرين لم يكتب شيء عن حياتهما باستفاضة كاملة.

أولا – فيليب حتي

هو الدكتور فيليب حتي، المولود في عام ١٨٨٦م لبناني الأصل، أمريكي الجنسية، تخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩٠٨م ونال الدكتوراه من جامعة كولومبيا عام ١٩١٥م. (١)

من هاتين المؤسستين التعليميتين يتضح لنا اتجاه «حتي» الثقافي، فلونظرنا الى الجامعة الأمريكية وهدف انشائها داخل الوطن العربي، نرى أن الجامعة الأمريكية في أصلها هي الكلية البروتستانتية السورية التي أسست عام ١٨٦٦م بجهود الدكتور دانييل بليس عضو البعثة التبشيرية الأمريكية في سوريا، الذي جمع الأموال من أمريكا وانجلترا، ثم تحولت في سنة ١٩٢٠م الى الجامعة الأمريكية في بيروت. (٢)

فهي مؤسسة تبشيرية مسيحية أسست بجهد مبشر و بتمويل مسيحي من أجل بث الديانة المسيحية بين أرجاء الوطن الاسلامي، ولتثقيف أبنائه وتشكيلهم حسب رغبات التوجيه التبشيري المسيحي.

ثم جامعة كلومبيا وهي جامعة في نيويورك، أسست عام ١٤٥٧م، وهي جامعة مسيحية اهتمت بالدراسات الشرقية لبعث المستشرقين ولنشر الديانة المسيحية بين أرجاء الوطن العربي، وسعت جاهدة لذلك، فخصص معهد تابع لها لهذا الغرض هو معهد أمريكا اللاتينية للدراسات الشرقية. (٣)

من هنا كان فيليب حتي هو عصارة أفكار أساتذة مسيحيين همهم بث أفكارهم بين رعايا الوطن العربي بواسطة أبنائه، فاتخذت من (حتي) مطية لبلوغ أهدافها.

وبعد ذلك عين معيدا في جامعة كولومبيا في القسم الشرقي، ثم أستاذاً لتاريخ العرب في الجامعة الأمريكية ببيروت عام ١٩١٩م، وكلف بتدريس تاريخ العرب لأنه في نظرهم يسهل عليه تشويه حقائق هذا التاريخ المجيد، وذلك بما يتصيد من أخبار وموضوعات ملفقة من قبل الزنادقة

(١) العفيفي: المستشرقون – ج٣ – ص ١٠١٠ – القاهرة ١٩٦٤م.

(٢) الموسوعة العربية الميسرة. ص ٦٠١.

(٣) الموسوعة العربية الميسرة – ص ٦٨٦.

والتي وجدت في كتب الأدب، للقصة والفكاهة، فيعتمد عليها ليشوه بها حقيقة هذا التاريخ .

ثم عين بعد ذلك أستاذاً مساعداً للآداب السامية في جامعة برنستون عام ١٩٢٦م ثم استاذاً عام ١٩٢٩م واستاذ كرسى، ثم رئيساً لقسم اللغات والآداب الشرقية عام ١٩٤٤م. (٢)

مما تقدم، رأينا كيف كانت الجامعات المسيحية تبذل له العطاء من أجل الاغراء والكسب في جانبها حتى تضمنه في تنفيذ رغباتها وبث سمومها حيث ومتى شئت .. ومن آثاره على سبيل المثال لا الحصر:

أصول الدولة الاسلامية (١٩١٦) — سوريا والسوريين (١٩٢٦)
تاريخ العرب (١٩٢٧) — أصول الشعب الدرزي وديانته (١٩٢٩)
تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين (١٩٥١).

ثانياً — كارل بروكلمان

مستشرق ألماني ولد في روستوك عام ١٨٦٨م، تلقى اللغات السامية على اعلام المستشرقين ومنهم تيودور فولدكه (٢) ونبغ فيها، وطارت شهرته بصفة خاصة في فقه العربية وقراءاتها قراءة فصيحة وكتابتها كتابة سليمة .. وأيضاً في التاريخ الاسلامي وتاريخ الأدب العربي حتى عد اماماً من أئمتها، عين أستاذاً لهذه الفنون في جامعات برسلاو (١٨٩٣—١٩٠٣) وكونسبرج (١٩٠٣—١٩٠٩) و (١٩٠٩—١٩٢٠) وبرلين (١٩٢٠—١٩٢١) وعاد الى برسلاو (١٩٢١—١٩٣٧) وعين مديراً فيها (١٩٣٢) ثم انتخب عضواً في مجامع برلين وليبزيغ وبودابست وبون ودمشق وجمعيات آسيوية كثيرة. (٣)

مما سبق يتضح لنا مدى تعمق هذا المستشرق في الدراسات الشرقية ومدى اهتمامه بلغاتها حتى تمكن من سبر غور ثقافته وتكونت له الملكة في القدرة على الطعن والتشويه في حقائق الدين والتاريخ الاسلامي .. وله مؤلفات جمة منها العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير وبين كتاب أخبار الرسل والملوك للطبري — وهذه هي رسالته التي حصل بها على الدكتوراه من جامعة استراسبورج ١٨٩٠ .. تراجع من روى عنهم محمد بن اسحاق .. ثم عرض لتراجم العلماء والأدباء في العصور الاسلامية جمعاء وذيل كل ترجمة بمصادرها، وله كتاب تاريخ الشعوب الاسلامية وكتاب تاريخ الأدب العربي، كما أن له بحوثاً وتحقيقات كثيرة في التراجم العربية ولقد حقق كتاب (تلقيح مفهوم أهل الاثر لابن الجوزي)، وكتاب (الوفا في فضائل المصطفى لابن الجوزي) وكذلك في اللغات والأدب، فله باع طويل في التأليف والبحث. (٤)

(١) المرجع السابق ص ١٠١٠

(٢) فولدكه (١٨٣٦—١٩٣٠م) مستشرق ألماني تعلم في جامعة جوتينجن عين أستاذاً للغات الشرقية في جامعات عدة من جامعات ألمانيا، وله دراسات كثيرة خاصة في تاريخ العرب وثقافتهم من أشهرها تاريخ القرآن (٣ أجزاء) ودراسات فقهية وأدبية أخرى (العفيفي: نجيب ص ٧٣٨).

(٣) العفيفي: المستشرقون — ص ٧٧٧ .

(٤) المرجع السابق ص ٧٧٨ — ٧٨٣ .

« لقسم الأول »

بعض آراء فيليب حسيّ في التاريخ الإسلامي والرد عليها

- ١- الفصل الأول : بعض الآراء في عصر النبوة والرد عليها .
- ٢- الفصل الثاني : بعض الآراء في عصر الراشدين والرد عليها .
- ٣- الفصل الثالث : بعض الآراء في عصر بني أمية وبني العباس والرد عليها .

الفصل الأول

بعض آراء "حتي" في عصر النبوة والرّد عليها

١

يطعن (حتي) في العنصر العربي جملة فيذكر:

«وكان هؤلاء هم أنفسهم الذين في وقت من الأوقات حسبوا أنفسهم مترفين بأكلهم العقارب والخنافس وابن عرس (الجرذان) والذين حسبوا الأرز طعاما مسموما واستخدموا المرقق من الخبز رقاعا للكتابة».

إن حتي عند زعمه هذا نراه يعتمد اعتمادا على ما أورده ابن خلدون في مقدمته حين حديثه عن طبيعة أهل الحجاز الاجتماعية^(١)، أما نحن فلا نعرف لابن خلدون حجة أو صحيح برهان لما يقول، وإنما الذي نعرفه عن عرب الحجاز هو ما نستشفه من آيات القرآن الكريم وصفا لحياتهم، وما بلغوه من القدر الحضاري، والحياة المترفة، وقوة الجدل وشدة البأس، مما يدل على تفوقهم ونضوجهم فكريا في شؤون دنياهم^(٢) ومدلول ذلك قوله تعالى: «يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون»^(٣).

وغير ذلك ادعاء كاذب، وتهمة باطلة يدحضها واقع العرب الاجتماعي والعلمي، فالعرب في ماضيهم قوم متحضرون لا كما يصفهم (حتي)، بل كانوا على علم بمعظم أنواع الأطعمة ووسائل الترف والنعيم، كما كانوا يتمتعون بأنواع شتى من ضروب المعرفة في كثير من الميادين وذلك بسبب الاختلاط بالأمم الأخرى، عن طريق التجارة والرحلات الشتوية والصيفية، وعرفوا خيرات تلك الأمم ومارسوها قبل أن يأتي (حتي) بهذه الأوصاف المشينة وقبل أن يذكرها ابن خلدون.

ودليل ذلك هو تصوير القرآن الكريم لما تهيم به نفوسهم من حب للترف حيث قال تعالى: «زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب»^(٤) و«وهو الذي أنشأ

(٥) حتي: فيليب - تاريخ العرب المطول ص ٣٣٥ أنظر النسخة العربية المترجمة ص ٤١٢.

(١) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد - العبر ديوان المبتدأ والخبر - ج ١ ص ١٧٠ بيروت ١٣٩٣ هـ.

(٢) د. شعوط: إبراهيم على - أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، القاهرة ١٣٩٦ هـ.

(٣) سورة الروم آية ٧.

(٤) سورة آل عمران - آية ١٤.

جنتا معروشات وغير معروشات والنخل والزروع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه
كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين» . (١)

ويقول المستشرق الفرنسي جوستاف لوبون: «والعرب هؤلاء قد ظهروا على مسرح التاريخ قبل
الرومان بقرون كثيرة وأنشأوا المدن العظيمة، وكانت علاقاتهم بأرقى الشعوب وثيقة» .

ثم يعود فيقول: «ولم يكن التاريخ صامتا ازاء ثقافة العرب القديمة صمته ازاء الحضارات
الأخرى التي رفع العلم الحديث عنها التراب ولو كان التاريخ صامتا ازاء حضارة العرب لقطعنا —
مع ذلك — بوجودها قبل ظهور محمد بزمن طويل .. و يكفي لتسميتها أن نذكر أنه كان للعرب
قبل ظهور محمد آداب ناضجة ولغة راقية، وأنهم كانوا ذوى صلات تجارية بأرقى الأمم في العالم
منذ القدم فاستطاعوا في أقل من مائة سنة أن يقيموا حضارة من أندر الحضارات التي عرفها
التاريخ» . (٢)

فقد كان على (حتي) أن يرجع الى ما ذكره «لوبون» وهو من ملته حتى يعرف العرب على
حقيقتهم ولا يقف عند ما ذكره ابن خلدون وهو في هذه الحالة يشارك ابن خلدون في هذه الفرية
و يتحمل معه المسؤولية .

وعن الآخرة حدثهم القرآن الكريم عن الجنة وعن الخيرات والنعيم وحدثهم عن أوصاف
الجنة وترفها ونفائسها وكؤوسها وحريرها وديباجها ولؤلؤها، وجوهرها، وغير ذلك من مظاهر الترف
والنعيم، ولو لم يعرف العربي ذلك لما وصفه له القرآن كما أننا نرى أن القرآن قد بين أنواع
الأطعمة في الدنيا، وبين حلالها وحرامها، وذلك دليل على معرفة العربي بشتى أنواع الأطعمة .

و يدلل الدكتور ابراهيم شعوط على ذلك فيقول:

ولعل كثيرا منهم كان يعيش عيشة الترف والنعيم هذه التي كشف القرآن عنها، والا لما
تذوقوا للقرآن طعما ولا بهرتهم آياته حتى حنوا رؤوسهم أمام اعجازه . ونحن نعلم أن الترغيب
والترهيب لا يؤتى ثماره ولا يحدث أثره الا اذا كان بما هو معروف لدى المخاطبين من وسائل اللذة
والألم، التي عاشوها وأصبحت جزءا من حياتهم . (٣)

وعلى كل حال فقد كانت العقلية العربية قبل الاسلام أسمى وأرفع من أن تتدنى الى تلك
المراتب التي يصفها (فيليب حتي) فقد كانت العقلية العربية عقلية فذة نادرة قد اختارها الله لأن
تكون في قوم يخرج منهم أفضل خلقه وأكرمهم، فالله سبحانه وتعالى قد هيأ العرب لأن يكونوا سادة
العالم بعقليتهم وبخلقهم الكريم القويم فيكونوا أمة وسطا بين الناس: «وكذلك جعلناكم أمة
وسطا لتكونوا شهداء على الناس» . (٤)

(١) الأنعام: آية ١٤١

(٢) لوبون: جوستاف — حضارة العرب — ص ٨٨ القاهرة ١٩٦٩ م.

(٣) د. شعوط: — أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ — ص ٢٥ .

(٤) سورة البقرة — آية ١٤٣ .

فعرب الحجاز أنفسهم كانوا أهل ثراء وأهل أموال فقد ذكر القرآن الكريم ذلك حيث قال: «تبت يدا أبي لهب وتب، ما أغنى عنه ماله وما كسب»^(١) وقال: «ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده»^(٢) وقال: «خذ من أموالهم صدقة»^(٣).

وهذا عثمان بن عفان وثراؤه المعروف، فهذا دليل على ثراء القوم ومن غير المعقول أن تكون عندهم هذه الثروة من المال إلا بالتجارة أو الصناعة وهما من أهم مميزات ودعائم الحضارة في العالم.

ومن أين أتت لهم هذه الأموال إن لم يكونوا قد مارسوا إحدى هاتين الدعامتين؟

ويقول الدكتور جواد علي (بالنسبة لعرب الحجاز وثرائهم):

«ووجدت قريش نفسها حرة مستقلة وفي وضع يمكنها من استغلال مواهبها في التجارة فقامت بمهمة الوسيط، تنقل تجارة اليمن إلى أسواق فلسطين وتنقل تجارة بلاد الشام وحوض البحر المتوسط إلى الحجاز ونجد واليمن وبذلك حصلت على أرباح طائلة عظيمة جعلتها من أغنى العرب عند ظهور الإسلام. وصيرت مكة مركزا خطيرا من مراكز الثروة والمال في جزيرة العرب في ذلك الحين»^(٤).

ولولم تكن لديهم أموال كثيرة ومكدسة لما قال تعالى: «خذ من أموالهم صدقة»^(٥). وكما قال تعالى: «والذين يكتزون الذهب والفضة»^(٦). كل ذلك دليل على ثراء القوم وتحضرهم.

فلو كانت الأمة العربية أمة متأخرة كما يصفها (حتي) وغيره من المغرضين، لما اختارها الله ليكون منها سيد الرسل صلى الله عليه وسلم، وليس من المعقول أنها كانت أمة همجية ثم قفزت تلك القفزة التي وصلت بها إلى قمة المجد بمجرد ظهور الإسلام!

فهل يختار الله عز وجل من أمة منحطة متخلفة عقليا واجتماعيا وماديا أشرف الأنبياء؟!

فلو كان عرب الحجاز أمة جاهلة بشؤون دنياهم لما قال الله سبحانه وتعالى «يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون»^(٧)

وذكر ذلك لوبون فقال: «فإن أمكن ظهور حضارة أمة ولغتها بغتة على مسرح التاريخ لا يكون هذا إلا نتيجة نضج بطيء ولا يتم تطور الأشخاص والأمم والنظم والمعتقدات إلا بالتدرج»^(٨).

(١) سورة الذهب — آية ٢، ١.

(٢) سورة الهمزة — آية ٢، ١.

(٣) سورة التوبة — آية ١٠٣.

(٤) د. علي: جواد — الفصل في تاريخ العرب — ج ٧ ص ٢٨٥ بيروت ١٩٦٨ م.

(٥) سورة التوبة — آية ١٠٣.

(٦) التوبة — آية ٣٤.

(٧) سورة الروم — آية ٧.

(٨) لوبون: جوستاف — ص ٨٨.

و يقول «سيديو» في هذا الصدد: «ان وجود العرب في مركز تجارة الجنوب والشرق مكنهم من النظر في معارف جميع الأمم المجاورة فاتفقت لهم بذلك ثقافة عقلية لم يظهر مثلها في جبال أورال وجبال التاي». (١)

و يذكر نجيب محمد البهيني: «ان الجماعة البشرية لا يمكن أن تنتقل طفرة من حالة الفوضى وعدم الاستقرار والفرقة التي ترتبط بشريعة الغاب الى حالة من النظام المثالي الذي لا يكاد يتصل به مثال». (٢)

واذا انتقلنا من أقوال المؤرخين المختلفة التي أعطت للعرب حقهم واتجهنا ببحثنا الى أصالة اللغة التي كان يتحدث بها هؤلاء العرب، فنجد أن أصالة اللغة العربية دليل على متانة الشخصية العربية التي استطاعت أن تسود العالم ما يزيد على ستة قرون، فاللغة العربية هي التي نزل بها القرآن المعجزة.

فاذا كانت لغة أمة ما في أحد عصورها ضعيفة المادة ضيقة المجال، كان ذلك برهاناً على ضيق أفق تلك الأمة في تلك الفترة من حياتها، وضعف معارفها وقواها العقلية.

وعلى عكس ذلك اذا كانت غزيرة المادة ودقيقة الأداء تتسع لشتى الأفكار والمعاني غنية في المفردات، مرنة في الاشتقاق والاقتباس، فان ذلك يكون دليلاً على نشاط الذهن وسعة الأفق وقوة الأفكار والتجارب والحيوية العقلية. (٣)

و يقول ريتان: «ومن أغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب فهم سره انتشار اللغة العربية غنية آية في الغنى، كاملة بحيث لم يدخل عليها منذ ذلك العهد الى يومنا هذا أدنى تعديل مهم فلا يعرف لها طفولة ولا شيخوخة». (٤)

و يقول المستشرق البريطاني (آر برى): «واللغة العربية عبقرية التركيب صلدة البناء ورقية الاحساس في وقت معا».

«وليس من أدب غربي يستطيع بحال أن يعدل العربية في ميادين النحو وعلوم البلاغة وتدوين المعاجم وكل فروع الدراسة اللغوية». (٥)

(١) ل. سيدبو- تاريخ العرب العام - ص ٣٢ - القاهرة ١٣٨٩ .

(٢) مجلة كلية الآداب - المجلد ١٤ ج ١ ص ٩١ - عدد مايو ١٩٥٢ المقال للدكتور نجيب محمد البهيتي . (البيئة التي نشأ فيها الشعر الجاهلي وتياراته الفكرية) .

(٣) د. شعوط: ابراهيم - أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ - ص ٣٦ .

(٤) مقال (مفاهيم خاطئة عن تاريخ العرب في الجاهلية) للدكتور شعوط: ابراهيم - مجلة جامعة الملك عبد العزيز - عن المستشرق ريتان: ورينان فيلسوف فرنسي (١٨٢٣-١٨٩٢م) دخل المدارس اللاهوتية، تضلع في اللغات الشرقية حتى صار من ثقافتها، أخذ بمذهب حرية الفكر ورحل الى الشرق ونزل لبنان، عنى بالعقائد الاسلامية انتخب عضواً في المجمع النغوي الفرنسي عام ١٨٧٨م.

(٥) د. آر برى - أ. ج. - المستشرقون البريطانيون - ص ٩ .

يذكر فيليب حتي في كتابه «تاريخ العرب» العبارة التالية:
«ولقد تزوج النبي من نحو اثنتي عشرة زوجة بعضهن بدافع الحب»»

فمن تلك التي يعنيها (حتي) بقوله؟

لا شك أن (فيليب حتي) يقصد ما كتبه بعض المؤرخين والمفسرين من أنها هي السيدة زينب بنت جحش، ونحن حينما نرد على فيليب حتي وعلى من نقل عنهم من المؤرخين والمفسرين نحمله تبعة نشر هذه التهمة التي كان يجب أن يحققها بالأسلوب العلمي الحديث، فلا يقع فيما وقع فيه بعض المؤرخين والمفسرين المسلمين، ونرد على هذه الفرية بما يأتي:

إن عرب الجاهلية قد درجوا على تقاليد في مجتمعهم الجاهلي تقوم على ما يأتي:
أولاً: ان القرشية لا تتزوج الا قرشياً مهما كان شأن غير القرشي .
ثانياً: ان الابن المتبنى كانت له جميع حقوق الابن من النسب .
ثالثاً: اذا حدث وتزوجت قرشية بغير قرشي هانت منزلتها فلا يقربها شريف .

وأراد المولى سبحانه وتعالى من رسوله أن يغير هذه العادات وتلك التقاليد بما يتفق مع مبادئ الاسلام .

فبالنسبة للتفاخر بالأحساب والأنساب فقد ألغاه الاسلام وجعل مكانه التفاضل بالتقوى والأخلاق الفاضلة، فقال تعالى: «ان أكرمكم عند الله أتقاكم»، وقال الرسول: «لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى» .. وبالنسبة للابن المتبنى فان الاسلام جعله غريباً عن أبيه بالتبني فقال تعالى: «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله». (١) وقال سبحانه وتعالى أيضاً «ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله». (٢)

وبالنسبة للمرأة التي تهون منزلتها اذا تزوجت من غير قرشي فان الاسلام يعيد اليها كرامتها وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوم بكل ذلك ليمحو ما كانت عليه الجاهلية ويضع المبادئ الجديدة في الاسلام، فبدأ بخطبة القرشية لغير القرشي، فكانت القرشية هي بنت عمه

(٥) حتي: تاريخ العرب المطول ص ١٢٠ — أنظر النسخة العربية المترجمة ص ١٦٦.

(١) سورة الأحزاب — آية ٤٠ .

(٢) سورة الأحزاب — آية ٥ .

الرسول ومن القمة في قريش فتكون تحت مولاه — ولتكون تحت زيد ابن الرسول بالتبني —
فتتحطم الفوارق بالأصل والحسب و يصبح التفاضل بمعايير أخرى جديدة تقوم على المبدأ الإلهي
الجديد هو: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» فيخطب زينب لزيد، يخطب قرشية من القمة لغير
قرشي بل مولى، فتثور الكبرياء في نفس زينب وأخيها فيرغمان بالقرآن وتنقطع المجادلة والممانعة
بقوله تعالى: «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم
ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً». (١)

خضعت زينب للأمر الإلهي فسلمت لزيد جسدها ولكن قلبها عصاها، وظلت نافرة من قسوة
التجربة وغرابة التطبيق، فلا تستطيع أبداً أن تتصور أن هناك كفاءة بينها وبين زيد، وكان زيد
يعاني من تلك العوامل النفسية عند زينب أشد ما يعانيه المعذبون في حياتهم الزوجية.

وتعالت زينب بنسبها وأبت كرامة زيد هذا تعالى ليقضى الله أمراً كان مفعولاً، فتسرب
الفساد إلى العشرة بين زينب وزيد، ويحصل الفراق، ويأتي من هنا أمراً آخر لا بد من تحقيقه في
المجتمع ولكن موعد هذا الأمر لم يكن معروفاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كان يعلم أن
زيداً سيطلق زينب، وأنه سيتزوجها بعد زيد (٢) ليقضى على فكرة تحريم زواج الوالد من زوجة ابنه
بالتبني إذا طلقها.

ولكن متى ذلك؟ هذا الذي لم يعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك كان دائماً يقول
لزيد حينما يشكو له «أمسك عليك زوجك واتق الله» لأنه خشي مقالة قريش في خروجه عن
المألوف فنزل العتاب من الله عز وجل في قوله تعالى: «واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه
أمسك عليك زوجك واتق الله، وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن
تخشاه». (٣)

وكان الغرض من ذلك إبطال عادتین جاهليتين في وقت واحد:

- ١ — عدم المساواة بين الابن بالتبني والابن بالنسب وكان ذلك تطبيقاً عملياً لقوله تعالى: «وما
جعل ادعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل». (٤)
«ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين» (٥)
وقوله في المحرمات عن النساء «وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم» (٦)

(١) سورة الأحزاب — آية ٣٦ .

(٢) العامري: عماد الدين يحيى بن أبي بكر — بهجة المحافل ج ١ ص ٢٨٩ بيروت

(٣) سورة الأحزاب — آية ٣٧ .

(٤)، سورة الأحزاب — آية ٤ .

(٥) سورة الأحزاب — آية ٤٠ .

(٦) سورة النساء — آية ٢٣ .

٢ — أن يغير نظرة المجتمع الى المرأة المتزوجة من غير القرشي فأى مثل يقتدى أروع من أن يتزوج الرسول الكريم من امرأة قد تزوجت برجل غير قرشي بل مولى

هذه هي صورة زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش كما يصورها الدكتور ابراهيم شعوط في كتابه (١)

وهنا أطلق المرجفون لخيالهم العنان واخترعوا قصة مؤداها أن الرسول صلى الله عليه وسلم قام بزيارة (زيد) في بيته بعد زواجه منها فلم يجده، وبينما هو كذلك حرك الهواء ستار البيت فرأى الرسول صلى الله عليه وسلم من زينب ما أعجبه واستقر حبها في قلبه، فانصرف وهو يقول: «سبحان مقلب القلوب» فسمعت زينب تلك التسيحة ثم أخبرت بها زيدا وعرف الحقيقة.

وكان كلما ذهب الى الرسول يشكوها يقول له عليه الصلاة والسلام: «أمسك عليك زوجك واتق الله». ولم يكتف المرجفون بذلك بل كان لا بد لهم من البحث عن دليل يؤيدون به قصتهم — ففسروا قوله تعالى «وتخفى في نفسك ما الله مبديه» بأن الذي أخفاه مقصود به الحب — لتتم لهم الحبكة القصصية.

هكذا قالوا، ومن المؤسف أن بعض المفسرين تبعهم، وقلة من المؤرخين ساروا في ركابهم (٢).

إن ردنا على هذه الفرية من زاوية العقل والمنطق لا يحتاج الى كبير عناء:

١ — أليست زينب بنت جحش ابنة عمه الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام؟ وألم يكن يراها قبل زواجها الأول؟ خاصة أن آيات الحجاب لم تكن قد نزلت قبل هذا الزواج فكانت الرؤية مباحة — ان صح ادعاؤهم عن هذه الرغبة — فلم تأخر في اعلانها؟ ولم أخفى حبه لها؟ ألم يكن زواجه بها حينذاك ممكنا؟

٢ — وتفسيرهم الباطل لقوله تعالى: «وتخفى في نفسك ما الله مبديه» يحمل في طياته دليل بطلانه لأن الذي أبداه الله هو الزواج لا الحب (٣).

ولنا ملاحظة هنا على الطبرى في هذه القصة حين ذكرها في تفسيره ولم يذكر شيئا مما قاله غيره عن الحب من رسول الله صلى الله عليه وسلم لزينب ولكنه حين ذكرها في تاريخه

(١) د. شعوط: — أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ — ص ٧٥ — ٧٨ .

(٢) الرمحسرى: أبو القاسم — تفسير الكشاف ج ٢ — ص ٢١٣ — بيروت دار الفكر أبو السعود: محمد ج ٤ — ص ٢١٢ — اسفاهرة دار السعادة/ تاريخ الطبرى ج ٢٢ ص ١٣ — القاهرة دار المعارف المصرية/ ابن الأثير: علي بن محمد الكامل في التاريخ ج ٢ — ص ١٢١ بيروت ١٣٨٦ / لونون: جوستاف — حضارة العرب — ص ١١٢ / حسين: طه — على هامش لسيرة — ج ٣ ص ٢٢٧ القاهرة — الطبعة الثامنة.

(٣) الطبرى — مجمع البيان — ج ٢٢ ص ١٤٠ بيروت ١٣٨٠ / قطب: سيد — في طلال القرآن — ج ٢٢ ص ٢٧ بيروت ١٣٨٦ / الخازن: علاء الدين علي بن محمد — تفسير الخازن — ج ٤ ص ٢٦٣ بيروت — دار الفكر/ تفسير البغوى: أبو محمد الفراء — ج ٤ ص ٢١٦ بيروت دار الفكر/ ابن كثير: أبو الفدا اسماعيل البداية والنهاية ج ٤ ص ١٤٥ — بيروت ١٩٧٤ / العامرى: بهجة المحافل — ج ٢ ص ٢٨٩ .

(تاريخ الأمم والملوك) خاض مع الخائضين بنقله عن وهب بن منبه فاعتمد عليه فيما خاض فيه ، وهذا يدل على أن هذه الرواية وضعها خصوم الاسلام في كتب المسلمين .

(٣) يقول ابن الخطيب في هذا الموضوع مؤلف كتاب « حقائق ثابتة في الاسلام » :
« إن يوسف الممتلىء شبابا وفتوة تختلى به امرأة مشبعة الجمال والفتنة وهي في نفس الوقت ملكته وسيدته فيستغيث بربه ويولى هاربا مما عساه أن يوقعه في الاثم ، ولم يكن في ذلك الوقت نبيا ولا رسولا .

و يأتي محمد بن عبد الله امام الرسل وسيد الخلق فتفتنه امرأة هي في مرتبة زوج الابن فلا يلجأ الى مولاه ليحفظه ، ولا يهرب مما عساه أن يحط من قدره كبشر . فلم يبلغ شأن يوسف عليه السلام ؟! (١)

أما التفسير الحقيقي لقوله تعالى « وتخفى في نفسك ما الله مبديه » ، أى تخفي في نفسك زواجك منها حيث قال تعالى : « زوجناكها » حسب رواية علي بن زين العابدين — وقد أبداه الله له من قبل — فكان عتاب الله لنبيه على قوله لزيد : « أمسك عليك زوجك » وهو يعلم أنها ستكون من أزواجه (صلى الله عليه وسلم) حيث أخبره الله عز وجل بذلك . (٢)

و يقول الشيخ ابراهيم شعوط : (فكيف تؤخذ هذه القصة المأخذ الدنيء وكيف تصور بصور قصص الغرام والوله ؟ وكيف يرونها رواة مسلمون في كتب انتشرت في كل أنحاء العالم من غير تدبر فيما تهدف اليه ، دون أن يدركوا أنه يكفي لتفنيدها قوله تعالى لرسوله « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم إذا قضوا منهن وطرا ») ؟ (٣)

ففي الآية الكريمة ذكر صريح لسبب تزويج زينب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اسقاط حرج المؤمنين من زواج نساء أولادهم بالتبني بعد أن يكون هؤلاء الأولاد قد قضوا من أزواجهن كل غرض . (٤)

فكان لزاما على (فيليب حتي) أن يقرأ هذه الآيات وأن يتدبر معناها ليفيد منها فكثيرا ما اعترف بالقرآن — كتابا معجزا — (٥) وهذا الاعتراف كان يقتضيه التدبر والامعان .

(١) ابن الخطيب : محمد محمد عبد اللطيف — حقائق ثابتة في الاسلام — ص ١٤ ، ١٥ القاهرة ١٣٩٤هـ

(٢) الطبري — مجمع البيان — ج ٢٢ ص ١٤٠ / بيروت ١٣٨٠ / قطب سيد — في ظلال القرآن — ج ٢٢ ص ٢٧ — بيروت ١٣٨٦ / تفسير الخازن ج ٤ ص ٢٦٣ تفسير البغوي — ج ٤ ص ٢١٦ / ابن كثير — البداية والنهاية — ج ٤ ص ١٤٥ .
لعامري — بهجة المحافل — ج ٢ ص ٢٨٩ .

(٣) سورة الأحزاب — آية ٣٧ .

(٤) د. شعوط : أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ — ص ٨٢ .

(٥) حتي : — تاريخ العرب المطول — انظر النسخة العربية المترجمة ج ١ ص ١٧٧ .

ومن أجل هذا يحق لنا أن نعتبر كلامه في هذا الموضوع فرية.. يقول الامام الخازن في هذا الصدد: وأصح ما في هذا الباب أن الله عاتبه وقال: (لم قلت امسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك؟) وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء: وهو مطابق للتلاوة لأن الله تعالى أعلم نبيه أن يبدي و يظهر ما أخفاه، ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى: «زوجناكها» فلو كان الذي أضمره الرسول صلى الله عليه وسلم محبتها واردة تطليقها لكان يظهر ذلك، لأنه لا يجوز أن يخبره أن الله سيظهره ثم يكتمه ولا يظهره. فدل ذلك على أنه إنما عوتب على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجته، وإنما أخفى ذلك استحياء أن يخبر زيدا: «ان التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي». (١)

٤- لو صح ما ادعاه المدعون من حب النبي (صلى الله عليه وسلم) لزينب.. فلم يكن في الامكان بعد ذلك (ومحمد القدوة عند أصحابه والمثل الأعلى لهم) أن يبقى في مكان الصدارة، يحتل أروع ما في قلوبهم، ويبقى صحابته من حوله يلتفون به و يثقون به، ألم يكن منطقيا وقد رأوا منه هذا، أن ينفضوا من حوله؟ أو تقل الثقة به فتزعزع مكانته؟ ان شيئا من ذلك لم يحدث حتى زيد بن حارثة نفسه — وهو أولى الناس بأن يحمل راية الانشقاق — بقى على اخلاصه بل اشتد اخلاصه بعد هذا الزواج للنبي صلى الله عليه وسلم.

(وحتى) نفسه يذكر ذلك في كتابه حيث يقول:

«ولم يحدث أن اعتبر شخص واحد عند طائفة من طوائف الجنس البشري المثل الكامل للانسان فقلدت أفعاله بمنتهى الدقة كما حدث لمحمد» (٢).

٥- هذا ردنا على ما قيل، ونحن لا نستبعد أن ما نسب الى بعض المؤرخين أو المفسرين قد دس عليهم في كتبهم — وهذا أقرب الى المنطق — فمن غير المعقول أن يتسرب الشك الى ذهن أحد من أولئك العلماء الأفاضل في شخصية الرسول (كالزنجشري) و يتهمه بهذه التهمة التي يجبل عنها مقامه الكريم ومكانته السامية.



(١) تفسير الخازن — ج ٤ ص ٢١٦ — بيروت دار الفكر.

(٢) حتي: — تاريخ العرب المصنوع (أنظر النسخة العربية المترجمة ج ١ ص ١٦٦).

يذكر (فيليب حتي) عن أحوال المسلمين بعد موقعة (أحد) ما يأتي :
«ولكن انتصار المكين لم يدم فما لبث الاسلام أن استرجع قواه وتحول — بعد الهزيمة — تدريجياً من دور الدفاع الى دور الهجوم وأصبح انتشاره دائماً مؤكداً» .»

عبارة (حتي) جاوزها التوفيق في وصف ما أراد، لأنه — على ما يبدو — يريد أن يقول إن الاسلام بدأ وجوده بالهجوم على كل من خالفه، ولكنه حين أراد التعبير عن ذلك قال: «ما لبث الاسلام أن استرجع قواه» فلم تكن للاسلام قوة فقدتها حتى يسترجعها، وإنما بدأ الاسلام بالدعوة وعرض الفكرة بالحسنى وظل هكذا طوال ثلاثة عشر عاماً في مكة وليس لدى المسلمين قوة حتى يستعملوها وأملى عليهم القرآن الكريم طريقة التفاهم مع قريش بكل أساليب السلم والهدوء والاقناع وتحمل الأذى والصبر والصمود .

وربما كان قصد (حتي) أن الاسلام انتشر بالسيف، وهذه قضية تبناها كثير من خصوم الاسلام .

وللرد على هذه القضية نقول :
إن الدعوة الاسلامية لم تقم على العنف، ولم تعتمد في أسلوبها بادية ذي بدء على السيف، ولكنها اتخذت المنطق سبيلاً للاقناع، وكان منهج الرسول المعلم فيها قوله تعالى: «وجادلهم بالتتي هي أحسن» .^(١)

ولو نظرنا الى القرآن الكريم والذي نزل في مكة في فترة بلغت ثلاثة عشر عاماً لرأينا أن أوامر الله عز وجل لنبيه لم تكن الا في الاطار اللين لدعم العقيدة ونشر الدعوة .

ولما تم نشر الدعوة بالحجة والمنطق، ازداد الضغط على من أسلم وخاصة المستضعفين منهم أمرهم الرسول بالهجرة الى الحبشة ثم الى المدينة، وبدأ الوضع في التغير لمواجهة تلك الضغوط على الدعوة وأصبح أمل معتنقي الاسلام والعقيدة أن يتمكنوا من الدفاع عنها، ولكن كيف السبيل والأوامر الالهية كلها توصي بأن يكون الدفاع بالتتي هي أحسن؟ وظلت الأمور الخاصة بالمسلمين هكذا حتى قوى الاسلام وأعزه الله بالمهاجرين والأنصار، وصارت المدينة دار اسلام ومقلاً يلجأ اليه أحباب الله، وصار عندهم من العدد ما يكفي للذود عن حوزتهم والمدافعة عن أنفسهم .. هنا

(٥) حتي: — تاريخ العرب المطول ص ١١٧ (أنظر النسخة العربية المترجمة جـ ١ ص ١٦١) .

(١) سورة النحل — آية ١٢٥ .

أذن الله لنبيه بالقتال ونزل قوله تعالى: «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير». (١)

نعم، أذن للذين ظلموا بالقتال ولكن لم يترك الأمر فوضى، بل ربط هذا الأمر بقواعد وفصل هذه القواعد تفصيلاً واضحاً فقال: «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، واقتلوهم حيث ثقتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم». (٢)

«وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها وأجعل لنا من لدنك ولياً وأجعل لنا من لدنك نصيراً». (٣)

من هذه الآيات يتضح لنا أن الإسلام قد فصل في موضوع القتال، تفصيلات تبين الدوافع والمبررات التي توجب على المسلم القتال، والوقوف في وجه أعداء الإسلام والدفاع عن النفس وعن العقيدة، وعن معتنقي العقيدة، فالقتال الذي أمر به الإسلام كله قتال دفاع، وليس قتال هجوم كما يصفه خصوم الإسلام وما تضمنته عبارة (حتى).

ولم يذكر القرآن الكريم سبباً غير هذا يدفع بالمسلمين لخوض المعارك وازاقة الدماء، فالمسلمون لم يخرجوا إلا لنشر الدعوة والدفاع عنها ومجاهدة من يرفضها أو الموت في سبيلها، وهذا ما أيده (حتى) نفسه ليسجل على نفسه تعصبا مقيتاً على الإسلام والدعوة الإسلامية حيث يقول: «وللجهاد كما لغيره من فرائض الإسلام وعقائده شروط وأحكام، منها أن الجهاد يسبقه أولاً دعوة غير المسلمين إلى دين الإسلام فإن استجابوا فلا جهاد ولا قتال». (٤)

ولم يحشهم للقتال من أجل مغنم بل هو دفاع عن الحق لاظهاره كما أراد الله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور باذن ربهم، يؤيد هذا الواقع التاريخي فيما قبل (أحد) وما بعدها.

ومن المعروف أن آيات الجهاد لم تنزل إلا عندما استقر المقام بالمسلمين في المدينة فخيّل (لحتى) أن المسلمين قد تحولوا من دور الدفاع في مكة إلى دور الهجوم في المدينة، وهذه الفكرة خاطئة، فموقف المسلمين كان دائماً موقف دفاع وليس موقف هجوم، وكل المعارك التي حدثت بين المسلمين والمشركين من بدر وأحد كانت دفاعاً من المسلمين وهجوماً من المشركين.

(١) سورة الحج — آية ٣٩ .

(٢) سورة البقرة — آية ١٩٠، ١٩١ .

(٣) سورة النساء — آية ٧٥ .

(٤) حتى: فيليب — خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى — ج ١ ص ٢٤١ بيروت ١٩٧٥ .

وسجلت المعارك للمسلمين وهم في موقف الدفاع النصر ضد هجوم خصومهم سواء كانوا من العرب أو الفرس أو الروم، لأن خطوط الدفاع تنقسم الى قسمين: خط دفاع قريب وهو الالتحام بالعدو في المعركة، وخط دفاع بعيد وهو ضرب من يعين الخصم ويمده بالأسلحة أو بالرجال مهما كانت أرضه بعيدة، فقبل أحد وبعدها كان المسلمون في دور دفاع ولم يكونوا في دور الهجوم مصداقا لقوله تعالى «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم». (١)

و يصدق قول الأستاذ العقاد حين يذكر: «إن أكثر البلاد عددا من المسلمين هي أقل البلاد غزوات اسلامية». (٢)



(١) سورة الأنفال — آية ٦٠ .

(٢) العقاد — عباس محمود — ما يقال عن الاسلام — ص ١٣٥ .

يذكر (فيليب حتي) في كتابه عن المعجزات فيقول:
«وفي علم الالهيات القرآني (أي في علوم القرآن) ليس محمد الا بشرا معجزته الوحيدة هي اعجاز القرآن». ٥

إن هذا القول يخالف الواقع، فالمعجزات النبوية التي أجراها الله سبحانه وتعالى على يد رسوله ونبيه محمد معجزات كثيرة لا حصر لها، ولكن الذي يبدو أن «حتى» فهم رأى الأحناف خطأ حين قالوا: إنه لم يبق بعد وفاته صلى الله عليه وسلم من معجزاته غير القرآن وهذا لا يعني انكارهم للمعجزات التي جرت على يده في حياته صلى الله عليه وسلم.

فالمعجزة هي الأمر الخارق للعادة مقرونا بالتحدي سالما عن المعارضة وهي اما حسية أو عقلية. (١)

وهي نوعان: نوع من مثل ما عند البشر، أى من مثل لغتهم العربية لكنهم عند التحدي عجزوا عنه، وتعجز الله لهم عنه دال على صدق نبيه كطلب الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه أن يأتوا بمثل آيات القرآن فعجزوا عن أن يأتوا ولو بمثل أقصر سورة رغم أنهم أهل البلاغة والفصاحة، وأن القرآن قد نزل بلغتهم وهذا ما اعترف به (حتى) نفسه في نفس الصفحة.

أما النوع الآخر فهو الخارج عن قدرة البشر عامة، فقد أجرى الله الكثير منه على يد نبينا الكريم كانشق القمر الى فلقين (٢)، وقد ورد ذلك في القرآن نفسه الذي يعترف به (حتى) كمعجزة فليست آياته حجة عليه.. قال تعالى: «اقتربت الساعة وانشق القمر» (٣) فانشقاق القمر معجزة حدثت في عهده صلى الله عليه وسلم وقد أكدها القرآن الكريم والسنة، ففي صحيح البخاري عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقين: فلقه فوق الجبل، وفلقه دونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اشهدوا)، وعن أنس قال: سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر (٤).

ومن المعجزات التي وردت في القرآن أيضا معجزة الاسراء «سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله».

(٥) حتي: — تاريخ العرب المطول ص ١٢٩ (انظر النسخة العربية المترجمة ج ١ ص ١٧٧).

(١) السيوطي: جلال الدين — الاتقان في علوم القرآن — ج ٢ ص ١١٦ دار الفكر بيروت.

(٢) ابن كثير — البداية والنهاية — ج ٣ ص ١١٨.

(٣) سورة القمر — آية ١.

(٤) العامري — بهجة المحافل — ص ٢١٣ ج ٢.

ومن المعجزات الخارجة عن قدرة البشر أيضا نبع الماء من بين أصابعه الشريفة فقد ورد في صحيح البخاري عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، أنه قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الوضوء فلم يجده، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في ذلك الاناء فأمر الناس أن يتوضأوا منه فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه فتوضأ الناس حتى توضأوا منه عن آخرهم». (١)

ومن المعجزات ما يعترف بها بعض المستشرقين أيضا منهم «درمنجم» الذي يعترف بمعجزة الغار فيقول: «هذه الأمور الثلاثة هي وحدها المعجزة التي يقص التاريخ الاسلامي نسيج العنكبوت، وهوى حمامة، ونماء شجرة، وهي أعاجيب ثلاث لها كل يوم في أرض الله نظائر». (٢)

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم أخباره بما سيقع في غزوة (مؤتة) حين استعمل صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة، وقال: «ان أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب فان أصيب جعفر فعبد الله ابن رواحة». وقد حدث بالفعل مثلما أخبر، فقد وصل الخبر من السماء في ساعته الى النبي صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر وأمر فنودي: الصلاة جامعة: فاجتمع الناس فقال: «باب خير (ثلاثا) أخبركم عن جيشكم هذا الغازي انهم لقوا العدو فقتل زيد شهيدا فاستغفر له، ثم أخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيدا فاستغفر له، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل شهيدا». (٣)

وقصة سراقه التي تكفي لأن تكون دليلا واضحا على صدق دعوته: ومجمل القصة أن قريشا لما علمت بخروج النبي من مكة جعلت لمن يأتي بالنبي صلى الله عليه وسلم جائزة (مائة ناقة) فتبعهم سراقه بن مالك جمعشم المدلجي فلحقهم وهم في أرض صلبة فقال أبو بكر: يا رسول الله أدركنا الطلب فقال: «لا تحزن ان الله معنا» ودعا عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فارتطمت فرسه الى بطنها وثار من تحتها مثل الدخان فقال: ادع لي يا محمد ليخلصني الله ولك على أن أرد عنك الطلب فدعا له فتخلص فعاد يتبعهم فدعا عليه الثانية فساخت قوائم فرسه في أرض أشد من الأولى فقال: يا محمد قد علمت أن هذا دعاءك على فادع لي ولك عهد الله أن أرد عنك الطلب فدعا له فخلص فلما أراد أن يعدو عنه قال له الرسول: كيف بك يا سراقه اذا سورت بسواري كسرى؟ قال كسرى ابن هرمز وقد تحقق لسراقه هذا الوعد في عهد عمر بن الخطاب. (٤)

(١) صحيح البخاري — ج ٤ — ص ٢٣٣ — القاهرة — دار الشعب .

(٢) هيكمل: محمد حسين — حياة محمد — ص ٢١٢ القاهرة ١٩٦٥ م .

(٣) صحيح البخاري ج ٥ ص ١٨٢ — تاريخ الطبري — ج ٣ ص ٣٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ — ج ٢ ص ٢٣٧ — ابن كثير — البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٤١ ابن هشام: أبو محمد عبد الملك — السيرة النبوية — ج ٢ ص ٧ القاهرة ١٩٧٤ م .

(٤) صحيح البخاري ج ٥ ص ٧٦، الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٠٥، ابن الوردي: زين الدين عمر — تمة المختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٧٤ بيروت ١٩٧٠ م .

الفصل الثاني

بعض آراء "حتي" في عصر الرشدين الرد عليها

١

يقول (فيليب حتي) في حديثه عن خلافة أبي بكر: «ولعل مبايعة أبي بكر كانت مطابقة لمشروع دبر قبل ذلك بينه وبين عمر بن الخطاب وأبي عبيدة ابن الجراح». *

المبايعة في رأى (حتي) كانت نتيجة اتفاق مسبق — ونحن نناقش هذا الرأى فنقول:

أولاً: متى كان الاتفاق وأين؟ — إن «حتي» لم يقدم دليلاً واضحاً يدعم به رأيه، ولعل ادعاءه هذا واضح في عبارته فهو لم يجزم ولكنه قال «ولعل» ويبدو أن (حتي) قد اعتمد في رأيه على آراء بعض المستشرقين الذين قالوا بهذا الرأى — دون أن يقدموا لنا الدليل أيضاً — أمثال الأب «هنرى لامنس» من أعداء الاسلام.

إن الدليل الذي نعنيه هو شهادة شاهد أوجع من الثقات يعتمد رأيهم أو قول مكتوب صحيح الأسانيد، وكل هذا غير موجود فالادعاء اذن باطل، وإذا كان تصوراً وتقديراً فهو تصور باطل وتقدير غير عادل.

ثانياً: إن واقع العصر بأبى ما ادعاه «حتي» فلم يكن عصر الصحابة رضوان الله عليهم ذلك العصر الذي يدفع أبناءه للتهافت على المناصب أو لاحتراز الجاه وإنما كان عصر إيمان ومثل وكان المؤمنون يسعون الى مرضاة الله — (وهذا ما أيده (حتي) في نفس الصفحة أثناء حديثه عن طبيعة العصر وعن طريقة حياة الخلفاء — لكن المغرضين تصوره عصر تكالب وتطاحن على المناصب انطلاقاً من مفهوم عصرهم الذي يعيشونه.

ثالثاً: إن أحد الثلاثة الذين تم الاتفاق بينهم — وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه — قد أذهله موت الرسول صلى الله عليه وسلم، وقالت الشهود: ان عمر حين بلغه خبر الوفاة خرج وقال: «ان رجلاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات — وانه والله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران — والله ليرجعن رسول الله صلى الله

(ه) حتي: تاريخ العرب المطول ص ١٤٠ (انظر النسخة العربية المترجمة ج ١ ص ١٩١).

عليه وسلم فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه مات» (١). هذا هو عمر أحد ثلاثة يزعم المستشرقون أنهم أطراف الاتفاق.

هل يتصور عاقل أن يصدر هذا القول عن عمر؟ — الذي قالوا عنه انه قد أبرم عهدا أو ميثاقا مع اثنين آخرين أحدهما هو الخليفة — ان وقع وقع الخبر عليه كان كالصاعقة التي أخرجته عن طبيعته، فكيف يتم له ولأمثاله أن يقر اتفاقا على شيء لم يكن يتصوره ولم يخطر بباله؟

رابعاً: لو تصورنا جدلاً أن أبا بكر كان عليهما بهذا الاتفاق المزعوم، هل كان معقولا — وهو ينتظر المنصب الجديد — وقد علم بمرض الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخرج الى السنح (٢) لو كان يطمع في الخلافة أو كان يحرص عليها لمنعته هذه الرغبة من الخروج، حرصاً على تحقيق هدفه خاصة أنه يعلم ما سيكون عليه الأمر من اضطراب يتطلب وجوده ليمسك بزمام الأمور، فخروجه الى (السنح) ينفي شبهة الاتفاق؟

لعلنا حينما نشير بإيجاز الى مجمل ما حدث بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم يتضح لنا كيف تمت البيعة لأبي بكر دون اتفاق مسبق بين أحد.

إن الروايات كلها تجمع على أن أبا بكر وعمر بلغهما أن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لاختيار الخليفة منهم فذهبا الى السقيفة على غير اتفاق (٣) فالتقيا بأبي عبيدة مصادفة في الطريق، وروايات بعض المؤرخين ان عمر لما سمع بخبر السقيفة ذهب الى طلب أبي بكر ولم يكن معه أبو عبيدة أو أنهما ذهبا اليه معا (٤)

وهناك تراجعوا الكلام فقال الأنصار: منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر كلاماً كثيراً مصيباً منه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الأئمة من

(١) البخاري ج ٤ ص ١٩٥، الطبري ج ٣ ص ٢٠٠٠، الكامل ج ٢ ص ٢١٩، البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٤٢، ابن خلدون ج ٣ ص ٦٣، ابن هشام ج ٤ ص ٢٢٤.

(٢) البخاري ج ٤ ص ١٩٣، الطبري ج ٣ ص ٢٠٠٠، الكامل ج ٢ ص ٢١٩، البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٤٢، ابن خلدون ج ٢ ص ٦٣.

(٣) الطبري ج ٣ ص ٢٠٥ والكامل ج ٢ ص ٢٢٣، البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٤٦، السيرة لابن هشام ج ٤ ص ٢٢٧.

(٤) الكامل ج ٢ ص ٢٢٢، السيرة لابن هشام ج ٤ ص ٢٢٥.

قريش»^(١). وقال: «أوصيكم بالأنصار خيرا: ان تقبلوا من محسنهم وتتجاوزوا عن مسيئهم»^(٢) ثم قال: ان الله سمانا الصادقين في قوله: «للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون»^(٣) وسماكم المفلحين قال تعالى: «والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»^(٤) وقد أمركم الله أن تكونوا معنا حيثما كنا فقال: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين»^(٥). ثم قال: «وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين عمر، وأبى عبدة أمين هذه الأمة»^(٦).

فقام عمر وقال: أيكم يطيب نفسا أن يخلف قدمين قدمها النبي صلى الله عليه وسلم^(٧) — يشير بذلك الى قوله صلى الله عليه وسلم «مروا أبا بكر أن يصلي بالناس»^(٨) — فتذكر الأنصار وبايعوا أبا بكر.

وفي رواية لابن سعد (ان عمر فاتح أبا عبدة قبل ذلك فقال له: «ابسط يدك لأبايعك فأنت أمين هذه الأمة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو عبدة: ما رأيت لك فهمه قبلها منذ أسلمت — أتبايعني وفيكم الصديق وثاني اثنين اذ هما في الغار؟»^(٩) فاذا صحت هذه الرواية فهي تنفي ما قيل عن تفاهم هؤلاء الرجال الثلاثة على مبايعة أبي بكر وتعاقب الخلافة بعده.

ونقول أيضا: متى كان التفاهم المزعوم؟ أقبل أن يمرض الرسول صلى الله عليه وسلم يعقل عاقل أن يجتمع صفوة أصحابه والمؤمنون برسالته للتأمر على وراثته واغتنام موته؟ ان جاز في عقل عاقل هذا، فمن أدراهم؟ وقد ينزل القرآن برأى يخالف ما اتفقوا عليه كما أنهم لا يدرون أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أوصى في الخلافة بأمر غير الذي اتفقوا عليه^(١٠).

(١) البخارى: فضائل الصحابة — ج ٤ ص ١٩٤.

(٢) صحيح البخارى — مناقب الأنصار — ج ٤ ص ٢٢٧.

(٣) سورة الحشر — آية ٨.

(٤) سورة الحشر — آية ٩.

(٥) سورة التوبة — آية ١١٩.

(٦) ابن العربي: أبو بكر — العواصم من القواصم ص ١٠ القاهرة ١٣٨٧.

(٧) الطبرى ج ٣ ص ٢٠٢، ابن الأثير — ج ٢ ص ٢٢٠، البداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ٢٤٧.

(٨) البخارى: فضائل الصحابة.

(٩) ابن سعد: محمد بن منيع — الطبقات الكبرى ج ٣ ص ١٨١ بيروت ١٣٨٠.

(١٠) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٠ — ٢١.

يذكر (حتي) في كتابه عن سياسة عمر في ادارة الدولة فيقول: «وجعل الدستور العسكري الاشتراكي لعمر سموا للعروبة كما ضمن للمؤمن الأعجمي درجة أسمى من غير المؤمن». *

نقول في الرد على ما ذكره (فيليب حتي) في هذه النقطة: في الواقع ان سياسة عمر كانت سياسة فريدة من نوعها، فقد استعمل عمر في ادارة الدولة الاسلامية من القوانين والنظم ما صار فيما بعد قاعدة للنظم السياسية في ادارة الدولة قرونا من الزمان، فكان عمر رجل دولة بحق، جعل في الدولة من حرية الفرد ما يلائم الدين. ولا يخرج عن اطاره الذي رسمه القرآن والسنة فكانت الحرية تتمثل في كل شيء من سياسة عمر، فالشورى كانت أساس الحكم في سياسته فكان لا يمنعه شيء من أن يستشير الحلیم والشديد حتى الأحداث والأعداء جعل منهم منهلاً للاستشارة لنظام حكمه.

فأى عسكرية في حكم قوامه الشورى بين الحاكم والمحكوم؟ فلو كان دستور عمر عسكريا لما اعتبر سلطة القضاء أعلى من سلطته وهو الحاكم، حينما رفض العباس أن يعطيه بيته لتوسعة المسجد، وترك العباس يختار القاضي الذي يريد. (١)

ولو كان نظام عمر دستورا عسكريا لما قال لأصحابه: «أني أخاف أن أخطيء فلا يردني أحد منكم تعظيما لي». فيقول حذيفة: «والله لو رأيناك خرجت عن الحق لرددناك اليه». (٢)

ولم يكن الأمر قاصرا على حذيفة الصحابي الجليل بل نراه أيضا يخضع ويعترف بالحق عليه من امرأة تصوبه اذا أخطأ (ركب عمر منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: أيها الناس ما اكثاركم في صداق النساء، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والصدقات فيما بينهم أربعمئة درهم فما دون ذلك. فلا أعرفن ما زاد رجل في صداق امرأة على أربعمئة درهم ثم نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعمئة درهم، قال: نعم، فقالت: أما سمعت ما أنزل الله في القرآن؟ قال: وأى ذلك؟ فقالت:

(٥) حتي: تاريخ العرب المصنوع ص ١٧٢ (أنظر النسخة العربية المترجمة ص ٢٣٠ ج ١).

(١) خالد: محمد خالد — خلفاء الرسول — ص ٢٠٥ — بيروت.

(٢) المصدر السابق ص ١٩٥.

أما سمعت الله يقول: «وَأَتَيْتُمْ أَحْدَاهُن قَنْطَارًا»؟^(١) فقال: اللهم غفرا، كل الناس أفقه من عمر).^(٢)

و يقول أيضا: أحب الناس إليّ من رفع إليّ عيوبي.^(٣)
و يقول: (أيا عامل لي ظلم أحدا فبلغني مظلّمته فلم اغيرها فأنا ظلمته)^(٤)

كان عمر يأمر عماله أن يوافوه بالمواسم فإذا اجتمعوا قال: أيها الناس اني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم، انما بعثتهم ليحجزوا بينكم وليقسموا أفياءكم بينكم فمن فعل به غير ذلك فليقم. فما قام أحد الا رجل واحد قام فقال: يا أمير المؤمنين ان عاملك فلانا ضربني مائة سوط، قال عمر لعامله: فيم ضربته؟ ثم قال للشاكي، قم فاقتص منه، فقام عمرو ابن العاص، فقال: يا أمير المؤمنين، انك ان فعلت هذا يكثر عليك و يكون سنة يأخذها من بعدك فقال: كيف لا أقيد وقد رأيت رسول الله يقيد من نفسه، قال: فدعنا فلنرضه، قال: دونكم فارضوه، فافتدى منه بمائتي دينار، كل سوط بدينارين.^(٥)

أما كون دستور عمر نظاما اشتراكيا، فالاسلام لم يعرف الاشتراكية التي نسمعها في عصرنا الحاضر والتي يقصدها (حتي) وان الاشتراكية هذه لم تظهر الا في القرن التاسع عشر، وانما الذي عرفه عمر والاسلام انما هو العدالة الاجتماعية والمساواة الحقّة في المعاملة بين الناس، لأن الاشتراكية التي يقصدها (حتي) ليس لها مفهوم متفق عليه فهي تفسر في كل مجتمع بتفسير غير الذي يعرفه المجتمع الآخر، أما العدالة الاجتماعية والمساواة الحقّة فمفهومها واضح من الكتاب والسنة، اما سار عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعده لم يختلف في مفهومها أحد وهذا ما يظهر من وصاياه لقضاته وعماله حيث قال: «اس بين الناس في مجلسك، ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك».^(٦)

و يقول لعمر وبن العاص: «يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا»؟!^(٧)

فالعدالة الاجتماعية التي يعرفها عمر هي العدل واحترام الحقوق بين كل الرعايا، أما المساواة في الأرزاق الذي يقال ان الاشتراكية الحديثة تكفل ذلك فهذه لم يعرفها عمر لأن الله سبحانه

(١) سورة النساء: آية ٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير: أبو الفداء - ج ١ ص ٤٦٧ - دار الفكر - بيروت، القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد - الجامع لأحكام القرآن - ج ٣ ص ٩٩ بيروت ١٣٨٧.

(٣) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٩٣.

(٤) المصدر السابق ص ٣٠٥.

(٥) المصدر السابق ص ٢٩٣، ٢٩٤.

(٦) العقاد - عبقرية عمر ص ١٢٠.

(٧) المرجع السابق ص ١١٠.

وتعالى قسم الأرزاق بين العباد، وإنما كل ما عمله عمر هو أنه حاول أن يرفع من مستوى الفقراء بحثهم على العمل والكسب من أجل حمايتهم وصيانتهم من ذل الفقر، وإن كانت الاشتراكية الشيوعية تقرر التفاوت في الدخل إلا أنها لا تسمح بالكسب المتزايد المترتب على كسب الفرد الخاص.

ولو عرف عمر الاشتراكية المزعومة التي يزعمها (حتي) لما ميز بين الناس في العطاء، وفقا لموقفهم السابق من الدعوة الإسلامية، وبلاتهم في سبيلها^(١) وكل ما فعله عمر هو أنه أخذ من فضول أموال الأغنياء ووزعها في وجوه البر والخير، كما أنه لم يأخذ إلا بحذر وعقل، فلم يفقر غنيا ولم يغن فقيرا على حساب افقار غيره وإنما أخذ الفضل من الأموال ووزعها بقدر ما يسد رمق الفقراء والمساكين.

أما قول (حتي) أن عمر جعل الدستور العسكري الاشتراكي سموا للعروبة ومعنى ذلك أنه كان يقصد مكافأة العرب، فكان هذا أمرا ضروريا لأنه لم يكن هناك سوى العنصر العربي الذي يتولى فتح البلاد ونشر الدعوة فكان طبيعيا أن تكون القيادة ومصالح الدولة في يد العرب، أما من جهة المعاملة لغير العرب فإن نظام القضاء الذي وضعه عمر كان كفيلا بحفظ حقوق العرب وغيرهم على قدم المساواة، فقد كتب إلى أبي موسى الأشعري: انه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائجهم، فأكرم من قبلك من وجوه الناس، وبحسب المسلم الضعيف من العدل، ان ينصف في الحكم وفي القسم. (٢)

وكان عمر رضى الله عنه يطوف في الأسواق، و يقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم مهما اختلفت جنسياتهم. (٣)

ومع أن العنصر العربي هو الذي كان يحمل لواء الدعوة والجهاد في سبيلها فإن عمر حينما فتحت مصر أبقى على بعض العمال البيزنطيين في مصرفور الفتح (٤) وذلك لمعرفة بشؤون البلاد أكثر من غيرهم من العرب الداخلين على البلاد حديثا.

وان ما كان من اعتماد عمر على العنصر العربي، فليس معناه رفعا لشأنهم على سائر الأجناس وإنما لأن غير العرب كانوا أحد رجلين:

- ١ — رجل أسلم ولم يرسخ الاسلام في نفسه، فكيف يأمنه على شؤون الأمة و يثق به؟
- ٢ — رجل لم يسلم وهو أشد خطرا.

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٩٦، ٢٩٧، الطماوى: سلمان — عمر بن الخطاب ص ٤٠٨ — بيروت ١٩٦٩م.

(٢) تاريخ الطبرى — ج ٤ ص ٢٠٣ .

(٣) تاريخ الطبرى — ج ٤ ص ٢١٣ .

(٤) الغزالي: التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام — ص ٥٩ — القاهرة ١٩٦٥م .

و يذكر (حتي) عند سرده لأسباب الفتح الاسلامي، فيعزوها الى دوافع اقتصادية فيقول:
 «لم تكن الحماسة الدينية بل الحاجة الاقتصادية هي التي دفعت بمعاشر البدو، الذين تكونت منهم
 أكثر جيوش الفتح، الى ما وراء تخوم البادية، الى الأراضي الخصبة في الشمال». *
 ونحن نقف مع (حتي) قليلا أمام هذا الخبر لنبين للقارئ الى أي حد كان (حتي) مخطئا
 وحقودا.

إن (حتي) ينكر الحماسة الدينية في الفتح الاسلامي الأول، لأنه يجهل حقيقة الدافع الديني
 لدى المسلمين ومدى ايمان هؤلاء الأوائل بوجوب تحمل هذه المسؤولية لأنهم آمنوا بقول ربهم
 «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله» (١) كما آمنوا بقوله تعالى: «وما أرسلناك الا
 كافة للناس بشيرا ونذيرا» (٢) «وما أرسلناك الا رحمة للعالمين» (٣).

ومن هنا نجد أن الفاتحين خرجوا لأنهم مكلفون بايصال هذا الدين الى أهل الأرض كافة لأن
 رسولهم أرسل للناس كافة.

فهم اتباعه والواجب عليهم أن يبدأوا من حيث وقف نبيهم لأنهم مؤمنون بأن تبليغ الرسالة
 الى الأمم الأخرى مهمة قد نيّطت بهم وأمانة قد أقيت على عاتقهم فهم المكلفون بنشرها ولهذا
 خرجوا.

فالغاية من الخروج والجهاد هوبث الدعوة ونشر الدين الاسلامي في جميع أنحاء الدنيا لأنه دين
 الله «ان الدين عند الله الاسلام». وليس البحث عن مواطن الخصب فيما وراء تخوم البادية القفار
 الى حيث منازل المطر، أو منابت الكلا كما يزعم (حتي).

ونحن نقول: لو خرج المسلمون بغية الثراء والغنى لاكتفوا بأرض الشام وطاب لهم المقام هناك
 ولكنهم لم يخرجوا لهذا وهو ما يؤيده المستشرق «موسل» في رده على زميله «كيتاني الايطالي»: «ان
 الجيوش التي اشتركت في فتح العراق والشام وفلسطين لم تكن حجازية أو نجدية فحسب بل
 فيها قبائل عراقية وشامية» (٤) وهو يعني بذلك أن الدعوة هي الهدف الأسمى وحدها.

فلو كان الدافع هو الجوع والفقر الذي زعمه (حتي) لما خرج أهل الشام وأهل العراق مع
 الجيوش الاسلامية! ولما خرج العرب من الشام للقتال ما داموا قد بلغوا أرض الخصب والرخاء!

(٥) حتي: تاريخ العرب المطول ص ١٤٤ (أنظر النسخة العربية المترجمة صفحة ١٩٥).

(١) سورة البقرة - آية ١٩٣.

(٢) سورة سبأ - آية ٢٨.

(٣) سورة الأنبياء - آية ١٠٧.

(٤) علي: جواد - تاريخ العرب قبل الاسلام - ج ١ ص ٢٥٠.

و يستشهد الدكتور عبد المنعم ماجد بمستشرقين آخرين في هذا الصدد فيقول: «فليس لدينا ما يدل على أن حركة الفتح العربي سببها الجفاف أو الجوع».(١)

وقصارى القول ان رسالة الاسلام رسالة عامة لكافة البشر قال تعالى: «وما أرسلناك الا رحمة للعالمين»(٢) «وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً»(٣).

ورسالة هذا شأنها، لا بد أن يحملها أصحابها الى كافة البلاد وأن يرتفع صوتها في كل مكان وفي كل أرض سواء كانت خصبة أم كانت قفرة.

هذا منطق الدعوة، وهذا سبيل الدعاة.
ومن التجنى على هذه الدعوة السامية أن تتهم بمثل هذا الاتهام، كما أننا نرى أن من واجب المؤرخ الحياد والاستشهاد بآراء المحايدين.

ومن هنا لا نضع في الاعتبار استدلال (حتي) بما جرى بين رستم قائد الفرس وبين المغيرة ابن شعبة مبعوث المسلمين، لأنه ذكر قول رستم فقط: «لقد علمت انه لم يحملكم على ما أنتم فيه الا ضيق المعاش وشدة الجهد ونحن نعطيكم ما تشبعون به ونصرفكم ببعض ما تحبون». ولم يذكر رد المغيرة عليه. وكان الانصاف يقتضيه أن يسجل ما قاله المغيرة وهو: «ان الله بعث الينا نبيه صلى الله عليه وسلم فسعدنا باجابته واتباعه، وأمرنا بجهاد من خالف ديننا «حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون». ونحن ندعوك الى عبادة الله وحده، والايان بنبيه صلى الله عليه وسلم فان فعلت والا فالسيف بيننا وبينكم»(٤). هذا النص الذي أخفاه (حتي) حتى تتوه الحقيقة و يظهرها في مظهر الاستجداء من أجل الحاجة والجوع، ومتناسيا بذلك واجبه كباحث صادق.
هذا هو منطق القوة وقوة الايمان، وقوة العقيدة، وليس منطق الاستجداء أو الطمع.



(١) ماجد: عبد المنعم — التاريخ السياسي للدولة العربية — ج١ ص ١٦٥ القاهرة ١٩٦٥م عن (Arabian, P. 7: Huwyyin, Islamat the Cvassaooods, London. 1923. P. 2, O.L.Lear ys.

ونحن قد ذكرنا رأى د. عبد المنعم ماجد في هذه النقطة رغم أنه أحد المتأثرين بالمستشرقين لأنه قال كلمة الحق في هذا الموضوع.

(٢) الأنبياء آية ١٠٧.

(٣) سبأ آية ٢٨.

(٤) البلاذري : أبو الحسن أحمد بن يحيى — فتوح البلدان — ص ٢٥٧ القاهرة ١٩٥٩م، تاريخ الطبرى — ج٣ ص ٤٩٦، تاريخ ابن الأثير — الكامل في التاريخ ج٢ ص ٤٦٥.

ثم يعود و يستطرد (حتي):

إن من الدوافع التي دفعت المسلمين الى الفتح هي الجزية فيقول: «فان العرب في حروبهم خارج الجزيرة كانوا يعرضون على أهل الكتاب من يهود ونصارى أمرا ثالثا غير القرآن والسيف، هو أقرب الى مطامع المحاربين وأصلح لهم من كلا الأمرين الأولين — الجزية...» (٥)

ونحن حين نرد على (فيليب حتي) نقول: إن العرب الفاتحين قد فرضوا الجزية على اليهود والنصارى ولكننا نختلف معه في أن الجزية كانت مطمعا للمحاربين وانما اختارها أهل الكتاب لأنها في نظرهم أيسر من دخولهم في الاسلام أو الدخول في حرب مع المسلمين:

١ — فلم تكن الجزية مطمعا ماديا للمسلمين فرضوها من تلقاء أنفسهم على أهل الكتاب وانما هي شريعة السماء في قوله تعالى «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون». (١)

وبهذا نزل الكتاب، وما كان لمؤمن أن يخالف ما أمر به الله ومن هنا كان تطبيق الجزية طاعة لأمر الله وتنفيذا لقانون سماوي.

٢ — ولو كان فرض الجزية مطمعا ماديا لفرضه المسلمون من البداية ولأخذوا من يهود بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، لكنهم تركوهم لأن الآية الكريمة لم تكن قد نزلت (٢) وما يقال عن هؤلاء يقال عن أهل خيبر الذين أقرهم الاسلام على فلاحه الأرض وهادنهم هدنة مطلقة. (٣)

٣ — كما أن الاسلام لم يطلق فرض الجزية في جميع الأحوال وانما خصها بحالات معينة واشترط لفرضها شروطا، فللجزية شروط وواجبات فهي لا تفرض على أهل الكتاب الا برفضهم الدخول في الاسلام فان قبلوا الاسلام فلا جزية ولا قتال، وان رفضوا الدخول في الاسلام فلا اكراه في الدين، وما عليهم الا أن يدفعوا جزية رمزية مقابل عدم اشتراكهم في صف الجندية، وذلك بسبب واضح لعدم اشتراكهم والاعتماد عليهم في الحروب، ولكن يدفعون هذه الضريبة مقابل سلامتهم وعدم اشتراكهم في القتال كما أنها تكون مقابل حفظهم

(٥) حتي: تاريخ العرب المطول ص ١٤٣ (انظر النسخة العربية المترجمة ص ١٩٥).

(١) سورة التوبة — آية ٢٩

(٢) آية الجزية لم تنزل الا في السنة التاسعة بعد الهجرة (ابن تيمية — الجواب الصحيح ص ٦٥).

(٣) ابن تيمية — الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ١ ص ٦٥ القاهرة ١٧٩ هـ.

وأمانهم في داخل الدولة الإسلامية الجديدة، هم وأهلهم وأموالهم . وخير دليل على ذلك ما فعله أبو عبيدة بن الجراح لما علم بأن هرقل قد جهز لمهاجمة المسلمين كتب الى عمال المدن المفتوحة في الشام يأمرهم برد الجزية الى أهلها وكتب للناس يقول : « انما رددنا عليكم أموالكم لأنه بلغنا ما جمع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن على شرط ما كتب بيننا ان نصرنا الله عليهم » (١). الجزية ضريبة على رؤوس الأشخاص الذين يستطيعون خوض المعارك ولا يدخلونها لاختلاف دينهم فتؤخذ منهم مقابل أمان المسلمين لهم . (٢)

ولو نظرنا الى الجزية من حيث قيمتها المادية لوجدناها مبلغا رمزيا لا يحمل الطامع (اذا صح هذا التعبير) على التضحية بروحه في سبيل الحصول عليه ، فضلا عن سقوطه اذا اعتنق أهل تلك البلاد الاسلام .

ويتضح الأمر أكثر من ذلك وتسقط شبهة الطمع اذا عرفنا على من تجب ، فهي تجب على الرجل البالغ الحر العاقل القادر وتسقط عن النسوة والأطفال والعبد المملوك ودون الحلم كما أنها تسقط عن بعض القساوسة . (٣) وهنا نجد من المنصفين المستشرقين مثل د. أ. س. ترتون يذكر في كتابه الذي أسماه (أهل الذمة في الاسلام) (ان المسلمين لم يلزموا أهل الذمة ببيع ماشيتهم لسدها اذا لم يجدوا غيرها) . (٤)

ومن هنا نجد أن رحمة الفاتحين بأهل البلاد قد اضعفت حجم الجزية لدرجة أنها أصبحت لا تعتبر شيئا مهما بالقدر الذي تصوره (حتي) الذي يدفع المسلمين الى القتال .

كما أن (حتي) عندما أراد ذكر الآيات التي اعتمد عليها في دعم رأيه هذا نجده ينقلها مبتورة حتى يشوه بها حقيقة الجزية فينقل عنها قوله تعالى : « قاتلوا... من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (٥) محاولا بذلك اعطاء القارىء

(١) حال : مفتریات على الاسلام — ص ٦٧ — القاهرة ١٣٩٥ .

(٢) الماوردي : على بن محمد بن حبيب — الأحكام السطانية ص ١٤٣ القاهرة ١٣٨٦ هـ .

(٣) أبو يوسف : يعقوب بن ابراهيم — الخراج — ص ١٣٢ القاهرة ١٣٩٢ هـ .

(٤) د. ترتون . أ. س. — أهل الذمة في الاسلام — ص ٢٣٠ — ٢٧٢ .

ارثر ستالي ترتون ولد سنة ١٨٨١ تعلم في كلية مانسفيلد والقديسة كاترين واكسفورد وجوتنجن ، وعلم في مدرسة الأصدقاء في برمانا بلندن وعين مساعد أستاذ للعربية في جامعة أدنبرة عام ١٩١١ ، وقد وجه جل اهتمامه للغة وحاور رهبان الموارنة في قراءة السريانية وترجمتها الى العربية وله عدد ضخم من المؤلفات في مختلف الأحوال الشرقية وعدة بحوث وتحقيقات على بعض المؤلفات الإسلامية ومن أشهر مؤلفاته الخلفاء ورعاياهم من غير المسلمين — طبعة اكسفورد ١٩٣٠ وقد نقله الى العربية الأستاذ حسن حبشي — القاهرة ١٩٤٩ .

(٥) حتي : — تاريخ العرب المطول — ص ١٩٥ .

صورة مشوهة عن حقيقة الفتح الاسلامي وأهدافه ظنا منه أنه يستطيع الطعن في الاسلام حتى يدخل الشك في ذهن القارئ.

وكان من واجب الأمانة العلمية على (حتي) أن يذكر الآية كاملة وهي توضح طبيعة أخذ الجزية ووجوب فرضها وهي في قوله تعالى: «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون». (١)

ومن هنا يتضح أن الجزية ليست هي الهدف الذي وضعه الفاتحون نصب أعينهم انما خرجوا لأنهم يؤمنون بأن الله لو هدى رجلا واحدا لكان خيرا لهم من حمر النعم فهذا هو الأجر والأصلح لهم وليس الجزية التي زعمها (حتي).



(١) سورة التوبة — آية ٢٩.

ولا يكتفي بذلك بل يعود و يذكر (حتى) في أثناء حديثه عن أسباب الفتح الاسلامي وانتشاره فيقول :

«وقد اعتنق معظم سكان الشام والجزيرة وفارس العقيدة الجديدة لرغبتهم في الخلاص من الجزية ولمشاركة الطبقة الحاكمة ولاية الأمور» (*) — قضية الموالي —

في هذه النقطة، قد كفانا مؤونة الرد على «فيليب حتى» مستشرق مسيحي، هو السير توماس أرنولد^(١) في حديث له عن الدعوة الاسلامية وأسباب انتشارها فيقول: «إن حالة الكنيسة الشرقية التي تدهورت في ذلك الوقت من الناحية الخلقية والروحية لابد أن تكون قد دفعت كثيرين الى أن يلتمسوا جواروحيا أسلم وأصح في ذلك الدين الاسلامي»^(٢).

ثم يستطرد فيقول: «وليس هناك شاهد من الشواهد يدل على أن ارتدادهم عن دينهم القديم ودخولهم في الاسلام على نطاق واسع كان راجعا الى اضطهاد أو ضغط يقوم على عدم التسامح من جانب حكامهم المسلمين بل لقد تحول كثير من القبط الى الاسلام قبل أن يتم الفتح، وسار كثير من القبط على نهج اخوانهم بعد ذلك بسنين قليلة»^(٣).

ومن هنا يتضح أن السبب الأساسي الذي دفع أهل البلاد من المسيحيين الى الدخول في الاسلام هو حسن معاملة الحكام المسلمين ورحمتهم بأهل البلاد المفتوحة، وقد رأى أهل تلك البلاد أخلاق المسلمين وما هم عليه من نهج كريم ومعاملة حسنة سواء فيما بينهم، أو فيما يتعلق بالآخرين من غير المسلمين، ورأوا فيهم الصدق والأمانة كما رأوا في دينهم البساطة والوضوح الذي لم يعرفوه في مسيحيتهم الغامضة كما يذكر المستشرق الايطالي كيتاني حيث يقول: «إن انتشار الاسلام بين نصارى الكنائس الشرقية انما كان نتيجة شعور بالاستياء من السفسطة المذهبية»^(٤).

ويدلى المستشرق الانجليزي «ريلز» برأي آخر يدحض رأى زميله الأستاذ (حتى) فيقول في

(٥) حتى: — تاريخ العرب المطول ص ١٤٥ (أنظر النسخة العربية المترجمة ص ١٩٧).

(١) توماس أرنولد — الدعوة الى الاسلام — ص ٨٩ القاهرة ١٩٧٠ م
مستشرق انجليزي (١٨٦٤ — ١٩٣٠) تعلم في كمبردج، قضى عدة سنوات في الهند أستاذا بها وتقلب في عدة مناصب علمية فيها، هو أول من جلس على كرسي الأستاذية في قسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية في لندن (١٩٠٤) وزار مصر عام ١٩٣٠، وكان معجبا بالاسلام ومعجبا من علومه منصفاً له في أبحاثه عنه.
(العفيفي: ج ٢ ص ٥٠٤).

(٢) السفسطة: هي الادعاء الباطل الذي يقصد به تمويه الحقائق «وهي كلمة يونانية الأصل» (المنجد ص ٣٣٧).

(٣) أرنولد: — الدعوة الى الاسلام — ص ١٢٤.

(٤) الغزالي: — مع الله — ص ١٦٤، انظر أرنولد: توماس — ص ٨٩.

كتابه (معالم تاريخ الانسانية): «إن انتشار الاسلام كان يشبه ثورات على التقاليد السالفة ونضوجا في الوعي الانساني وتطلعا الى نور جديد». (١)

هذه هي الحقيقة..

اما أن تكون الجزية سببا في دخول الاسلام للأمم المغلوبة فهذا منطق بعيد التصديق .

فهذا هو عمر بن عبد العزيز يكتب الى أحد عماله وهو عبد الحميد بن عبد الرحمن يقول له :
« كتبت تسألني عن أناس من أهل الحيرة يسلمون من اليهود والنصارى والمجوس ، وعليهم جزية عظيمة وتستأذني في أخذ الجزية منهم .. وان الله جل شأنه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم داعيا الى الاسلام ولم يبعثه جابيا » . (٢)

كيف يغير المرء عقيدته و يتركها لينجو من دفع مبلغ زهيد (قدره ثمانية وأربعون درهما من المور وأربعة وعشرون من المتوسط واثنان عشر من الفقير المعدم) في العام . (٣)

كيف يترك عقيدته ليتخلص من الجزية وهو يعلم أنها كانت تؤخذ منه مقابل الأمان على روحه وأهله وماله وأنه بدخوله الاسلام سيفرض عليه الجهاد و يعرض نفسه للقتل و يرفع عنه ذلك الأمان .

أى الطريقين يكون أسلم .. أمان مقابل مال يسير؟ أم تعرض للقتل حين يخرج للقتال والجهاد مقابل الاعفاء من هذا المبلغ الرمزي؟ .. إذا لم تكن الا العقيدة هي التي دفعته الى الدخول في الاسلام .

على أنه لم يكن هناك الزام لغير القادر (الفقير) (٤)، وكانت ترد الى أصحابها اذا لم يستطع المسلمون تحقيق الأمان لهم، كما فعل أبو عبيدة مع أهل الشام حينما عجز عن صد هرقل . (٥)

كما أنهم لم يكونوا مجهدين في دفعها، انما كانت تؤخذ على الرجل القادر دون النسوة والأطفال أو الرجال المسنين (٦)، أى أنها كانت تؤخذ من الذي يستطيع أن يحمل السلاح فكانت تؤخذ منه بدلا من دخوله أرض المعركة، كما أنه هو ذاته اذا ادعى عدم القدرة على دفعها رفعت عنه . (٧)

(١) أنولد: — الدعوة الى الاسلام — ص ٨٩ .

(٢) أبو يوسف: — الخراج — ص ١٤٢ .

(٣) الماوردي — الأحكام السلطانية — ص ١٤٤، الفراء: محمد بن الحسين ص ١٥٥ .

(٤) الماوردي: الأحكام السلطانية ص ١٤٥، أبو يوسف: الخراج ص ١٣٢ تربتون: د. أ. س. — أهل الذمة في الاسلام — ص ٢٣٠ .

(٥) حمال: مفتريات على الاسلام — ص ٢١١ .

(٦) الفراء: الأحكام السلطانية ١٥٤، الماوردي: الأحكام السلطانية ص ١٤٤، أبو يوسف: الخراج — ص ١٣٢

د. تربتون — أهل الذمة في الاسلام ص ٢٣٠ .

(٧) الفراء: الأحكام السلطانية ١٥٥، الماوردي: الأحكام السلطانية ص ١٤٢، د. تربتون — أهل الذمة في الاسلام ص ٢٣٠ .

فالجزية تؤخذ من أهل الذمة كما تؤخذ الزكاة من المسلمين، ولم تكن تمثل مورداً لبيت المال بل كانت تعطى للجند المسلمين وليست على هيئة عطاء بل على هيئة أرزاق لأنها كانت تجبى نظير حماية الجند المسلمين لأهل الذمة.

وقد ذهب عدد من الفقهاء الى أن ما يؤخذ من زكاة المسلمين يزيد على ما يؤخذ من أهل الذمة في حين يحظى الجميع بحماية الدولة الاسلامية ورعايتها على قدم المساواة والعدل والرحمة. (١)

كذلك يجب على المسلم أن يدفع ربع العشر من ماله كله اذا كان نقدا لا من أرباحه وحدها، فلو كان هناك ذمي ومسلم يملك كل واحد منهما مليون درهم، لا تأخذ الدولة من هذا الذمي الا ثمانية وأربعين درهماً فحسب — وهو نصاب الغني — بينما تأخذ من المسلم خمسة وعشرين ألف درهم زكاة لماله.

هذه هي حقيقة الجزية التي يزعم أعداء الاسلام أنها كانت مظهر الاستيلاء على أموال غير المسلمين، فقد كانت في الواقع مظهر رحمة وحماية وعفة من أموال غير المسلمين مع تمتعهم بكل ما يتمتع به المسلمون من حماية لأموالهم وممتلكاتهم وأرواحهم وعقائدهم، وتمتع بحق التكافل الاجتماعي عند المرض والشيخوخة والعجز عن العمل. (٢)

ويقول الشيخ الغزالي في هذا الصدد: إن المصريين رغم انهزامهم العسكري أمام الرومان وسقوط واديهم الخصب في يد الدولة الجشعة، وبقائهم ستة قرون في قبضة حكامهم الغرباء أبوا برغم هذا أن ينهزموا روحياً أمام قوى الفاتحين وبقوا على دين غير دين الرومان ثم على مذهب غير مذهب الرومان.. وتحملوا في ذلك طوفانا من الدم جعلوه بداية لتاريخهم ثم سلسلة من التضحيات العقيمة لم يجد شيء منها في ثني عزائمهم عن العقائد التي ارتضوها، فهل يصح في الأذهان أن قوما يظلون القرون على هذه الصلابة ثم بغتة يبيعون دينهم لأنهم يرفضون البقاء عليه نظير ثمن بخس دراهم معدودة؟ (٣)



(١) أنظر د. الرئيس: محمد ضياء الدين — الخراج في الدولة الاسلامية حتى منتصف القرن الثالث الهجري —

ص ٢٢٤ — ٢٢٨ القاهرة ١٩٥٧ م.

(٢) جمال: أحمد محمد — مفتریات على الاسلام — ص ٢٢٣، ٢٢٤.

(٣) الغزالي: — مع الله — ص ١٦٤ — القاهرة ١٩٥٩ م.

يذكر (حتي) في معرض حديثه عن خلافة علي بن أبي طالب فيقول:
 «وكانت مشكلة علي الأولى هي التخلص من منافسيه في الوظيفة الكبرى (الخلافة) التي تولاهما، وهما: طلحة والزبير اللذان كان يمثلان الحزب المكي وانضمت عائشة أم المؤمنين زوج الرسول المفضلة إلى صفوف المتمردين ضد علي في البصرة، وكان قد سبق لها أن تسترت عن التمرد ضد عثمان». (*)

ثم يستطرد فيقول:

«وكرهت عائشة عليا كرها شديدا لكرامتها المجروحة للحادثة التي جرت لها يوم أن تخلفت من ركب النبي، وارتاب علي في اخلاصها حتى نزل الوحي ببراءتها». (*)

وكلام فيليب حتي يقتضينا الرد عليه في أربع نقاط هي:

- ١- تخلص علي من منافسيه في الوظيفة الكبرى (الخلافة) التي تولاهما وهما: طلحة والزبير.
- ٢- انضمام السيدة عائشة إلى صفوف المتمردين ضد علي في البصرة
- ٣- ان السيدة عائشة تغاضت أو تسترت على الثائرين ضد عثمان.
- ٤- ان الذي دفع السيدة عائشة للخروج ضد علي هو حادثة الإفك.

(١) أما الرد على النقطة الأولى فنقول:

إن (حتي) عندما يذكر أن عليا قد اهتم أول شيء بمسألة القضاء على طلحة والزبير لا ندري كيف تجرأ على هذا القول ولا أي المصادر اعتمد عليها؟! فهذا لم نعرف شيئا عنه ولم تذكر كتب التاريخ المعتمدة أن عليا قد جهز جيشا للقضاء على طلحة، والزبير، كما أنهما لم يتركا المدينة إلى مكة انكارا على البيعة لعلي أو من أجل تكوين حزب مخالف للخلافة، بل خرجا من أجل أن يبحثا عن حل يقضيان به على الفتنة والغوغاء التي عمت المدينة.

وهذا يتضح من قولهما لعائشة حين سألتهما عن سبب المجيء إلى مكة وكان جوابهما أن قالوا:
 «انا تحملنا هروبا من المدينة من غوغاء واعراب وفارقنا قوما حيارى، لا يعرفون حقا ولا ينكرون باطلا ولا يمتنعون أنفسهم» (١) ثم خرجا إلى البصرة مصطحبين معهما السيدة عائشة رجاء أن يرجع الناس إلى أمهم فيرعون حرمة النبي واحتجوا عليها بقوله تعالى (لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس) (٢) وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم في الصلح وأرسل فيه فرجت المثوبة (٣) وذلك رغبة منهم في القضاء على الفتنة التي ظهرت في الشام من أجل المطالبة بدم عثمان.

(٥) حتي: تاريخ العرب المطول ص ١٧٩ (انظر النسخة العربية المترجمة ج ١ ص ٢٣٨).

(١) الطبري ج ١ ص ٤٥٠، ابن الأثير - الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٢٠٧-٢٠٨

(٢) سورة النساء - آية ١١٤

(٣) ابن العربي - العواصم من القواصم - ص ١٥٢

- أما الآراء المختلفة التي يزعمها البعض، وانها كانت هي السبب في الخروج الى البصرة ومنها:
- أ — أنهما خرجا انكارا لبيعة علي لأنهما بايعا مكرهين .
- ب — أو لأن أول من بايع هو طلحة و يده مشلولة .
- ج — وعلى قول آخر أنهما خرجا مطالبين بدم عثمان .

فهذه الآراء والأقوال أقوال مختلفة لا صحة لها ولا نصيب لها من الواقع بدليل ما يأتي:

١ — فأما انهما خرجا انكارا لبيعة علي وأنهما بايعاه مكرهين، فالحقيقة أنهما هما أول من عرض على علي الإمامة، وقالاه : « انا لا نعلم أحدا أحق بها منك ولا أقدم سابقه ولا أقرب قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم » .^(١)

٢ — أما النقطة الثانية فيقول فيها ابن العربي : « وأما قولهم « يد شلاء » لوصح فلا متعلق لهم فيه، فان يدا شلت في وقاية رسول الله صلى الله عليه وسلم يتم لها كل أمر و يتوقى بها من كل مكروه » .^(٢)

٣ — أما القول بأنهما لم يخرجوا الا من أجل الأخذ بثأر عثمان فهذه فرية ملفقة فهما يعرفان حق المعرفة أن المطالب بدم لا يصح أن يحكم على المطلوب منه، وتهمة الطالب للقاضي لا توجب عليه الخروج عليه .^(٣)

(٢) أما النقطة الثانية وهي القول بانضمام عائشة الى مقاومي علي فهذا قول لا تؤيده المصادر والمراجع التاريخية :

وفي الحقيقة أن السيدة عائشة قد لاقت من محاولات الطعن في شخصيتها والنيل منها الكثير.. وهذه حقيقة لا بد منها لأنها رضى الله عنها قد كانت أحب النساء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقد حظيت بالشئ الكثير من الحب والتقدير منه صلى الله عليه وسلم، مما أوغر قلوب الحاسدين عليها فحاولوا أن يسلبوها شيئا من هذا التقدير وأن يضعوها في درجة غير التي وضعها فيها الله ورسوله وهيئات أن يستطيعوا ذلك، والله الذي حفظها من أفك المنافقين قد نجاها وحفظها من افتراءات المؤرخين، وشاء الله العلي القدير أن يحفظ لها بين ثنايا أسطر التاريخ من الأدلة والبراهين ما ينفي عنها كل افتراء وزيف، فقد قال عنها عروة بن الزبير: « لو لم يكن لعائشة من الفضائل الا قصة الافك لكفاها ذلك فضلا وعلو مجد فانها نزل فيها من القرآن ما يتلى الى يوم القيامة » .^(٤)

(١) ابن العربي — العواصم من القواصم — ص ١٤٤، انظر تاريخ الطبري ج ٤ صفحة ٤٢٧ — ٤٢٨ .

(٢) ابن العربي — العواصم من القواصم — ص ١٤٤ .

(٣) ابن العربي — العواصم من القواصم — ص ١٦٤ .

(٤) الذهبي : شمس الدين أبو عبد الله — طبقات الحفاظ — ج ١ ص ٢٧ بيروت دار احياء التراث .

فإن الحقيقة التي ينبغي أن تعرف عن خروج السيدة عائشة مع طلحة والزبير فإنها تستند الى ما ورد من نصوص في المراجع والمصادر التاريخية التي يمكن الاعتماد عليها والتي لها قيمتها في عرف المؤرخين ونظرهم، وخلاصتها أنها خرجت للصلح بين طائفتين متنازعتين من المسلمين والأدلة على ذلك ما يأتي:

(١) يذكر ابن العربي أنهم خرجوا في جمع طوائف المسلمين وضم نشرهم وردهم الى قانون واحد حتى لا يضطربوا فيقتتلوا وهذا هو الصحيح ولا شيء سواه. (١)

(٢) إن الإمام عليا رضي الله عنه لما أرسل القعقاع بن عمرو لهم يسألهم عن سبب شخوصهم الى البصرة، بدأ القعقاع بالسيدة عائشة رضي الله عنها فسلم عليها وقال: أي أمة، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني اصلاح بين الناس.. فلما سأل القعقاع طلحة والزبير أمتبعان هما أم مخالفان فقالا: متبعان. (٢)

(٣) لما خرجت السيدة عائشة مع طلحة والزبير فأتت الحفيرة فأتاها أهل البصرة وسألوها عن سبب حضورها فقالت: (والله ما مثلي يغطي لبنه الخبر، ان غوغاء المدينة ونزاع القبائل قد غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدثوا فيه وآووا المحدثين فاستوجبوا لعنة الله ولعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما نالوا من قتل امام المسلمين بلا تره، ولا عذر، فاستحلوا الدم الحرام وسفكوه وانتهبوا المال الحرام وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء وما الناس فيه وراءنا وما ينبغي لهم من اصلاح هذه القصة، وقرأت «لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس» (٣) فهذا شأننا الى معروف نأمركم به ومنكر ننهاكم عنه). (٤)

(٤) ويقول ابن العربي: (فخرج طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين — رضي الله عنهم — رجاء أن يرجع الناس الى أمهم فيرعوا حرمة نبيهم واحتجوا عليها بقوله تعالى «لا خير في كثير من نجواهم» (٥).

(٥) ويروي عاصم بن كليب الجرمي عن أبيه فيقول: (.. فقال لنا أصحابنا من أهل البصرة: ما سمعتم اخواننا من أهل الكوفة يريدون و يقولون؟ فقلنا يقولون: خرجنا للصلح وما نريد قتالا). (٦).

(١) ابن العربي ص ١٥١ .
(٢) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٤٨٨ .
(٣) سورة النساء — آية ١١٤ .
(٤) ابن الأثير ج ٣ ص ٢١١ .
(٥) ابن العربي ص ١٥٢ .
(٦) تاريخ الطبري — ج ٤ ص ٤٩٢ .

(٦) يروي الطبري أن أحد أجناد طلحة والزبير وهو أبو الحرباء سأل الزبير بن العوام أن يرسل ألف فارس الى علي فقال الزبير: «يا أبا الحرباء أنا لنعرف أمور الحرب، ولكنهم أهل دعوتنا، وهذا أمر حدث في أشياء لم تكن قبل اليوم وهذا أمر من لم يلحق الله عز وجل فيه بعذر انقطع عذره يوم القيامة ومع ذلك انه قد فارقنا وأفدهم على أمر، وأنا أرجو أن يتم لنا الصلح فابشروا واصبروا». (١)

(٧) ويذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مختصر سيرة الرسول عن ذلك فيقول: «والتقى الفريقان كل منهم لا يريد الا الاصلاح ولكن في العسكر ناساً من الخوارج فخافوا قتلوا العسكريين عليهم، فتحيلوا حتى أثاروا الحرب بينهم من غير رأى». (٢)

(٨) ويروي صاحب فتح الباري في شرحه لصحيح البخاري ويقول: «ان أحدا لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا علياً في الخلافة، ولا دعوا لأحد منهم ليولوه الخلافة». (٣)

فهذا هدفهم حين الخروج ولم يكن لديهم غيره، وكادوا ينجحون في مهمتهم لولا أن كان في الجيش جماعة من قتلة عثمان فخافوا على أنفسهم الواقعة وخشوا إن حصل الصلح أن يفتضح أمرهم فتشاوروا في الأمر واففقوا على أن يفاجئوا كلا الطرفين ويقتلوا منهم فيسيء بعضهم الظن بالآخر فيفسد الصلح وينجوا هم بأنفسهم.. وهذا ما حفظته لنا كتب التاريخ أيضا..

فيروي الطبري في هذا الصدد عدة أقوال تثبت ذلك:

١ — فيقول الطبري: إنه بعد أن انتشر خبر الصلح وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعاقبة من الذي اشرفوا عليه، و بات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قط، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها حتى اجتمعوا على انشاب الحرب في السر. (٤)

٢ — كما يروي أيضا أن الثوار قالوا بعد علمهم بالصلح: أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما، وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم ورأي الناس فينا والله واحد وأن يصطلحوا فعلى دماننا فهدموا، فلنتواثب على علي نلحقه بعثمان فتعود فتنة. (٥)

٣ — ويروي أيضا عن شريح بن أوفى أن الثوار قالوا: أبرموا أموركم قبل أن تخرجوا.. فانا عند الناس بشر المنازل، فلا أدري ما الناس صانعون غدا اذا ما هم التقوا. (٦)

(١) تاريخ الطبري — ج ٢ ص ٤٩٥ .

(٢) ابن عبد الوهاب: محمد — مختصر السيرة — ص ٤٩٤ — القاهرة ١٣٧٩ هـ .

(٣) علي شعوط: — كتاب أباطيل يجب أن تمحي من التاريخ ص ١٧٢ .

(٤) الطبري ج ٤ ص ٥٠٦ .

(٥) الطبري ج ٤ ص ٤٩٣ .

(٦) الطبري ج ٤ ص ٤٩٤ .

٤- كما روى أيضا عن عبد الله بن سناء المعروف بابن السوداء فقال: يا قوم ان عزكم في خلطة الناس صانعوهم واذا التقى الناس غدا فانشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر، فاذا من أنتم معه لا يجد بدا من أن يمتنع، ويشغل الله عليا وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون فأبصروا الرأي، وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون. (١)

هذا ما كان من شأن طلحة والزبير والسيدة عائشة - رضى الله عنهم - وموقفهم من علي ابن أبي طالب، لا كما ذكره (فيليب حتي) من غير أن يدرس القضية دراسة علمية دقيقة.

(٣) وأما قول (حتي) ان عائشة قد تسترت أو تواطأت مع الثائرين على عثمان بن عفان، فالحقيقة أن السيدة عائشة لم تكن قد تسترت على الثائرين ضد عثمان كما يزعم (حتي) بل إنها قد أسفت وندمت كل الندم على موت عثمان فهي القائلة: «واغضب لكم من السوط ولا أغضب لعثمان من السيف؟ استعبتموه حتى اذا تركتموه كالقند المصفى ومصيتموه موص الاناء، وتركتموه كالثوب المنقى من الدنس، ثم قتلتموه» قال مسروق قلت لها: عملك: كتبت الى الناس تأمرينهم بالخروج عليه، قالت عائشة: «والذي آمن به المؤمنون، وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوادا في بياض». قال الأعمش: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها (٢) وهذا الأرجح والأصح، فعائشة لم تصل الى هذه المنزلة بأن تكتب وتحرض الناس على الخروج على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم نر هناك سببا يدفع بأم المؤمنين أن تؤلب على أولادها المبشرين بالجنة وهي زوجة المصطفى، فهي القائلة عندما وصلت المربد لغرض الصلح كما تقدم: «وكان الناس يتحدثون على عثمان و يذرون على عماله و يأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم، فننظر في ذلك، فنجده بريئا نقيًا تقيا، ونجدهم فجرة غدره كذبة وهم يحاولون غير ما يظهرون». (٣)

(٤) أما ادعاء (حتي) في أن السبب الأساسي في خروج أم المؤمنين رضى الله عنها الى البصرة هو الحقد الذي تركه ارتياب علي في سلوكها رضى الله عنها (حديث الافك) فهذا ادعاء باطل ومردود، لأن عليا رضى الله عنه لم يبد ارتيابا ولن يكون في سلوك رجل كعلي أن يرتاب في سيدة مثل عائشة.

فموقف علي بالنسبة للسيدة عائشة في حديث الافك كان موقفا صريحا لم يظهر فيه شك أو ارتياب بالنسبة لها، ولم يصدر عنه ما يجعل السيدة عائشة تحقد عليه فعندما سأله الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن رأيه في عائشة أشار عليه بما يطمئن الرسول صلى الله عليه وسلم و يوصله الى

(١) الطبرى ج٤ ص ٤٩٤.

(٢) ابن العربي - العواصم من القواصم - ص ١٣٦.

(٣) ابن الأثير - ج٣ ص ٢١٣.

براءة عائشة قبل الوحي حيث قال له: (يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال: أى بريرة هل رأيت من شىء يريبك؟ قالت: له بريرة: والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغمطه، غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الدواجن فتأكله). (١)

أى شىء هنا يدعو الى الحق؟ وهو الذي أشار على الرسول بهذا الرأي الذي كان من نتيجة أنها ذكرت بخير ونفى عنها سوء.

كما أن قلب السيدة عائشة قد كان مليئاً بالإيمان وليس به مكان للحقد أو الضغينة على مسلم فضلاً عن علي صاحب الرأي والمكانة والسبق في الاسلام.

فلو كان في قلب عائشة مكان للحقد لكان حسان بن ثابت أولى به من علي بن أبي طالب، فيروي أبو الأعلى المودودي في تفسير سورة النور مدى تقدير السيدة عائشة لحسان بن ثابت فيقول: (وكانت عائشة رضى الله عنها دوماً تبدي عطفها على حسان بن ثابت ولا تقابلهم الا بالاحسان والتواضع وتلقى له الوسادة عندما يدخل عليها مع أن حساناً من الذين أذاعوا حديث الافك — ولما ذكَّرها بعض الناس مرة بما فعل قالت: «انه كان يدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم» وقالت مرة أخرى: «ما سمعت بشعر أحسن من شعر حسان ولا تمثلت به الا رجوت له الجنة».) (٢)

ويعلق الدكتور ابراهيم شعوط على ذلك فيقول: (فاذا كان هذا هو موقفها من حسان، الذي خاض مع الخائضين، وقالت في شأنه انه كان يدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفلا يكون تقديرها أكبر لعل بن أبي طالب، الذي كان يريد تفريج كرب الرسول صلى الله عليه وسلم واخراجه من الهم الذي شغله بقوله: «النساء غيرها كثيرات» (٢) ولم يرد طعنا في عائشة بمقدار ما كان يريد ابعاد الحزن عن الرسول صلى الله عليه وسلم). (٤)

وقد سجلت كتب التاريخ رأي السيدة عائشة في علي بصورة صريحة، فقالت للناس بعد موقعة الجمل (بالنسبة لعل): «يا بني لا يعتب بعضنا على بعض انه والله ما كان بيني وبين علي في القديم الا ما يكون بين المرأة واحمائها، وانه على معتبتي لمن الاخيار» فقال علي: صدقت وبرت وانها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة. (٥)

(١) صحيح البخارى — ج ٦ ص ١٥١.

(٢) المودودي: أبو الاعلاء — تفسير سورة النور ص ١٢٤ — بيروت دار الفكر.

(٣) ابن الأثير ج ٣ ص ١٩٧.

(٤) د. شعوط: — أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ — ص ١٧٠.

(٥) ابن الأثير ج ٣ ص ٢٥٨.

فان قرية متهافنة مثل هذه القرية بعد ما عرفنا معاملتها لحسان بن ثابت و بعد ما عرفنا صفح أبيها عن مسطح بن أثاثه أحد أقاربه الذي كان ينفق عليه من ماله وكان من الخائضين في حديث الافك، فحلف أبو بكر ألا ينفق عليه من ماله بعد ذلك، ولكن لما نزل قوله تعالى «ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليصفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم». (١)

وسمعا أبو بكر رضي الله عنه، فقال: «إني لأحب أن يغفر الله لي» وأعطى مسطحا أكثر مما كان يعطيه.. ولا شك — والولد سر أبيه — أنها سمعت قوله تعالى: «ألا تحبون أن يغفر الله لكم» وآثرت أن يغفر الله لها بعفوها عن المسيء بدليل عفوها عن حسان. (٢)

كيف لا تصفح وقلبها كله مفعم بالعلم والايمان؟ كيف لا تصفح عن أبنائها المؤمنين وهي أمهم المقربة من نبيهم حيث قال حين سئل: (يا رسول الله، أى الناس أحب اليك.. قال: عائشة..). (٣)

ويروى هشام عن أبيه قال: ما رأيت أحدا من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال وحرام ولا بشعر، ولا بحديث العرب ولا بالنسب من عائشة (٤) وكانت عائشة من أعلم الناس يسألها أكابر الصحابة (٥) و يروى أبو بردة بن أبي موسى عن أبيه قال «ما أشكل علينا — أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم — حديث قط فسألنا عائشة الا وجدنا عندها منه علما». (٦)

فهل يوجد مكان للحقد في قلب قد ملئ علما وايمانا؟
إذا لم يبق بعد ذلك الا أن تؤمن دائما، بأن السيدة عائشة أم المؤمنين وسيدة نساء العالمين أبعد ما تكون عما نسب اليها في هذه الدعوى بالنسبة لعلي رضي الله عنه. (٧)



(١) سورة النور — آية ٢٢ .

(٢) د. شعوط: — أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ — ص ١٧١ .

(٣) ابن ماجه: ابو عبدالله محمد بن يزيد — سنن بن ماجه جـ ١ ص ٣٨ بيروت ١٣٧٢ .

(٤) طبقات الحفاظ للذهبي ط ١ ص ٢٧ .

(٥) المصدر السابق .

(٦) المصدر السابق .

(٧) د. شعوط: ابراهيم — ص ١٧١ .

الفصل الثالث

بعض آراء "حتي" في عصر بني أمية وبني العباس والرد عليها ١

لقد أخذ (حتي) على معاوية عدة أمور منها:

أولاً: حمله الحسن على التنازل

ثانياً: جعل الخلافة ملكاً عضوضاً بتولية ابنه يزيد.

(واعتزل في المدينة إلى حياة الراحة والمتعة وهي خطوة أغراه بها ضمان معاوية بأن يقدم له هبة وعطاء عظيمين، واشترط الحسن أن يحمل إليه خمسة ملايين درهم من بيت مال الكوفة). (*)

إن «فيليب حتي» حين قرأ ما روته بعض الكتب العربية من اغراء معاوية للحسن بالمال نظير تنازله عن الخلافة ولم يدلل أن هذه الروايات التي وردت في الكتب التي نقل عنها لم تكن على درجة وافية من الحقيقة لوجود روايات أخرى بجانبها تناقضها ولم يكن روايتها ممن يوثق بهم، فكان من واجبه كباحث أن يدرس المراجع الأخرى التي ذكرت ما يخالف ذلك حتى يصل إلى حقيقة ثابتة.

ونحن نذكر الروايات التي تجاهلها «حتي» لنبين للقارئ أن ما ذهب إليه (حتي) غير صحيح فنثبت هذه الروايات التي تدل على أن الحسن قد تنازل عن حقه في الخلافة حقناً للدماء لا نظير مبلغ من المال يتقاضاه من معاوية.

ومن هذه الأقوال التي تثبت أن الحسن قد تنازل حقناً للدماء :

- ١- أن الحسن أرسل إلى معاوية يبذل له تسليم الأمر إليه على أن تكون له الخلافة بعده وعلى ألا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه (دم عثمان). (١)
- ٢- لما رأى الحسن أن الأمر عظيم تراق فيه الدماء ورأى اختلاف أهل العراق سلم الأمر إلى معاوية وعاد إلى المدينة. (٢)
- ٣- وكان الحسن يقول: «ما أحببت أن ألي أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أن يراق في

(٥) حتي: - تاريخ العرب المطول - ص ١٩٠ - (أنظر النسخة العربية المترجمة ج ١ ص ٢٥٢).

(١) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن - أسد الغابة - ج ٢ ص ١٢ دار الشعب القاهرة.

(٢) أسد الغابة ج ٢ ص ٢١١.

ذلك محجمة دم». (١)

٤ — ان الحسن قال لعبد الله بن جعفر: انى رأيت رأيا أحب أن تتبعني عليه قلت: ما هو؟ قال: رأيت أن أعمد الى المدينة فأنزله وأخلى الأمر لمعاوية فقد طالت الفتنة وسفكت الدماء وقطعت السبل فقال عبد الله بن جعفر جزاك الله خيرا. (٢)

٥ — فلما وافقه أخوه الحسين على التنازل لمعاوية، بعد معارضة بسيطة، قام الحسن وقال: «يا أيها الناس أنى كنت أكره الناس لأول هذا الحديث وأنا أصلح آخره لذى حق أدبت اليه حقه، أحق به منى أو حق حدث به لصالح أمة محمد صلى الله عليه وسلم. (٣)

٦ — و يقول ابن الجوزى: «ثم بايع الناس الحسن بن على رضى الله عنهما، ثم كره سفك الدماء فتخلى عن الأمر لمعاوية وانخلع وبايعه». (٤)

٧ — و يعلق المستشرق ولهاوزن على التنازل و يقول: «ولم يكن الحسن يرغب في الحرب وأن من قواته أربعين ألف رجل يتحمسون للقتال». (٥)

وهنا ظهرت المعجزة النبوية في قوله صلى الله عليه وسلم: «ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين». (٦)

فهذا هو الدافع الذي دفع بالحسن الى التنازل وهو رغبة منه في حقن دماء المسلمين، ولم شعث الأمة وجمع كلمتها وابعادها عن الفرقة التي تمزق أواصرها، وليس العطاء المادي الذي ظنه (حتي) وغيره من المفرضين أو الناقلين، ثم أى شرف أعظم من شرف من سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم «سيدا»؟! فهذا يكفيه فخرا وشرفا من الخلافة.

ولم يكن تنازل الحسن عن الخلافة تخليا عن واجب أو اهمال حق الأمة المحمدية أو تركها لغير كفاء فهو بتنازله هذا كان يرى في معاوية الكفاءة لهذه المسؤولية الأمين على مصالح الأمة كما كان يرى في ذلك في نفسه.

وهذا ما يظهر من تعليق الحافظ ابن حجر على حديث (ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) فيقول ابن حجر: (تساوى بينهم في الاسلام — وقال فئتين — ولم يذكر مرجحا لاحدهما اعلاما باستوائهما في أصل الثواب). (٧)

(١) أسد الغابة ج ٢ ص ١٤.

(٢) ابن حجر العسقلاني — الاصابة — ج ١ ص ٣٣١، و يزيد تهذيب التهذيب جزاك الله عن أمة محمد خيرا وأنا معك على هذا الحديث ج ٢ ص ٢٩٩.

(٣) ابن الجوزى: جمال الدين أبو الفرج — تلقيح فهم أهل الأثر — ص ٨٢ القاهرة ٧٥ م.

(٤) ابن حجر العسقلاني — تهذيب التهذيب — ج ٢ ص ٣٠٠.

(٥) ولهاوزن: يوليوس — الدولة العربية وسقوطها — ترجمة يوسف العثي ص ٨٧ دمشق ١٩٥٦ م.

(٦) البخارى — كتاب «فضائل الصحابة» ج ٤ ص ٢١٦.

(٧) ابن حجر الهيتمي — تطهير الجنان — ق ١٢.

«ورغم مناقب معاوية الا أنه لم يكن مفضلا عند كثير من المؤرخين الذين وصلت كتبهم اليينا فقد اعتبروه أول ملك في الاسلام... واتهموه بأنه جعل الخلافة ملكا (أى سيادة دنيوية)». (٥)

إن (حتي) عندما نقل عن ابن خلدون فانه لم يفهم رأى ابن خلدون في هذا الموضوع أو فهمه ولكنه تجاهل ما قصده ابن خلدون، تاركا واجبه كباحث يجب عليه النقل بأمانة حتى يظهر الحق ويذهب الباطل.

فابن خلدون عندما ذكر هذا نراه يقول بعد ذلك: «فقد رأيت كيف صار الأمر الى الملك وبقيت معاني الخلافة، من تحرى الدين ومذاهبه والجرى على منهاج الحق». (١)

ونراه أيضا في مكان آخر من مقدمته نفسها يعلل قيام معاوية بهذا الأمر فيقول: (إن الذي دعا معاوية لا يثار ابنه يزيد بالعهد دون سواه انما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس، واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حيثئذ من بني أمية وبنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم، وهم عصابة قريش، وأهل الملة أجمع، وأهل الغلب منهم فأثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بها. وعدل عن الفاضل الى المفضول حرصا على الاتفاق، واجتماع الأهواء الذي شأنه أهم عند الشارع). (٢) ولكن (حتي) تجاهل هذا كله واكتفى بهذه الكلمة فقط محاولا الطعن في خليفة مثل معاوية رضى الله عنه، وفي الحقيقة أن البعض الذين حاولوا الطعن في معاوية من هذه الزاوية، قد وصفوه بالخروج عن المألوف فاعتبروا تولية معاوية لابنه يزيد الخلافة خروجاً عن سابقه وانه قد ابتدع بدعة لم يعرفها المسلمون وأنه قد قضى على نظام الخلافة الاسلامي واستعاض عنه بنظام الملك الكسرى وبفعله هذا قد قام بعملين منكرين معا: الأول: انه عين الخليفة قبل الوفاة. الثاني: انه لم يختار غير ابنه يزيد مع وجود الصحابة.

وقبل أن نعرف الدوافع التي دفعت بمعاوية لسلوك هذا المسلك نرى أنه من الواجب علينا أن نعرف: من هو معاوية؟؟

إن المنصفين الذين تحدثوا عن معاوية في ضوء العدل والحق يضعونه في المكان اللائق به: ١- يقول القاضي ابن العربي: «واما معاوية فعمر ولأه وجمع لها الشامات كلها وأقره عثمان بل انما ولأه أبوبكر الصديق رضى الله عنه لأنه ولى أخاه يزيد واستخلفه يزيد فأقره عمر

(٥) حتي: — تاريخ العرب المطول — ١٩٧ (أنظر النسخة العربية المترجمة ص ٢٦٠).

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٥.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٢١٠.

لتعلقه بولاية ابي بكر لأجل استخلاف واليه له فتعلق عثمان بعمر وأقره فانظروا الى هذه السلسلة.. ما أوثق عراها ولن يؤتى مثلها أبدا بعدها»! (١)

٢ — و يذكر البلاذري « ان النبي صلى الله عليه وسلم ولي معاوية شيئا من عمله قبل أن يوليه أبو بكر وعمر». (٢)

٣ — و يقول عنه ابن عباس رضى الله عنهما : « ما رأيت أحدا أخلق بالملك من معاوية ». (٣)

٤ — و يروى عنه سعد بن أبي وقاص وهو أحد العشرة : « ما رأيت أحداً بعد عثمان أقضى بحق من صاحب هذا الباب — يعنى معاوية — ». (٤)

٥ — و يروى الامام الترمذي أن عمر بن الخطاب لما عزل عميراً بن سعد الانصاري الأوسى عن حمص وولى معاوية مكانه قال الناس : عزل عمير وولى معاوية فقال عمير في خلفه على عمله : لا تذكروا معاوية الا بخير فأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اهد به . (٥) وعمير كان من الزهاد وقد وصفه عمر بن الخطاب بأنه نسيج وحده . (٦)

٦ — و يقول الامام ابن تيمية عن معاوية : (كانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار سير الولاة وكانت رعيته يحبونه وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم »). (٧)

٧ — إن معاوية رضى الله عنه يعد من رواة الحديث وقد روى عنه من الصحابة طائفة وجماعة من التابعين بالحجاز والشام والعراق (٨) . فقد ذكر ابن حزم أنه روى مائة وثلاثة وستين حديثاً . (٩)

ونحن عندما نجد أحداً من الصحابة راوية لحديث رسول الله لا نحتاج لكثير من الجهد في اثبات عدالته وبلوغه صفة الكمال ، وانه قد بلغ حداً من الثقة التي لا تقبل شكاً ولا يليق معها الجدل في

(١) ابن العربي — العواصم من القواصم — ص ٨١ .

(٢) البلاذري — فتوح البلدان — ص ٤٨ .

(٣) الطبرى — ج ٥ ص ٣٣٧ .

(٤) ابن كثير ج ٨ ص ١٣٣ .

(٥) ابن العربي ص ٨٣ الهامش .

(٦) المصدر السابق .

(٧) منهاج السنة ج ٣ ص ١٨٩ .

(٨) د. شعوط — أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ الاسلامي — ص ٢٣٤ .

(٩) مخطوط أسماء الصحابة والرواة وبالكامل واحد من العدد — بن حزم الظاهري رقم الايداع ٢٥٤ دار الكتب المصرية

شأن رواية الحديث وخاصة اذا كانوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . (١)

٨- و يروى الأوزاعى فيقول عن معاوية : « ادركت خلافة معاوية جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينتزعوا يداً من طاعة ولا فارقوا جماعة ، وكان زيد بن ثابت يأخذ العطاء من معاوية » . (٢)

٩- و يصفه أبو الدرداء لأهل الشام فيقول : « ما رأيت أحداً أشبه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمامكم هذا — يعنى معاوية — » . (٣)

١٠- و يروى ابن تيمية قال : كنا عند الأعمش فذكروا عمر بن عبد العزيز وعدله فقال الأعمش : فكيف لو أدركتم معاوية ؟ قالوا : في حلمه ؟ قال : لا والله في عدله ؟ . (٤)

١١- و يقول ابن حجر الهيتمي عن معاوية : « فوجبت محبته (معاوية) لهذه الأمور التي اتصف بها بالاجماع منها شرف الاسلام وشرف الصحبة وشرف النسب وشرف مصاهرته له صلى الله عليه وسلم المستلزمة لمرافقته له صلى الله عليه وسلم ولكنه معه فيها وشرف العلم والحلم والامارة ثم الخلافة بوحدة من هذه تتأكد المحبة لأهلها فكيف اذا اجتمعت ؟ » . (٥)

١٢- و يقول ابن حجر أيضاً : « وقد شكوا أهل الأقطار كثيراً من ولايتهم الى عمر وعثمان فعزلاً عنهم من شكوكهم وان جلت مراتبهم وأما معاوية فأقام في امارته على دمشق والشام هذه المدة الطويلة فلم يشك أحد منه ولا اتهمه أحد بجور ولا مظلمة » . (٦)

هذا معاوية وهذا وضعه بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين معاصريه تقدير وثقة واعجاب فهل يجدر به أن يحيد عن الصواب ؟

أما عن اختياره خليفة له قبل وفاته فنقول : إنما الذي فعله من تعيين الخليفة قبل الوفاة إنما فعله اقتداء بما فعل أبو بكر من اختيار الخليفة للمسلمين قبل وفاته ، وبما قاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين قيل له اعهد بالخلافة فقال : « ان أعهد فقد عهد من هو خير منى وان أترك فقد ترك من هو خير منى » وإنما فعل ذلك أبو بكر وعمر لعلمهما انهما مسؤولان أمام الله عن اختيار خليفة المسلمين قبل وفاتهم .

(١) د. شعوط — ص ٢٣٤ .

(٢) ابن عبد البر — الاستيعاب ج ٣ ص ١٤٢ القاهرة — دار الشعب .

(٣) أحمد بن عبد الحليم — منهاج السنة ج ٣ ص ١٨٥ — القاهرة ١٣٢١ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) ابن حجر الهيتمي : تطهير الجنان واللسان عن الخطورة والتفوه بمثالب معاوية بن أبي سفيان — مخطوط رقم ٢٥٠ ايداع . مكتبة الجامعة بمكة ق ٣ .

(٦) المصدر السابق ق ١٢ .

وكذلك فعل معاوية خشية أن تقع الفتنة بعد وفاته في اختيار من يخلفه فيتصدع بنيان الدولة وتتفرق وحدة الأمة كما حدث بعد وفاة عثمان .

إنما الذي فعله من تعيين الخليفة قبل الوفاة إنما فعله بقوة إيمانه وصدق سريرته ولقد كان لديه الدافع لذلك وما يجيز له ذلك .. فلو أردنا أن نعرف ما هو الدافع الذي دفع بمعاوية للتعيين قبل وفاته؟ وهل كان له دليل يعتمد عليه لتعيين خليفة للمسلمين قبل وفاته؟ لوجدنا أن الدافع والدليل موجودان، وليس معاوية ذلك الذي يتخلى أو يحيد، فالدافع الذي دفع بمعاوية الى اختيار خليفة وتعيينه في حياته هو قوة إيمان معاوية وحرصه الشديد على هذه الأمة، وأنه وجد نفسه مكلفا بها فهو وليها، والأمين على مصالحها، فإن كان هذا في حياته فلا بد من أن يسأل عنه حتى بعد وفاته، ولا بد له أن يطمئن على أمنها . وأن يقوم على حفظ مصالحها .

فمعاوية كان يرى ذلك كله من واجبه، فخاف أن يتخلى عن شيء منه وخشى على الأمة أن تقع في فتنة وافتراق كلمة، مثلما حدث بعد عثمان وكان يريد أن يضع حلا لمسألة الخلافة وإيجاد سلطة دائمة للإسلام، وبصنيعة هذا أبعد الأمة عن شر الاختلاف .. فهل ينكر عليه ذلك؟ .. إن السابقين لم يضعوا قانونا لانتخاب الخلفاء ولم يرسموا قاعدة ثابتة يلتزم بها المسلمون، فليس في تصرف معاوية خروج على المألوف ولا مجاوزة لقاعدة، لكنه اجتهد ترسم فيه طريق من سبقوه وذلك ما فعله أبو بكر حين اختار عمر للخلافة من بعده بمحض من الصحابة فأجازوه ولم ينكروه — وهو دليله في عمله هذا — فهم يعلمون أن طاعة الخليفة واجبة عليهم فيما يراه صالحا لهم فهم راضون بأبي بكر راضون بمن اختاره لهم من بعده وهم أيضا رضوا بمعاوية ووثقوا به، فلا بد أن يثقوا فيما ينظر لهم من مصلحة .

ونعتمد في تأييد وجهة نظرنا هذه على ما أورده ابن خلدون في مقدمته حيث قال : « ولا يتهم الإمام في هذا الأمر إن عهد إلى أبيه أو ابنه، لأنه مأمون على النظر لهم في حياته، فأولى ألا يحتمل فيها تبعة بعد مماته » .

ثم يقول : وان كان لا يظن بمعاوية غير هذا فعدالته وصحبته مانعة من سوى ذلك، وحضور أكابر الصحابة لذلك، وسكوتهم عنه، دليل على انتفاء الريب عنه فليسوا ممن تأخذهم في الحق هواده وليس معاوية ممن تأخذ العزة في قبول الحق فانهم (كلهم) أجل من ذلك وعد التهم مانعة منه . (١)

(١) مقدمة ابن خلدون ج ٢ ص ٥٥٣ .

ولعل ما حمل معاوية من تولية ابنه يزيد انه لم يقدمه على غيره لمجرد أنه ابنه وان عاطفة الابوة هي التي دفعته الى ذلك، وانما اختاره لما عهد فيه من كفاءة وفضل وعدل، فقد روى عنه أنه قال في احدى خطبه عند بيعة يزيد: «اللهم ان كنت انما عهدت ليزيد لما رأيت من فضله فبلغه ما أملت وأعنه، وان كنت انما حملني على ذلك حب الوالد لولده وانه ليس بأهل فأقبضه قبل أن يبلغ ذلك». (١)

ولماذا لم يختار معاوية الا يزيدا ولم يختار أحدا من الصحابة فنقول: إن هذا لا ينقص صحة بيعة يزيد فقد قال الفقهاء في ذلك وأجازوا بيعة المفضول مع وجود الأفضل. (٢)



(١) العصامي: عبد الملك بن حسن: سخط النجوم العوالى ج٣ ص ٥٤ المكتبة السلفية — القاهرة.

(٢) ابن العربي ص ٢١١.

أما الغرية التي افتراها (حتي) على عبد الملك بن مروان فهي أنه: «قد ابتنى في بيت المقدس قبة الصخرة وكان غرضه أن يحول إليها أفواج الحجاج من مكة والتي استقر بها منافسه ابن الزبير». (٥)

قبل أن أبدأ في الرد على (حتي) رأيت أن أبين من هو عبد الملك بن مروان في أوثق المراجع وعند أعدل الرواة.

- ١ — قيل لابن عمر: من نسأل بعدكم؟ قال: ان لمروان ابنا فقيها فسلوه. (١)
- ٢ — وقال عنه ابن عمر أيضا: «ولد الناس أبناء وولد مروان أبا». (٢)
- ٣ — و يصفه صاحب فوات الوفيات أنه كان عابدا ناسكا. (٣)
- ٤ — و يدعوه أهل الأثر أنه من أفقه أهل المدينة فقال أبو الزيادة: «فقهاء المدينة أربعة: سعيد ابن المسيب، وعروة بن الزبير، وقبيصة بن زويب وعبد الملك بن مروان» (٤)
- ٥ — وقال جرير بن حازم: سمعت نافعا يقول: «لقد رأيت المدينة وما بها أشد تشميرا ولا أفقه ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك» وقال: «ولا أطول صلاة ولا أطلب للعلم». (٥)
- ٦ — و يروى ابن حجر في تهذيب التهذيب أيضاً عن اسماعيل بن خالد قال: «ما جالست أحداً الا وجدت لي الفضل عليه الا عبد الملك فأنى ما ذاكرته حديثا الا زادني فيه». (٦)
- ٧ — وهذا مالك (٧) رضى الله عنه قد احتج بقضاء عبد الملك بن مروان في موطأه وأبرزه في جملة قواعد الشريعة. (٨)

(٥) حتي: تاريخ العرب المطول — ٢٢٠ (أنظر النسخة العربية المترجمة ص ٢٨٦).

(١) ابن حجر — تهذيب التهذيب — ج ٦ ص ٤٢٢.

(٢) الكتبي — محمد بن شاكر — فوات الوفيات ج ٢ ص ٣٢ بيروت ١٩٧٣، ابن كثير ج ٩ ص ٦٢.

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٣١.

(٤) ابن الأثير ج ٤ ص ٥٢٠، فوات الوفيات ج ٢ ص ٣١.

(٥) ابن الأثير ج ٤ ص ٥٢٠.

(٦) ابن كثير ج ٩ ص ٦٢.

(٧) هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري (٩٣—١٧٩هـ) أمام دار الهجرة واليه تنسب المالكية (أنظر الاعلام ج ٦ ص ١٢٨).

(٨) موطأ مالك ج ٢ ص ١١٦، ص ١٤٦ — القاهرة ١٣٧٠.

هذا هو عبد الملك كما تراه أوثق المراجع وأعدل الرواة.

ثم بعد ذلك نرد على افتراءات (حتي) ونقول:

إن (حتي) في فريته هذه قد اعتمد على ما انفرد به اليعقوبي^(١) من هذه الرواية فلم يذكرها أحد غيره، فلا ينبغي الأخذ بها لما عرف من تشيع هذا الكاتب وما عرف من الخصومة القائمة بين أهل السنة والشيعة.

تلك التهمة التافهة أملاها على اليعقوبي حقه على بنى أمية وبصفة خاصة على عبد الملك لأن اليعقوبي شيعي متطرف يعمل دائما على طمس كل مكرمة لبنى أمية.^(٢)

وإنما اعتبرنا ما نقله (حتي) في هذه القضية فرية لأنه من مصدر غير موثوق به، وكان جدير به أن يرفضها لمجرد أن ناقلها هو اليعقوبي، ولكن رغبته في تشويه سمعة عبد الملك بن مروان هي التي جعلته يركز على هذه الرواية دون تحقيق.

ومع ذلك فإن أحد الذين تأثروا بالمستشرقين في كتبهم — وهو الدكتور عبد المنعم ماجد — يقول في هذه الرواية: (ونحن لا نستطيع أن نقبل الرواية القائلة أن عبد الملك قصد من بناء مسجد الصخرة جعل الناس تحج إليه، ومنعهم من الحج إلى مكة، من أجل ابن الزبير فليس لدينا أى اشارة عن ذلك في سير عبد الملك، ولا سيما أنه كان لبنى أمية أيام ابن الزبير لواء يحجون في ظله).^(٣)

و يذكر المقدسي أن سبب بناء عبد الملك لمسجد الصخرة هذه ألا يترك المسلمين يبهرون ببناء كنيسة القيامة.^(٤)

فاتهام (حتي) لعبد الملك بتحويل الحجيج إلى بيت المقدس، يؤدي إلى تكفير عبد الملك لأنه صرف الناس عن البيت إلى مكان آخر كما أراد أن يصنع أبرهة، ومع ذلك لم يذكر أحد من المسلمين أن عبد الملك خرج عن الاسلام وإذا كانت قبة الصخرة تحل محل الكعبة فأين الصفا والمروة الذي لا يتم الحج إلا بالسعى بينهما، وأين عرفات الذي قال فيه المصطفى «الحج عرفة».

(١) اليعقوبي: أحمد بن اسحاق — تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٦١ بيروت ١٣٧٩.

(٢) د. ابراهيم — أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ — ص ٣١٣.

(٣) د. ماجد — عبد المنعم — التاريخ السياسي للدولة العربية — ج ٢ ص ١٨٩ أنظر طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٠٤.

(٤) المقدسي: أبو عبد الله محمد بن أحمد — أحسن التقاسيم — هامش ص ١٦٨ — ١٩٠٦.

ونجد بعد ذلك اتهام (حتي) لعبد الملك وابنيه الوليد وهشام في صفحة ٢٢٧ بتناول الخمر حيث يقول عن عبد الملك: (٥)

«أما عبد الملك فيشرب الخمر في الشهر مرة بكثرة يجعله لا يفيق نفسه الا باستخدام المغنيات» .
و يقول عن الوليد:
«فكان فيما روى يشرب يوما و يدع يوما» .
وعن هشام:
«واعتاد هشام الشرب يوم الجمعة بعد الصلاة» .

فواضح أن هذه فرية مردودة عليه لأننا لو نظرنا الى مرجع (حتي) الذي اعتمد عليه لوجدناه أبا الفرج الأصفهاني في كتابه «الأغاني» الذي قال فيه : انه كتاب يتوخى ما فيه رونق يروق الناظر و يلهي السامع ، فما دام هذا هوشأن صاحب الأغاني (وفيليب حتي) يعرف هذا الطابع فما كان ينبغي أن يجعلها قضية و يزكيها هو في كتابه لتشيع بين قرء هذا الكتاب سواء باللغة العربية أو الانجليزية ، و يكفينا هذا ردا على (حتي) في هذه القضية ومن هنا تنهار كل اتهاماته في موضوع شرب الخمر الذي نحاه على عبد الملك ، والوليد ، وهشام ، لأن المصدر الوحيد الذي اعتمد عليه وهو نفس المصدر الذي يعلم أن صاحبه لا يقصد منه ذكر الحقائق التاريخية ، انما يقصد أن يذكر ما فيه من رونق يروق الناظر و يلهي السامع .



(٥) حتي — ص ٢٢٧ (النسخة العربية المترجمة ص ٢٩٥) .

يذكر (حتي) في معرض حديثه عن الاسطول الاسلامي في عهد معاوية بن أبي سفيان فيقول: «وليس هناك مجال للشك في أن بحارة هذا الاسطول كانوا من الشاميين اليونانيين — الأروام — الذين مارسوا ركوب البحر. أما أعراب الحجاز دعامة الاسلام، فقد كان لديهم المام بسيط بركوب البحر». (٥).

هذه القضية التي ينكر فيها عروبة أهل الشام تقتضينا أن نرد على (حتي) بأن أهل الشام كانوا من الجنس العربي منذ القدم وكانت تقوم في بلاد الشام دولة عربية من قبل الاسلام وهي دولة الفساسنة وهؤلاء كان لهم علم كبير بأمور البحر، وإن دخولهم في سلطان الدولة اليونانية أو البيزنطية لا يخرجهم عن جنسيتهم العربية المعروفة، ويكفيها لاثبات عروبة أهل الشام وعلمهم بالبحر، ما ذكره جوستاف لوبون حيث قال: «انه لا أحد ينكر مهارة عرب الشام في تجارة البحر الأبيض». (١).

أما لو كان قصده من ذلك هو تقسيم أهل سوريا وجعلهم أرواما وعربا وخص معرفة أمور البحر بالأروام وأنكرها على العرب السوريين، لكفانا أن نقول إنه لا أحد ينكر مهارة عرب الشام في تجارة البحر الأبيض وانهم قاموا خير قيام بعمل الوسطاء بين تجار الشرق والجنوب وبين تجار أوربا في الشمال، كما أن أهل سوريا بحكم الموقع الجغرافي على البحر المتوسط وامتداد السواحل على هذا البحر بحكم الطبيعة ينشئ عندهم العلم بالبحر وطريقة استغلاله في استخراج ما فيه من ثروات سمكية واستعماله للتجارة والاتصال بالبلاد الواقعة على هذا البحر فهم بحق سادة البحر الأبيض المتوسط. (٢).

أما الفرية الأخرى وهي دعواه بأن أهل الحجاز لم يكن لديهم المام بشؤون البحر ويدعى كما ادعى غيره أنهم لا يعرفون البحر ولا علاقة لهم به، وإن سفنهم هي الجمال فقط وإن بحارهم هي الرمال.. وقالوا إن الجمل هو سفينة الصحراء، ومن هذه العبارة استنتج المستشرقون منها وفهموا أن العرب لا يعرفون شيئا عن السفن ولا ركوب البحر. والحقيقة أن تشبيه العرب للجمل بالسفينة لا يعنى عدم معرفتهم بالبحار بل هو نفسه دليل على المعرفة الحقة لأنهم لو لم يعرفوا قيمة السفينة ما شبهوا الجمل بها فتشبيهم إياه بها دليل على إدراك قيمتها وهو بالتالي دليل على معرفتهم بالبحر وخبرتهم فيه، نضيف إلى ذلك الموقع الجغرافي للبلاد الواقعة على البحر وإن امتداد ساحل البحر

(٥) حتي — تاريخ العرب المطول ص ١٩٤ — (أنظر النسخة العربية المترجمة ٢٥٦).

(١) لوبون — ص ٤٦٥.

(٢) لوبون ص ٥٥٨.

الأحر من شمال الجزيرة الى جنوبها يزيدهم معرفة بعلم البحار وان العرب في الجزيرة العربية كانوا على علم تام بأمور البحار في سفرياتهم وفي معاشهم ومنافعهم المادية. ونجد في القرآن الكريم آيات لا حصر لها في ذكر البحر وفضل الله على العرب في تسخير البحر لهم ليأكلوا منه لحما طريا ويستخرجوا منه حلية يلبسونها.

كما أن القرآن الكريم الذي أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم يخاطب به العرب الذين يعيشون في الجزيرة العربية قد ذكر البحر ومنافعه وما فيه من خيرات في سورة المكية والمدنية مخاطبا بها المؤمنين وبدهى أن ذكر هذه الآيات التي اشتملت على ذكر البحر تؤكد لنا علم هؤلاء المخاطبين به وانتفاعهم منه.

فاننا نجد القرآن الكريم قد أشار في السور المكية والمدنية على السواء الى معارف العرب عن البحر والسفن. فقال تعالى:

«قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين». (١) (مكية)

«وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون». (٢) (مكية)

«هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين». (٣) (مكية)

«الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى لتجرى في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار». (٤) (مكية)

«وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون». (٥) (مكية)

«ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيمًا». (٦) (مكية)

(١) سورة الأنعام — آية ٦٣.

(٢) سورة الأنعام — آية ٩٧.

(٣) سورة يونس — آية ٢٢.

(٤) سورة إبراهيم — آية ٣٢.

(٥) سورة النحل — آية ١٤.

(٦) سورة الاسراء — آية ٦٦.

«وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه، فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا». (١) (مكية)

«أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أإله مع الله، تعالى الله عما يشركون». (٢) (مكية)

«ألم تر أن الفلك تجرى في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته». (٣) (مكية)
«ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام». (٤) (مكية)

«الله الذي سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون». (٥) (مكية)

«وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه، وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون». (٦) (مكية)

«ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون». (٧) (مدنية)

«ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم». (٨) (مدنية)

«وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام». (٩) (مدنية)

فهذه الآيات كلها قد نزلت في أهل الحجاز، وما نزلت فيهم الا لتذكركم بنعمة الله عز وجل عليهم، ولولا أنهم يعرفون البحر ولهم فيه طول باع ومصالح تعود عليهم بالنفع والخير العميم لما ذكرهم بفضل البحر عليهم، ولكن ما كان ذلك الا لمعرفةهم به ولحاجاتهم الماسة اليه ولا تصالهم

(١) سورة الاسراء — آية ٦٧ .

(٢) سورة النمل — آية ٦٣ .

(٣) سورة لقمان — آية ٣١ .

(٤) سورة الشورى — آية ٣٢ .

(٥) سورة الجاثية آية ١٢ .

(٦) سورة فاطر — آية ١٢ .

(٧) سورة البقرة — آية ١٦٤ .

(٨) سورة الحج — آية ٦٥ .

(٩) سورة الرحمن — آية ٢٤ .

وكانت مكة ذاتها تسعى للحصول على ضمانات لتأمين تجارتها البحرية مع الدول المجاورة لبلاد العرب^(٤)، وقد نجحوا في ذلك مع بيزنطة^(٢)، وكانت على علاقة تجارية بحرية مع أهل مصر من قبل الاسلام^(٣).

وليست هذه العلاقات البحرية الحجازية قاصرة على أهل الشمال، فقد كانت لمكة وأهلها علاقات بحرية قبل الاسلام مع أهل الحبشة أيضا.

فكانت مكة على اتصال وثيق ببلاد الحبشة ويدل على ذلك وجود طائفة من الصنائع تعرف بالأحباش أو عبدان مكة^(٤).

ولو أن البعض ينكر أن الأحباش كانوا من أهل الحبشة، إلا أن المستشرق اليسوعي الأب (لامانس) يؤكد أنهم من الأحباش^(٥).

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما رأى الحليس بن علقمة وهو سيد الأحباش وقد أرسلته قريش للتفاوض مع الرسول يوم الحديبية قال: «إن هذا من قوم يتألهون» — أى يتعبدون — ذكر ذلك الامام الطبرى في هامشه^(٦) وهذا يعني أنه من غير بقية القوم. أى قريش. ولو كان الأحباش أحباشاً فقد تعربوا وأصبحوا عرباً.

وعن الأحباش عرف أهل الحجاز أيضا بعض الأدوية^(٧).

واننا نلاحظ أن أثر هذه العلاقات الحبشية القرشية قد تجلى في الهجرة الى الحبشة، فالمسلمون عندما اضطهدوا من قبل أهلهم الذين لم يصدقوا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لم يكن منهم إلا أن لجأوا الى الحبشة. فلماذا لم يلجأ أولئك العرب الا الى الحبشة؟. ان تصرفهم هذا يعني أنهم ما أقدموا على الهجرة الى الحبشة الا وهم عارفون سبلها والطرق المؤدية اليها، فهم لم يذهبوا الى بلد يجهلون ولا بد أن تكون لهم به علاقات حسنة يستطيعون بواسطتها أن يهيئوا لأنفسهم جوا هادئاً آمناً فيه. كما كانوا يعرفون حالة الأمن فيها وعدالة ملكها ولذلك نصحهم الرسول بقوله: «لو خرجتم الى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً»^(٨).

(١) المصدر السابق ص ٢٢٤ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المقرئى — الخطط — ج ٢ ص ٢٩ .

(٤) عبد العزيز سالم ص ٢٢٣ .

(٥) د. العبادى: عبد الحميد — مجلة كلية الآداب عدد مايو ٥٢ مجلد ١ ج ١ ص ٩٥ .

(٦) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٠٠، تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٦٢٨ .

(٧) البازرى: أبو الحسن أحمد بن يحيى — أنساب الاشراف ج ١ ص ٥٤٦ القاهرة ٥٩٩ م .

(٨) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٨٠ .

الدائم به بحكم الموقع الجغرافي ، واحاطة البحر بالجزيرة العربية من نواحيها الشرقية والجنوبية والغربية .

وهذه الآيات السالفة الذكر هي التي تخص أهل الحجاز فقط ، بينما يوجد الكثير الذي فيه لفظ بحر ولكن لم أذكرها لأنها لا تخص أهل الحجاز، ولكن لو لم يكن أهل الحجاز يعرفون البحر لما قص الله عليهم قصص الأقيام الذين لهم علاقة بالبحر.

فمن هذه الآيات الشريفة يتضح لنا مدى علاقة أهل الحجاز ومكة بالبحر وقوة صلاتهم وغزارة معرفتهم به .

و يقول الدكتور «جواد على» في هذا الصدد: ولجزيرة العرب سواحل طويلة تحيط بها من جميع جوانبها الثلاثة.. وقد عرف أهل السواحل البحر وعركوه، وعملوا على استغلال ثرواته قدر طاقاتهم، وتعاملوا مع أهل السفن الذين كانوا يقصدونها من مسافات بعيدة وركب جمع منهم السفن للتجار مع السواحل المقابلة لهم فباعوا في أسواقها واشتروا. (١)

وفي الواقع أن مكة بالذات كان لها عظيم صلة بأمور البحر وبأهلها ، فقد كان الحجاز جسرا يربط بلاد الشام وحوض البحر المتوسط باليمن والحبشة والصومال ، والسواحل المطلة على المحيط الهندي ، وكان لذلك أعظم الأثر في قيام مدن تجارية بالحجاز، تعتبر محطات تجارية واقعة على هذا الطريق البري ، وفي قيام موانئ تجارية بالحجاز مثل الشعبة (٥) فقد كان مرفأ أهل مكة. (٢)

كما كان أهل مكة يقومون بدور الحفارة على التجارة البحرية المتجهة الى الشمال (٣) ، فكانت لهم علاقة مع أهل الشمال من غير العرب ، فقد سعى أهل بيزنطة للاستعانة بالقرشيين كوسطاء للتجارة الهندية. (٤)

(١) جواد على — الفصل في تاريخ العرب ج٧ ص ٢٤٤ .

(٥) الشعبة: مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز والشعبة كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة. وقال ابن السكيت: الشعبة قرية على شاطئ البحر على طريق اليمن (ياقوت الحموي — معجم البلدان ج٣ ص ٣٥١ بيروت ١٩٥٧ م) .
(٢) الازرقى: أبو الوليد محمد بن عبدالله — أخبار مكة ج١ ص ١ . القاهرة ١٣٥٢ هـ جواد على — الفصل ج٧ ص ٢٥٩ .
(٣) زيدان: جورجى — العرب قبل الاسلام ص ١٨٠ دار الهلال القاهرة .
(٤) سالم: عبد العزيز — تاريخ العرب قبل الاسلام ص ٢٢٤ الاسكندرية ١٣٩٣ .

ولو لم يكن لأهل الحجاز عزيز صلة بأهل الحبشة، وعظيم قدر عند أهلها من الناحية الاقتصادية لما تجرأ القرشيون على تبليغ التهديدات للنجاشي بتسليمهم اللاجئين (المهاجرين). (١)

فأهل الحجاز كانوا على صلة دائمة بالبحر وأهله، وكانوا أهل بحر وتجار بحر والا لما كانت هذه العلاقات البحرية البيزنطية القرشية، الحبشية القرشية. لو لم يكن لأهل الحجاز كبير المام بأمور البحر لما كان النصر المؤزر في معركة ذات الصواري التي حصلت في عهد عثمان وكان معظم جندها من الصحابة من مهاجرين وأنصار أى من أهل الحجاز.

أما الأقوال التي تذكر أن عرب الحجاز كانوا يخافون البحر معتمدين على تردد عمر بن الخطاب في بادئ الأمر في فتح مصر فليس لها أصل يعتمد عليه، لأن عمر لم يكن يخاف البحر بل كان التردد بسبب رغبته في دعم الجيش الاسلامي في بلاد الشام لمحاربة الروم فخشي عمر أن يوزع قوة المسلمين في جبهتين بعيدتين في وقت واحد. (٢)

أما رواية ابن خلدون التي ذكرها على لسان عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب بوصف البحر فليس لها ما يؤيدها من الواقع، وخاصة بعدما سردنا من الأدلة من آيات القرآن الكريم وآراء بعض من المؤرخين والجغرافيين، ومما نلاحظه أن عمر بن الخطاب لم يكن بحاجة الى من يعلمه بشؤون البحر وقد كان سفيرا لقريش في الجاهلية يذهب الى الشام واليمن والحبشة مارا بالبحار المختلفة. كما أنه شارك في غزوة تبوك حيث عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سكان خليج العقبة صلحا.

ولو كان عمر يخاف البحر لما طلب من عمرو بن العاص بعد الفتح إعادة فتح القناة القديمة التي كانت تصل القلزم (البحر الأحمر) بالنيل لارسال القمح الى الحجاز (٣)، فعمر هو أول من حمل الطعام في السفن من البحر.

وهنا أيضا يسعفنا «بروكلمان» الذي نرد على افتراءاته بما يؤيد رغبة عمر في فتح مصر وعلمه ببحارها وأنهارها، فقال: «بعث عمر بالزبير، أحد أصحاب رسول الله المقدمين على رأس قوة مؤلفة من خمسة آلاف رجل ابتغاء نجدة عمرو» (٤).



(١) سرور: جمال الدين — الحياة السياسية في الدولة العربية — ص ٤٧

(٢) عثمان: حسين — البحر الأحمر كطريق تجارى في عهد البيزنطيين والعرب والماليك ص ٦٨ القاهرة ١٣٥٨.

(٣) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٨٢.

(٤) بروكلمان ص ١٠٠.

أما عن الدولة (العباسية) فيذكر (حتي) في حديثه عن البرامكة وقصة العباسة أخت الرشيد وزواجها الصوري من جعفر البرمكي، ليحل له النظر إليها وما أسفر عنه الزواج من انجاب طفل دون علم الرشيد ويجعل (حتي) هذه القصة سببا من أسباب النكبة فيقول:

«والسبب الذي يذكره المؤرخون عادة أن الخليفة الرشيد سمح لجعفر، باعتباره نديما له، بأن يتزوج أخته المفضلة العباسة دون معاشرتها، ولكن الرشيد اكتشف بعد ذلك عندما حج أن العباسة قد ولدت سرا من جعفر غلاما وأنها أخفته عند حواضن في مكة». (٥)

وللرد على هذه الفرية — ونقول فرية لأنه اشترك مع المفترين في ترويجها دون التحقق في مدى صحتها — نقول:

إن قصة العباسة وزواجها من جعفر قد لاقت رواجا في مجال الأدب الرخيص، وقد جعل كتاب القصة منها أساسا لقصصهم، ومنهلا يستقون منه الخيال لكتابة القصص الغرامية الخرافية التي لا أساس لها من الصحة. لا فرق بين عربي ومستشرق، فترى جورجي زيدان يكتب بالعربية في كتابه (العباسة) و (لا هارب) بالفرنسية و (فون هامار) بالألمانية. (١)

وفي الواقع أن نكبة البرامكة قد أذهلت الناس خاصة أن الرشيد لم يذكر لها سببا حتى مات ودفن سره معه، فهو القائل: «لو أعلم أن قميصي يعلم ذلك لأحرقته». (٢)

فالسبب الرئيسي لنكبة البرامكة لم يستطع أحد أن يعرف حقيقته إلى الوقت الحاضر. وكل ما ذكر من أسباب ليس الا توهمات، وتوقعات، طرأت لدى البعض فأسند تلك الحادثة إلى تلك التوقعات، ويقول د. حسن الباشا في ذلك: «والأسباب المباشرة لهذا التحول وتلك النكبة غير معروفة على وجه التحقيق، كما أن دوافعه الكامنة أو الأسباب غير المباشرة وتفسيراتها ذكرت فيها آراء مختلفة» (٣) بل أن معظم الذين ذكروا أن هذه القصة لم يؤكدوا صحتها مثل: الطبري (فراه يؤكد الاختلاف في صحتها) (٤) ويقول ابن كثير: «ومن العلماء من أنكر ذلك». (٥) وكذلك بعض المؤرخين الذين يعرفون العراق وأخباره لقربهم من عهد الرشيد لا ذكر لها في كتبهم مثل الدينوري. (٦)

(٥) حتي: — تاريخ العرب المطول ص ٢٩٦ (أنظر النسخة العربية المترجمة ص ٢٢).

(١) عبد الله عنان: محمد — تراجم اسلامية — ص ٢٠ — هامش الكتاب القاهرة ١٣٩٠ هـ.

(٢) ابن كثير ج ١٠ ص ١٨٩.

(٣) الباشا: حسن — دراسات في تاريخ الدولة العباسية ص ٣٢ القاهرة ١٩٧٥ م.

(٤) الطبري ج ٨ ص ٢٨٧ — تاريخ الطبري.

(٥) ابن كثير — البداية والنهاية — ج ١٠ ص ١٨٩.

(٦) الدينوري — الامامة والسياسة — ج ٢ ص ١٩٩ القاهرة ١٣٨٨ هـ.

و يقول الجهشيارى : « قال عبيد الله بن يحيى بن خاقان : سألت مسروراً الكبير وهو الذي قتل جعفرأ بيده بأمر من الرشيد — أيام المتوكل وكان قد عمر اليها ومات فيها — عن سبب قتل الرشيد لجعفر وإيقاعه بالبرامكة فقال : كأنك تريد ما تقول العامة فيما ادعوه من أمر المرأة، فقلت له : ما أردت غيره فقال : لا والله ما لشيء من هذا أصل » .^(١)

وأبطلها ابن خلدون حيث قال : « انما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجابهم أموال الجباية » .^(٢)

و يروى الجاحظ « ان مسروراً الخادم قال : « أشهد بالله لكنت من الرشيد وهو متعلق بأستار الكعبة بحيث يمس ثوبي ثوبه، وهو يقول في مناجاته ربه « اللهم اني استخرتك في قتل جعفر ابن يحيى » ثم قتله بعد خمس سنين أو ست » .^(٣)

وفي العقد الفريد أن الرشيد شك في البرامكة لفرية ما، وكان قتلهم بعد ست سنوات من ذلك اليوم .^(٤)

وذكر د. شاكر مصطفى « ان النكبة لم تكن بسبب ثورة عاطفية، ولكن اصرار الرشيد عليها منذ سنة ١٨٧ الى سنة ١٩٣ لا يدع مجالاً لمثل هذا الفرض . فهم لم يقتلوا جميعاً فلم يقتل جعفر فقط، وقد بقى منهم ومن أنصارهم في السجون بقية حتى موت الرشيد فلو كان الأمر نزوات نفسية لسكنت هذه النزوات في الست السنوات التي تلت النكبة . »^(٥)

فلو كان سبب القتل تدنيس شرف وهتك عرض لما انتظر الرشيد هذه الفترة التي تتراوح بين خمس سنوات وبين ست . وكذلك أنكرها المحدثون من المؤرخين مثل محمد عبد الله عنان حيث يرجع النكبة الى استئثار البرامكة بكل سلطان في الدولة ولا نراه يذكر شيئاً عن قصة العباسية .^(٦)

واننا نقف مع (فيليب حتي) ومن سار في ركابه فنقول إن هذه التهمة الخاصة بنكبة البرامكة عن طريق زواج العباسية واتصالها بجعفر سرا دون علم الرشيد قد ذكرتها بعض المراجع العربية نقلاً عن روايات غير موثوق بها وقد أنكرها بصورة قاطعة عدد كبير من المراجع والمصادر العربية الموثوق بها، فكان لزاماً على (حتي) وهو يكتب بطريقته العلمية الحديثة أن يستوعب ما قيل في المراجع العربية حتى يمكن معرفة الحقيقة في هذه القضية .

(١) الجهشيارى : أبو عبد الله محمد بن عبوس — الوزراء والكتاب، القاهرة ١٣٥٧ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ١٥ .

(٣) الجاحظ : أبو عثمان عمر بن بحر — التاج في أخلاق الملوك ص ٦٦ القاهرة ١٣١٢ .

(٤) ابن عبد ربه : أحمد الأندلسي — العقد الفريد — ج ٣ ص ١٦٣ — بيروت دار الشروق .

(٥) د. مصطفى : شاكر — دولة بني العباس ج ١ ص ٤٦٦ .

(٦) محمد عبد الله عنان — تراجم اسلامية ص ٢٤ .

لكنه اعتمد على روايات لا أصل لها، رغبة منه في التشجيع على المسلمين والاساءة الى الاسلام في شخص خليفة المسلمين هارون الرشيد.

ومن أجل ذلك نحمله مسؤولية نشر هذه الفرية باعتباره يتحمل وزر نشرها دون التحقق من صحتها.

هذا الذي ذكرناه يدحض هذه الفرية من الناحية النقلية. ولونظرنا الى المسألة من زاوية العقل والمنطق السليم، لرأيانها متنافية مع الواقع، والرشيد الرجل الفاضل الصالح الذي ذكر الرواة صلاحه وقوة ايمانه، وانه كان يصلي في كل يوم مائة ركعة الى أن مات، ويتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم ويحج عاما، ويغزو عاما. والرشيد الورع المتمسك بدينه والعالم الفقيه ذو الصحبة الفاضلة من أهل العلم، يكفيه ذلك مانعا من أن يقدم على عمل مثل هذا بأن يمنع زوجا شرعيا من أن يتصل بزوجه ويجعله زواجا صوريا، من الناحية الشكلية فقط ليجعل من ذلك وسيلة لجلوس العباسية مع جعفر في مجلسه، وهذا أمر تأباه الشريعة الاسلامية كما تأباه على حالته هذه الغيرة العربية.

وفي مجال التحقيق العلمي قد أبعدنا المؤرخون المحدثون وبعض المؤرخين القدامى، فلم يجدوا من الأدلة ما يجعل هذه القصة ذات بال حتى يشتبوها في كتبهم، ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر من القدماء: القلقشندي في كتابه «مآثر الأناقة» وسيد أمير علي في كتابه «مختصر تاريخ العرب»، وأحمد الرفاعي «عصر المأمون»، وجمال الدين سرور «تاريخ الدولة الاسلامية» وأسعد طلس و يوجينا غيانه في كتابها «تاريخ الدولة الاسلامية».

فنكبة البرامكة كانت لأسباب بعيدة كل البعد عن مسألة العباسية.



« لقسم الثاني »

بعض آراء «كارل بروكلمان» في التاريخ الإسلامي والرد عليها

الفصل الأول : بعض آراء بروكلمان في عصر الرسول
صلى الله عليه وسلم والرد عليها .

الفصل الثاني : بعض آراء بروكلمان في عصر الخلفاء
الراشدين والرد عليها .

الفصل الثالث : بعض آراء بروكلمان في عصر بني أمية
وبني العباس والرد عليها .

الفصل الأول

بعض آراء (بروكلمان) في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والرد عليها

)

يقول كارل بروكلمان عن الحجر الأسود وهو يتكلم عن الكعبة:
«وفي ركنها (الكعبة) الشرقي الحجر الأسود الذي هو بحق أقدم وثن معبود هناك». (٥)

أحب أن أبدأ حديثي هنا بتعريف الوثن: وهو كل قطعة من خشب أو حجر أو فضة ينحت
ويعبد من دون الله ولم تكن له صورة. (١)

لعل هذا التصوير للوثن قد يكون هو الدافع لبروكلمان بأن يجعل الحجر الأسود من ضمن
الأوثان التي تعبد، وهو قد يعني بذلك أو يحاول أن يثبت وجود العبادة الوثنية في هذه البقعة من
الأرض الإسلامية، والمعروف أن الوثنية والاسلام ديانتان أو عبادتان متباعدتان كل البعد عن
بعضهما، فالوثنية هي عبادة الأحجار والأصنام المتعددة والاسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له
وهذا مالا يخفى على عاقل، فكتب التاريخ مليئة بتلك الحروب التي خاضها المسلمون ضد الوثنيين،
فكيف يكون في أرض الاسلام ومنبته وثن أو عبادة وثن؟ ومعلوم أيضا أن الاسلام قد سعى جاهدا
في محاربة الوثنية القرشية من بداية الدعوة وحطم أصنام قريش وأزال أوثانها ودنس آلهتها المتعددة،
ولو كان الحجر الأسود أحد الأوثان لما أبقى عليه الاسلام.

فالحجر الأسود موجود مع وجود الكعبة ولم يتجه اليه أحد من العرب بالعبادة، ولم يكن يوما
من معبودات العرب فهو حجر لم تقدسه العرب، ولهذا لم يعرف ضمن الأصنام ولا الأوثان التي
كان العرب يعبدونها، ومن أجل ذلك لم يأمر النبي بتحطيمه كما حطمت الأصنام والأوثان لأنه
لم يخطر على بال أحد من العرب أنه يعبد كما تعبد الأصنام والأوثان.

(٥) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ص ١١ (أنظر النسخة العربية المترجمة ص ٣١) .

(١) ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم — لسان العرب — ج ١٢ ص ٣٤٩ بيروت — دار صادر .

وكل ما فعله الاسلام هو أنه جعل الحجر في منزلة الكعبة من التقديس، فحيث يعظم البيت يعظم هذا الحجر.

وهو أمر تعبدى ليس للعقل فيه مجال وإنما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم فوجب على المسلمين الاقتداء به.

ومن أجل ذلك قال عمر عندما قبله: «والله إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك». (١)

فليس كل حجر يوجد في بلاد العرب يعتبر معبوداً لهم أو وثناً يعبد، فهناك حجر في منى يرجم في الوقت الذي يقبل فيه هذا الحجر فلو كان الأمر أمر حجر فقط لقدست جميع الحجارة في بلاد العرب.

لكن الذي نهى الله عنه هو ما كان معبوداً لهم قبل الاسلام.

قال تعالى «فاجتنبوا الرجس من الأوثان». (٢) «يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون». (٣)

ويذكر ابن الأثير أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما طاف بالكعبة يوم الفتح، وكان عليها ثلاثمائة وستون صنماً، وكان بيده قضيب فكان يكسره الأصنام وهو يقرأ «وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» وأمر فأخذت وكسرت. (٤)

فلو كان الحجر الأسود منها لكسر معها، كما أن العبادة والدعاء والطلب كانت لله، ولم يحدث أن المسلمين قد طلبوا ودعوا الحجر الأسود في يوم من الأيام لقضاء حاجة من حوائجهم، بل لا يدعون ولا يلجأون إلا إلى الله عز وجل.

ولعلنا نقبل من (بروكلمان) عذره إذا اعترف بعجزه عن ادراك الحكمة الالهية لوجود الحجر الأسود، وتقيله، لأن عمر بن الخطاب على علوم مكانته وغزارة علمه وعمق تفكيره عجز عن ادراك هذه الحكمة وعبر عن عجزه بقوله: «لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك». (٥)

(١) النيسابوري: أبو الحسن مسلم بن الحجاج - صحيح مسلم - ج ٤ ص ٦٧ دار الفكر - بيروت.

(٢) سورة الحج آية ٣٠ .

(٣) سورة المائدة - آية ٩٠ .

(٤) ابن الأثير - الكامل ج ٢ ص ٢٥٢، ابن كثير - البداية والنهاية ج ٤ ص ٣٠١ ابن خلدون - ج ٢ ص ٤٤ .

(٥) صحيح مسلم ج ٤ ص ٦٧ .

وهذا هو الفارق بين عمر «نموذج الاهتداء» وبين بروكلمان «نموذج الادعاء».

روى ابن ماجة في سننه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليأتين هذا الحجر يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به، يشهد على من يستلمه بحق». (١)

ويروى ابن ماجة أيضا عن عمر قال: استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر ثم وضع شفتيه عليه فبكى طويلا ثم التفت فاذا هو بعمر بن الخطاب يبكي فقال: «يا عمر هنا تسكب العبرات». (٢)

أما عن أصله ومن أين أتى به فقد اتفقت معظم المراجع والروايات العربية على أنه ياقوتة نزلت من الجنة مع آدم عليه السلام، وقد أودعها الله جبل أبي قبيس أثناء طوفان نوح عليه السلام (٣) فيروى الترمذى في سننه ما يثبت ذلك عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم». (٤)

وعن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب». (٥)

ويذكر الشيخ عبد الكريم محب الدين أن ابراهيم لما قام ببناء الكعبة انتهى الى مكانه فقال ابراهيم لاسماعيل: ائتني بحجر أضعه هنا ليكون علما للناس يبتدون منه الطواف، فذهب اسماعيل في طلبه فجاء جبريل الى سيدنا ابراهيم بالحجر الأسود. (٦)

وعلى كل حال ففكرة وثنية الحجر الأسود هي فكرة غربية بثتها حركة الاستشراق في كتب التاريخ الاسلامي وسعت لتروجها منذ زمن بعيد ولم يكن (بروكلمان) مبتدعا لها فقد سبقه اليها أمثاله من المستشرقين مثل «درايكت» حيث يقول: «الحجر الأسود وتقيله من بقايا الوثنية

(١) ابن ماجة ج ٢ ص ٩٨٢.

(٢) ابن ماجة ج ٢ ص ٩٨٢.

(٣) الأزرقي ج ١ ص ٣٢٩ - القرشي: جمال محمد بن ظهير الله - الجامع اللطيف في فصل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ص ٣٣ بيروت ١٣٩٢، ابن أحمد الضباع: محمد - تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام - (مخطوط) رقم ٦٨ ص ٥، ابن حسن العجيبى: على - تاريخ مكة والمدينة والطائف - مخطوط رقم ٦١ بمكتبة الحرم ق ٥.

(٤) الترمذى: أبو عيسى محمد بن عيسى - سنن الترمذى ج ٣ ص ٢١٧ القاهرة ١٩٦٥ م.

(٥) المصدر السابق.

(٦) ابن محب الدين الحنفى: عبد الكريم - اعلام العلماء الاعلام ببناء المسجد الحرام مخطوط رقم ٩٣ ق ٧ مكتبة الحرم المكي.

القديمة» (١) بل ان البعض من هؤلاء المستشرقين يعد الكعبة نفسها وثنا من الأوثان، مثل (بوشورت سمث) حيث يقول: «لكن المقدس الأكثر شهرة وقدا في القطر كان هو الكعبة وكان يدعى بيت الله وكان مبنيًا على هيئة مكعب ويشكل الآلهة الحقيقية لجميع الجزيرة العربية». (٢)

فليس أبعد عن الحقيقة والرسوخ في الظلم والبهتان من محاولة الصاق طقوس الوثنية بالاسلام أو مهادنته لعبدة الأوثان أو اعترافه بهذه الآلهة. فالحجر الأسود لم يعامل كوثن، والمسلم يعتبره حجرا لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر ولا يعتقد فيه أبدا ما يعتقد النصراني في «الايقونات» (٣) ولقد كانت شعائر المسلم ومفتاح دخوله الاسلام منذ نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى «يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فأهجر» (٤) وهي ثاني ما نزل من القرآن — شعار دخوله الاسلام قوله «لا اله الا الله محمد رسول الله» والرجز المأمور بهجره هو عبادة الأوثان والاشراك بالرحمن وكم حاول مشركو مكة أن يجذبوا تساهلا من الرسول صلى الله عليه وسلم تجاه آلهتهم ليكفوا عنه، ساوموه على صلح أن يعبدوا إلهه و يعبد آلهتهم فقال له ربه: «قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم وي دين». (٥) (٦)



(١) G.M. Draigcatt, Mohamet Founder of Islam - London, 1916, P. 2.

(٢) R. Bosuiath Smith, Mohommed an Mahnedanism, P. 86.

(٣) الايقونية هي كلمة يونانية تعنى الصورة أو التمثال — اشارة الى الصورة الموجودة في الكنائس — المنجد ص ٢٢ بيروت ١٩٦٠.

(٤) سورة المدثر: آية ١ — هـ .

(٥) سورة الكافرون .

(٦) أحمد حماني — مجلة جوهر الاسلام — العدد الخامس من السنة الخامسة ص ٤٤، انظر ابن هشام — السيرة النبوية ج ٢ ص ١٠ .

ثم يتحدث بروكلمان عن مدى إيمان النبي صلى الله عليه وسلم بالله عز وجل فيقول: (إن العقيدة في الله كانت تملأ قلبه أكثر فأكثر وقد جعلته يرى أن الآلهة الأخرى لا وجود لها (باطلة) ولكن في السنوات الأولى من دعوته لا بد أنه اعترف بإلهات الكعبة الثلاث اللاتي كان مواطنوه يعتبرونها بنات الإله . وقد وصفها في إحدى تجلياته كأنها كائنات عالية (غرائق) ترجى شفاعتها) (*)

هذا رأي بروكلمان كغيره من الزنادقة الذين وضعوا هذه الفرية ومن شايعهم من المستشرقين الذين روجوا لها وسعوا جاهدين في محاولتهم للطعن في أهم دعائم هذا الدين (القرآن) ومحاولتهم أن يتسرب إليه الشك في قلوب المسلمين حتى يضعف إيمانهم به مثل درايكوت. (١)

أما نحن المسلمين فلا ينبغي لنا أن نقول هذا، فمسألة الغرائق مسألة مردودة ومكشوفة لدى كل باحث في هذا الباب، فهي فرية واهية، ذكرت في بعض كتب التفسير عند تفسير آية «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم» (٢) وبعض كتب السير والتاريخ عند ذكرهم رجوع المهاجرين الأول من الحبشة (٣)، فما كان ينبغي لبروكلمان أن يعتمد على هذه الرواية دون تحقيق .

ومناسبة هذه القصة عند مروجيها من المفسرين وتفسيرهم الخاطيء لآية «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته» من سورة الحج ومن تبعهم من المؤرخين، فيقول: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أعرض عنه قومه وشاقوه وخالفته عشيرته ولم تشايعه على ما جاء به تمنى — لفرط ضجره من أعراضهم ولحرصه وتهالكه على إسلامهم — ألا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا إلى استمالتهم واستنزاهم عن غيهم وعنادهم، فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة (النجم) وهو في نادي قومه وذلك التمنى في نفسه فأخذ يقرأها فلما بلغ قوله «ومنناه الثالثة الأخرى — (لقى الشيطان في أمنيته) التي تمنّاها أي، وسوس إليه ما شايعها به، فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط إلى أن قال: «تلك الغرائق العلى وان شفاعتهن لترجى». (٤)

(٥) بروكلمان: — تاريخ الشعوب الإسلامية — ص ١٣ (أنظر النسخة المترجمة ص ٣٤).

(١) أنظر G.M. Draigcatt, Op, Cit, P. 83

(٢) سورة الحج — آية ٥٢ .

(٣) الحلبي: على بن برهان الدين — السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٣٤ بيروت دار الفكر سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٢.

(٤) الزمخشري — تفسير الكشاف ج ٣ ص ١٩ تفسير سورة الحج، طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٨٨، الكامل لابن الأثير ج ٢

ص ٥٣ .

ثم بعد ذلك جاء جبريل ليستعرض معه سورة والنجم وبلغ الكلمتين (تلك الغرائق العلى وان شفاعتهن لترتجى) فقال له : ما جئتك بهاتين^(١) فاستدرك الرسول وحزن حزناً شديداً . فقال واضعو هذه الفرية إن الله أنزل عليه قوله تعالى «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته»^(٢) فسروا كلمة (تمنى) في الآية بمعنى (قرأ) وهذا مالا يوجد في فصيح لغة العرب ثم حاولوا أن يدعموا رأيهم هذا ببيت من الشعر وضعوه لهذا الغرض لا محالة وهو:

تمنى كتاب الله أول ليلة تمنى داود الزبور على رسل^(٣)

وقالوا: أنزل عليه أيضا قوله تعالى: «وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لا اتخذوك خليلا، ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا، اذا لا ذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا»^(٤) فخاضوا في هذه الفتنة وزعموا بأن هذه الوسوسة التي تمنّاها صلى الله عليه وسلم أنه سجد في نهاية سورة النجم وسجد كل من كان في النادى من مسلم ومشرک فقالوا: ان الصلح تم بين الرسول ومشركي قومه، واتخذوا من رجوع المهاجرين الى الحبشة دليلا على صحة دعواهم.^(٥)

نقول: كان على بروكلمان أن يستعمل الأسلوب العلمي الحديث في تفنيد هذه الرواية.

هكذا قالوا.. وهذه أدلتنا لتفنيد أباطيلهم:

أولا: سياق الآيات في سورة النجم: إن سياق الآيات في سورة النجم يجرى على نمط واحد وهو ذم وتحقير للأوثان والأصنام دون انقطاع، هكذا قال تعالى «أفأنتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، ألكم الذكر وله الأنثى، تلك اذا قسمة ضيزى، ان هي الا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى»^(٦).

فنرى أن موضوع الآيات تحقير للآلهة، فكيف يجوز له في القرآن أن يمجّد هذه الآلهة ثم يبالغ بعد ذلك في تحقيرها والسخرية بها؟ فاذا تجاوزنا المعنى الى الأسلوب لنقارن بين القرآن وبين ما قالوا — وان كانت المقارنة غير واردة — لرأينا عجباً.

(١) طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٣٧.

(٢) سورة الحج — آية ٥٢.

(٣) ارجع في هذه القصة — وتفسير كلمة تمنى لكتاب «أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ» للدكتور شعوط ص ٥٨ — ٦١.

(٤) سورة الاسراء — آية ٧٣ — ٧٥.

(٥) تفسير القرطبي — ج ٦ ص ٨٠.

(٦) سورة النجم — آية ١٩، ٢٣.

القرآن ببلاغته في ذلك التقطيع بين الجمل وتوافق الفواصل، وهذا الانكار الساخر وتلك المقابلة بين الذكر والأنثى، والتعبير بكلمة (ضيزى) عن القسمة غير العادلة، وما في الكلمات من موسيقى وأسلوبى القصر المؤكدين للفكرة، هل يتناسب ذلك السمو البلاغى المعجز في آيات القرآن مع هذا الزيف المسف الذي ادعوا كذبا أنه جزء من التنزيل؟ (تلك الغرائيق العلا... الخ).

أليس من التناقض أيضا قولهم: «ان زعماء قريش قد سجدوا في نهاية السورة. فكيف يسجد عاقل حينما يسمع ذم آلهته بقوله «ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان»؟

كيف مر على عقولهم هذا التناقض الواضح بين قوله، ان شفاعتهن لترجى، وقوله بعدها «وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى»؟ وكيف مر عليهم قوله «فاعرض عن تولي عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا»^(١)؟ وكيف تنشرح صدورهم و يسجدون مع محمد عند انتهاء السورة وهو الذي قال بعد مدح الغرائيق (ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان)؟^(٢)

كيف يسمعون هذا كله ثم يصيحون و يسجدون بعد ذلك.؟!

و يقول صاحب تفسير البحر المحيط في آية «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته»: انها مسلاة للرسول باعتبار من مضى من الرسل والأنبياء كانوا حريصين على ايمان قومهم متمنين لذلك مثابرين عليه. كما أنه صلى الله عليه وسلم من أحرص الناس على هداية قومه وكان فيهم شياطين كالنضر بن الحارث يلقون لقومه وللوافدين عليه شبها يثبطون بها عن الاسلام ولذلك جاء قبل هذه الآية «والذين سعوا في آياتنا معاجزين» وسعيهم هذا بالقاء الشبه في من استمالوه ونسب ذلك الى الشيطان لأنه هو الغوى والمحرك للشياطين الانس للأغواء كما قال «لاغوينهم».

فالشيطان هنا شيطان الانس والضمير في أمنيته عائد على الشيطان أى في أمنيته نفسه، ومفعول ألقى محذوف لفهم المعنى وهو الشر والكفر.. ومعنى فينسخ الله ما يلقى الشيطان أى يزيل تلك الشبه شيئا فشيئا حتى يسلم الناس كما قال تعالى: «ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا»^(٣).

(١) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ الاسلامي — صفحة ٦٢

(٢) المرجع السابق

(٣) ابن حبان: محمد بن يوسف — تفسير البحر المحيط — ج ٦ ص ٣٨٠، ٣٨١ بيروت — ١٣٩٨

ثانياً: وبعيد كل البعد بل مستحيل أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد غير فيما أنزل عليه من وحى . تلاوة أو فهمهما . قال تعالى : «ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين ، وانه لتذكرة للمتقين» (١)

وقد وصفه الله تعالى بقوله : «وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى» (٢) وكما قال تعالى : «قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى الى إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم» (٣) فكيف بعد هذه الآيات البينات يخطر على بال أحد من المتصفين أن يغير رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فيما أوحى اليه ، فضلاً عن أن الوحي هو الشيطان الذي ليس له سبيل على المؤمنين ؟.

ثالثاً: لا تناسق ولا ترابط بين أطراف القصة المفتراة ، من الناحية الزمنية فسورة النجم صورة مكية والقصة التي نسجت حولها كانت مكة محيطها (٤) ، وآية العزاء — في نظرهم — «وما أرسلنا من قبلك من رسول» هي في سورة الحج وهذه السورة مدنية (٥) بالاجماع ومع ذلك سمحت هؤلاء المفترين سماجتهم أن يقولوا ما قالوا (٦) فاذا كانت سورة الحج نزلت — كما زعموا — عزاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون العزاء بعد الحادث بسنوات وفي مكان غير المكان الذي نزلت فيه ؟

رابعاً: وقول المؤرخين ان عودة مهاجرى الحبشة كانت نتيجة هذا الصلح ونحن نقول لهم : إن عودة المهاجرين من أرض الحبشة لم تكن بسبب ذلك الصلح المزعوم ، لكنها كانت لأحد احتمالين : اما لعلمهم باسلام عمر بن الخطاب و يقينهم بأن عمر سيكون شديداً على الكفار مثلما كان شديداً على المسلمين في كفره وفي هذا سند لهم وعون يمكن من أداء عبادتهم في طمأنينة وأمن . واما أن تكون لتلك الثورة التي حصلت يومئذ على النجاشي بالحبشة وقد يكون من أسبابها ان لم يكن سببها الوحيد ما أبداه من عطف على المسلمين (٧) وخير دليل على عدم وجود الصلح أنه لم يدخل أحد من المهاجرين مكة الا مستخفياً (٨) بل عادوا الى الحبشة مرة ثانية وانضم اليهم عدد كبير من المعذبين الذين فروا بدينهم من قريش .

إذاً لا صلة البتة بين مسألة الغرائيق وبين عودة المسلمين من الحبشة .

(١) سورة الحاقة — آية ٤٤ — ٤٨ .

(٢) سورة الحم ٣ ، ٤ .

(٣) سورة يونس — آية ١٤ .

(٤) الزركشى : بدر الدين — البرهان في علوم القرآن — ج ١ ص ١٩٣ القاهرة ١٣٧٦ .

(٥) المرجع السابق ص ١٩٤ .

(٦) أحمد الحمانى — مجلة جوهر الاسلام ص ٤٥ .

(٧) هيكل — حياة محمد ص ١٦٣ .

(٨) ابن هشام — السيرة النبوية ج ٢ ص ١٢ .

خامسا: هناك سبب آخر ذكره المرحوم الشيخ محمد عبده حين كتب عن قصة الغرائق فقال :
«إن وصف العرب لآلهتهم بأنها الغرائق لم يرد في نظمهم ولا في خطبهم ولم ينقل عن أحد أن ذلك الوصف كان جاريا على ألسنتهم . وإنما ورد الغرنوق والغرائق على أنه اسم لطائر مائي أسود أو أبيض، والشاب الأبيض الجميل ولا شيء من ذلك يلائم معنى الآلهة أو وصفها عند العرب» .^(١)

سادسا: الفرية تتعارض مع العصمة النبوية ومع صفات النبوة وهي الصدق والأمانة والتبليغ والفتانة .

فبعدما قدمنا من الأدلة والبراهين على كذب هذه القصة التي جعل الشيطان سبيلا لوجودها في تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم مع أننا قد عرفنا من القرآن الكريم أن الشيطان ليس له سبيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا على المؤمنين من منطوق هذه الآية «انه ليس له سلطان على الذين آمنوا» .^(٢)

وقال تعالى «ان عبادي ليس لك عليهم سلطان»^(٣) .

وقال تعالى «وما تنزلت به الشياطين» .

وأخيرا، فكل ما تهدف اليه هذه القصة و يقصد اليه خصوم الاسلام هو أن يشككوا المسلمين في الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (القرآن الكريم) لأنه اذا ثبت أن الشيطان قد وضع كلمة أو حرفا فانه ستصبح كل كلمة في القرآن في مظنة أنها من وضع الشيطان وحاش لله أن يحدث ذلك .



(١) هيكمل — حياة محمد ص ١٦٥، انظر لسان العرب ج ١٠ ص ٢٨٦ .

(٢) سورة النحل — آية ٩٩ .

(٣) سورة الحجر — آية ٤٢ .

يقول بروكلمان في التشكيك في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم:
(فكان يضج في نفسه هذا السؤال: الى متى يمدهم الله في ضلالهم، ما ادام هو عز وجل قد تجلى
آخر الأمر للشعوب الأخرى بواسطة أنبيائه؟ وهكذا نضجت في نفسه الفكرة أنه قد يكون مدعوا الى
أداء هذه الرسالة، رسالة النبوة، حتى أعلن ما ظن أنه سمعه كوحى من عند الله) (*)

محمد الرسول — في نظر بروكلمان — مدع نضجت فكرة النبوة في ذهنه ورأى نفسه صالحا لها
وصدق نداء نفسه الداخلي وأعلن هذا الظن على الناس على أنه وحى من عند الله .

وقد تصدى للرد على بروكلمان عدد من كتاب المسلمين بوسائلهم وأساليبهم المختلفة.

فيقول الدكتور عمر فروخ في هامش من كتاب بروكلمان نفسه: (١)
«وما ذلك الا من قبيل التعصب الديني المبني على عدااء سياسي . انهم ينكرون أن يكون محمد
ذا نبوة صحيحة بينما هم يقررون بهذه النبوة نفسها لجميع أنبياء بنى اسرائيل» .

كما يقول الشيخ الغزالي معلقا على نفس الموضوع:
«ونحن نتساءل هل هذا المستشرق ينكر الوحي جملة؟ إن كان الأمر كذلك فلا نبوات البتة،
وسقطت ديانته قبل أن تسقط الديانة التي يهاجمها . وان كان يؤمن بالوحي و يصدق أنبياء اليهودية
والنصرانية وحدهم — قلنا له ما سر هذه التفرقة؟ أهو تعصب لما ورثت عن آبائك وقومك؟ لك ذلك
— ولكن لا نسمي هذا المسلك علما نزيها ولا بحثا محايدا» . (٢)

لو أنكروا بروكلمان نبوة محمد أو أراد أن يتجاهلها . فلماذا لم ينكر غيرها من النبوات؟ ولماذا
لم يتجاهل نبوات بنى اسرائيل؟ لأن محمداً لم يكن من بنى اسرائيل أم لأن محمداً أتى بكتاب
كذب فيه افتراءات كتبهم وأبطل كل ما فيها من حشو وضعوه هم بأيديهم من أجل اشباع
رغباتهم وقضاء مصالحهم التي يزعمونها؟

أم لأن محمداً أتى بكتاب بقي هذه الفترة من الزمن وهي ما يزيد عن ألف وثلاثمائة سنة دون
أن يمسه شيء من التغيير وبقي معجزة اعترف بها العدو قبل الصديق؟ أم لأن محمداً أتى بدين جعل
من معتنقيه سادة على أهل الأرض قرونا عدة؟

(٥) بروكلمان: — تاريخ الشعوب الاسلامية — ص ١٣ (انظر النسخة العربية المترجمة ص ٣٦).

(١) بروكلمان ص ٣٦ هامش الكتاب .

(٢) الغزالي: — دفاع ضد مطاعن المستشرقين — ص ٢٣.

أم كان لبروكلمان دليل قاطع على صحة نبوة عيسى وغيره من أنبياء بنى اسرائيل وصحة كتبهم ولم يكن لديه الدليل بذلك على صحة نبوة محمد؟^(١)

أم من أجل أن نبوات بنى اسرائيل كانت خاصة وجاءت رسالة محمد عامة فحسدوها ولم يقبلوها من محمد صلى الله عليه وسلم؟

أفمن أجل هذا لم يستطع بروكلمان أن يصدق نبوة محمد؟ أو أنه صدقها إلا أن التعصب الديني أو الدوافع السياسية هي التي أجبرته على هذا الادعاء من انكار نبوته صلى الله عليه وسلم؟

ونحن حين نرد على بروكلمان لا نعتمد في ردنا على القرآن الكريم لأنه لا يؤمن به، وإنما نرد عليه بآراء بعض المستشرقين الذين لم يتأثروا بالتعصب الأعمى، ثم نرد على أهل التوراة بما جاء فيها وعلى أهل الانجيل بما جاء فيه. أما ردنا ببعض آراء المستشرقين في هذا الصدد فهو كما يأتي:

١- ذكر المستشرق جونسون عن حقيقة دعوته صلى الله عليه وسلم في كتابه «الديانات الشرقية» فقال: «وجاء بشريعة عامة اجتمع فيها ما تفرق من أنوار الهداية التي نزلت على قلوب الأنبياء. وهذه الرسالة هي الرسالة التي أداها بهمة وغيره لا تعرف الأنانية، فلوادعائها لما كانت جليلة الشأن حتى نفخت الحياة في شعب غرق في سباته، وجمع بها شتات القبائل المتنازعة وخلق منها أمة يحدوها العمل ويطبعها بالنعيم الأبدى».

٢- ويقول اللورد هدى: «إن رسالة محمد رسالة إلهية صادقة لا ريب فيها هدى للمؤمنين. أوحى الله بها إليه فجاءت مخففة لصرامة أحكام التوراة مكملة لكتاب المسيح».

٣- ويقول (أونست رينان)^(٢) في كتابه (تعليقاتي على تواريخ الأديان): «لقد دلتني تحرياتي العلمية والتاريخية على أنه لا صحة مطلقاً لما أريد الصاقه بالنبي محمد من كذب وافتراء مصدرهما بعض المباينات العرفية والعادات القومية التي أراد بعض المتحاملين أن يتوجهوا بها إلى الناحية التي تشفى سقام أذهنتهم الوقحة وتعصبهم الذميم».

٤- ويذكر المستشرق الانجليزي (هزج ويلز) «ان من أرفع الأدلة على صدق محمد كون أهله وأقرب الناس إليه يؤمنون به فقد كانوا مطلعين على أسرارهم ولو شكوا في صدقه لما اتبعوه».

(١) الغزالي: - دفاع ضد مطاعن المستشرقين - ص ٢٣.

(٢) فيلسوف فرنسي دخل المدارس اللاهوتية، وتضلّع في اللغات الشرقية، رحل إلى لبنان، عنى بالعقائد الإسلامية، ذكر له ثمانية وسبعين كتاباً، وقال لولا ابن رشد لما فهمت فلسفة أرسطو. من اثاره تاريخ اللغات السامية تاريخ الأديان، تقدم الآداب الشرقية (العفيفي ج ١ ص ٢٠٢).

٥ — أما الشاعر الفرنسي (لامارتين) (١) فيقول عن صدق دعوته : « إن حياة مثل حياة محمد وقوة كقوة تأمله وتفكيره وجهاده وثباته .. ان كل ذلك أدلة على أنه لم يكن خداعا أو يعيش على باطل ، ومؤسس دين لا فرية فيه ، وفاتح دولة في السماء من ناحية الروح والفؤاد » .

٦ — وللفيلسوف الروسي (تولستوى) (٢) رأي في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذ يقول : « ويكفيه فخرا أنه هدى مئات الملايين الى نور الحق ، الى السكينة والسلام وفتح للإنسانية طريقا للحياة الروحية العالية ، وهو عمل عظيم لا يقوم به الا شخص أوتي قوة والهاما وعونا من السماء » . (٣)

هذه طائفة من آراء بعض المستشرقين الذين شهدوا بالحق وأدركوا بالبراهين الواضحة صدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم .

و يبقى لنا أن نرد على أهل التوراة بما جاء في توراتهم ونرد على أهل الانجيل الذين منهم بروكلمان بما جاء في انجيلهم إن كان يؤمن بما في الانجيل .
وأما ردنا على أهل التوراة فهو كما يأتي :

في التوراة

ورد في سفر ملاخي في الاصحاح الثالث عدد « ١ » من النسخة المحفوظة لدى اليهود نقلا عن الأستاذ محمد الطهطاوى « ها أنا سوف أرسل رسولي فيعزل طريقا بحضوري وحينئذ يأتي الى هيكله الولي الذي أنتم تلتمسون ورسول الختان الذي أنتم راغبون هو ذا آت قال الله رب الجيوش » . (٤)

والمقصود برسول الختان هو محمد بن عبد الله . (٥)

(١) شاعر وروائي فرنسي ولد ١٧٩٠ وتوفي ١٨٦٩ شغل مناصب سياسية كثيرة كان يؤمن بمبادئ الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والسلام العالمي وأصبح رئيسا للحكومة المؤقتة بعد ثورة فبراير . من آثاره اعترافات — صدر في ١٨٤٩م ، رواية جرازيل ١٨٤٨م ، سقوط الملوك ١٨٣٨م ، (الموسوعة العربية الميسرة ١٥٤٣) .

(٢) روائي وفيلسوف روسي ، ولد سنة ١٨٢٨ وتوفي ١٩١٠م التحق بالجيش سنة ١٨٥١م ، مربازمة روحية كانت نتيجتها ارتداده الى الايمان بالمحبة المسيحية ، آثاره الطفولة / الصبا / الشباب / وملحمة أسماها الحرب والسلام وله كتاب آخر أسماه البعث — سنة ١٩٠٠م (الموسوعة العربية الميسرة ٥٦١) القاهرة .

(٣) ميخائيل : بشرى زخارى (محمد رسول الله هكذا بشرت به الأناجيل) ص ٤٦ — ٥٤ .

(٤) الطهطاوى : محمد عزت اسماعيل — محمد رسول الله في التوراة والانجيل والقرآن ص ٢٧ القاهرة ١٩٧٢ .

(٥) المرجع السابق .

في الانجيل

وردنا على أهل الانجيل بما جاء في انجيلهم، فان انجيل يوحنا جاء فيه قوله «وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية من ذاك يمجديني لأنه يأخذ من مالي ويخبركم». (١)

وهذه اشارة وبشارة للرسول عليه الصلاة والسلام حيث لم يأت نبي يمجد المسيح الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الذي مجد المسيح واعترف به. هذه البشارة تعنى بأن الرسول الذي سيأتي بعد المسيح لا يخلق ما يقوله لأنه أمة لا يقرأ ولا يكتب ولكنه لا يتكلم الا بما يلقي عليه من وحي وانه سيخبر بأمر آتية. وقد تحقق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام مثل قوله تعالى: «غلبت الروم في أدنى الأرض».

هذا هو محمد بن عبد الله في كتبهم وحسب آراء كتابهم ومؤرخيهم، فلم يبق بعد ذلك مجال لتصديق ما زعموه بعدما ذكرنا من الأدلة ومن نصوص التوراة والانجيل.



(١) انجيل يوحنا اصحاح ١٦ عدد ١٣-١٤.

يقول كارل بروكلمان:

«وليس يجوز أن نطلق الحكم على دين محمد على أساس القرآن وحده طبعاً. وليست المسألة مسألة نظام مرتب، إذا لم تكن الدقة والتماسك الفكري أقوى جوانبه على الإطلاق ولم يكن عالمه الفكري من ابداعه الخالص إلا إلى حد صغير، فقد انبثق في الدرجة الأولى عن اليهودية والنصرانية فكيفه محمد تكييفاً بارعاً وفقاً لحاجات شعبه الدينية». (*)

في عبارة بروكلمان تناقض واضح، فصدرها يناقض عجزها، كيف لا يكون التماسك الفكري والدقة قوية في القرآن، بينما يكون النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد كُتِفَ معلوماته عن اليهودية والنصرانية تكييفاً بارعاً؟ أليس من المنطق أن يكون القادر على تكييف معلوماته تكييفاً بارعاً قادراً أيضاً على تحقيق الدقة؟ وإلا فكيف يكيفها؟

فإذا تجاوزنا ذلك التناقض لنرد على الشرط الأول من الادعاء لوجدنا أنه ادعاء غير قائم، فالذين يمكنهم القول بهذا هم القادرون على فهم البلاغة فهما صحيحاً يؤهلهم للتصدى لهذه القضية الخطيرة (قضية النقد الأدبي) وليس بروكلمان منهم لأن ثقافته العربية ثقافة غير أصيلة.

ماذا يقصد بالتماسك الفكري؟ هل الفكرة مهلهلة؟ لا يجمعها جو نفسي واحد؟ أينقل الفكر القرآني من موضوع إلى موضوع آخر قبل اكماله؟ ماذا يعنى بالدقة؟ أليس الاخبار في القرآن مطابقاً لما حدث وأخبر به ومطابقاً لما لم يحدث وأخبر به قبل حدوثه؟ ما المقصود بالدقة؟

سئمة كثيرة تتوارد على ذهن السامع لأن العبارة عامة، ليس لها مفهوم معين حتى نركز عليه في الرد تركيزاً مباشراً.

لو أن هناك نقاطاً محددة وأمثلة معينة لفصلنا القول فيها رداً وتفنيداً، أما إن عالمه الفكري وما شرعه من الأحكام قد انبثق عن اليهودية والنصرانية وهو الشرط الثاني من العبارة فهذا أيضاً قول غريب، لأن الأديان جميعها واحدة في جوهرها، دعوة إلى التوحيد، ودعوة إلى الإصلاح. فإذا تشابهت اليهودية والنصرانية مع الإسلام فهل في هذا التشابه ما يدعو إلى العجب؟ أليس الله وحده صاحبها وهو الذي أرسل رسله مبشرين؟! وهل يجوز لنا أن نقول إن دعوة المسيح عليه السلام انبثقت عن دعوة موسى عليه السلام؟

ويقول الشيخ الغزالي في هذا الصدد: إن محمداً الذي قدم للعالم أنفس العقائد والشرائع في أرقى أسلوب وأنصع بيان، لو كان أتى بهذا الدين من عند نفسه لا من عند الله لكان معنى هذا أن

(*) بروكلمان: — تاريخ الشعوب — ص ٣٣ (أنظر النسخة العربية المترجمة ص ٦٨).

البشر أقدر على صنع الأديان من رب البشر والا كيف يتصور أن القرآن ومحتوياته عمل انساني، وان العهدين القديم والجديد عمل إلهي؟^(١)

ويقول الأستاذ أحمد محمد جمال: «على أنه لا ضير أن يتفق الاسلام فيما جاء به قرآنا وسنة مع الديانات السابقة، في الأصل الأصل لكل ديانة سماوية، وهو التوحيد أو فيما ندعوا اليه من مكارم الأخلاق». ثم يستطرد ويقول: «ولكن الشمول والسعة والاحاطة بكل حاجات البشرية ومصالحها على مدار الزمن، وفي كل الأوطان، ولكل بني الانسان، قد انفرد بها الاسلام من دون الأديان الأخرى بلا جدال». ^(٢)

إذاً إن ما جاء به محمد من شرع ليس من صنعه، ولم يأخذه من اليهودية أو النصرانية حتى يكيفه حسب ما يراه من ظروف ترضى عنها اليهود والنصارى وغيرهم ممن لا يدينون بالاسلام ليرضى به قومه.

إنما ينهج محمد في أقواله وأفعاله منهجا حميداً رسمته له السماء ونزل به جبريل، مصداقاً لقوله تعالى: «ان اتبع الا ما يوحى اليّ».

٥

ثم يدعى بروكلمان أن الرسول كيّف تشريعه للصيام ليرضى به اليهود أو أنه اقتبسه من احدى الفرق الدينية مثل الغنوصية فيقول:

«غلبت على الاهتمام الديني للنبي في الأوقات الأولى من اقامته في المدينة علاقته باليهود، ولا بد أنه كان يأمل بوصوله (الى المدينة) أن يدخلوا في دينه، لذلك حاول ان يوفق بين شعائر شريعته في كثير من المسائل وبين شعائرهم فقد شرع صيام عاشوراء في اليوم العاشر من المحرم حسب صيام اليهود في يوم الغفران في اليوم العاشر من شهر تشرين* ولكنه أضاف الى ذلك صوما لا يزال معمولاً به حتي اليوم وهو صوم شهر رمضان بكامله، وهو الشهر التاسع من السنة القمرية. وليس من الواضح اذا كان قد اقتبس هذه الفريضة من أحد الفرق الغنوصية». ^(٣)

(١) الغزالي: — دفاع عن العقيدة ص ٣٥.

(٢) جمال: — مفتريات عن الاسلام — ص ٣٦.

(٥) بروكلمان — تاريخ الشعوب — ص ٢٠ — (انظر الترجمة العربية ص ٤٨).

(٣) الغنوصية هي حركة فلسفية ودينية، نشأت في العصر الهلينيقي وأساسها ان الخلاص يتم بالمعرفة أكثر مما يتم بالأعمال الخيرة والأمان، وتأثر بالغنوصيين بعض الفرق اليهودية مثل الاسنين كما أنها اثرت في المسيحية فحملتها على تحديد العقيدة ومحاربة الهرطقة، الا أن أمرها انتهى بادماجها في المانيوية (الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٥٨).

وللرد على ذلك نقول:

«الصيام فريضة قديمة عرفت بها كل الأمم وكلفت بها كل الأديان . قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون»^(١) . فالصيام عبادة مفروضة على جميع الأديان وصوم عاشوراء كان معروفا لدى العرب قبل الاسلام . روى البخارى^(٢) بسند عن عائشة أن قريشا كانت تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية وقد أمر الرسول بصيامه في مكة . وعندما انتقل الى المدينة كان صيام عاشوراء معروفا لديهم أما صيام رمضان فقد فرض في المدينة عندما قويت جذور الاسلام ووضحت وانتقل من مرحلته الأولى الى مرحلته الثانية بعد أن استقر الاسلام وقويت شوكته ثم فرض الصيام على المسلمين ليعلمهم التقوى كما فرض على الذين من قبلهم، وأى غرابة في أن يقر الاسلام مبدأ روحيا فيه طهارة للنفس وزكاء للفرد؟

أما صوم رمضان فقد تنزلت فيه آيات الكتاب «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فمن شهد منكم الشهر فليصمه» . هذا نص الكتاب الاسلامي . فمحمد عليه السلام منفذ لما نزل عليه وليس مقتبسا من الديانات الأخرى، ثم ان الصيام لم يكن من ضمن العبادات الفارسية التي زعم بروكلمان أن الرسول اقتبس منها الصيام .^(٣) فمن أين جاء بروكلمان بهذه الدعوى ؟ (دعوى اقتباس الرسول عباداته من أحد الفرق الفارسية) .

ثم ما هو الهدف الذي يهدف اليه الرسول صلى الله عليه وسلم والذي من أجله سعى إلى ادخال عبادة ليست موجودة في شرعه ؟ أمن أجل أن يدخل نفر من اليهود كانوا يعلمون من كتابهم ما دعاهم اليه ؟ فكل جهاده معهم هو أن يردهم إلى كتابهم سواء كانوا يهودا أو نصارى لأنهم اذا آمنوا بما في كتبهم فسيوصلهم ذلك إلى الايمان به من غير أن يحتاج إلى استمالتهم بشيء جديد يدخله في دينه . وهم قد أمروا أن يفتحوا التوراة والانجيل و يعملوا بما فيها كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبين لهم ما حاولوا اخفائه من كتبهم مصداقا لقوله تعالى: «يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب و يعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين»^(٤) .

«قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين»^(٥) .

(١) سورة البقرة — آية ١٨٣ .

(٢) البخارى — كتاب الصيام ج ٢ ص ٢٢٦ .

(٣) الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم — الملل والنحل — ج ١ ص ٢٤٤ القاهرة ١٣٨٧ .

(٤) سورة المائدة — آية ١٥ .

(٥) سورة المائدة — آية ٦٨ .

و يقول بروكلمان:

«بينما كان محمد وأصحابه يصلون في مكة مرتين فقط وفي المدينة ثلاث مرات، قضت الشعائر المتأخرة تحت تأثير فارس بأن تكون خمسة مواعيد للصلاة». (*)

وبروكلمان يستمر في تسطير الأباطيل دون أن يعتمد على دليل و يسجل على نفسه تعصبا مقيئا ضد الاسلام، ولا يكتفي بالخلط في العبادات عند الصوم بل يتجاوز ذلك الى الصلاة فيدعى أن محمدا اقتبس الصلوات الخمس من الفرس.

الصلاة معروفة عند العرب من قبل مجيء الاسلام والمقصود بها الدعاء^(١) فلا داعى لاقتباسها من الغير، ولما جاء الاسلام فرض على اتباعه صلاتين في مكة وكانت قاصرة على ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي، والى ذلك الاشارة الى قوله تعالى «وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار»^(٢) كما فهمه بعض المفسرين^(٣) وظلت على هذا الوضع حتى حدث الاسراء والمعراج وهو قبل الهجرة حيث فرض الله على عباده المسلمين الصلوات الخمس، وقد فرضت في مكة ولم تفرض في المدينة في اوقات متأخرة كما زعم بروكلمان.

وقد تناول الرد على بروكلمان في هذا الموضوع الأستاذ أحمد الحمانى، يقول: (ان بروكلمان لا يجهل أن المسلمين كانوا يصلون بمكة خمس صلوات في اليوم والليلة، فقد فرضت الصلوات الخمس بمكة ليلة الاسراء والمعراج ونزل فرضها في قوله سبحانه وتعالى «فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون» والآية الكريمة من سورة الروم وهي بالاجماع سورة مكية. فما الذي يحمل بروكلمان على تزوير التاريخ وتشويه الحقائق؟ .. وانه يحاول أن يهاجم الايمان في صدور أبنائنا ليزعزع العقيدة ويتركهم مذبذبين).^(٤)

فمن أين عرف بروكلمان أن الرسول أخذ الصلاة عن الفرس أو المجوس بعدما اتضح أنه لم يعرف ما عند المسلمين. فلا هو عرف ما عند المسلمين؟ ولا عرف ما كان عند الفرس لأنهم مجوس عبدة نار، ليس لهم عبادة تذكر كالصلاة.^(٥)



(٥) بروكلمان — تاريخ الشعوب ص ٣٦ (انظر النسخة المترجمة العربية ص ٤٧).

(١) الخضرى — تاريخ التشريع ص ٣٥.

(٢) سورة غافر — آية ٥٥.

(٣) الخضرى — تاريخ التشريع — ص ٣٧.

(٤) الحمانى: — مجلة جوهر الاسلام ص ٤٨.

(٥) انظر الشهرستاني ص ٢٣٣ ج ١.

وحيثما يتحدث بروكلمان عن العقيدة نراه يتطرق للايمان باليوم الآخر، و يعطى ذلك اليوم وصفا مجملا حسب ما ورد في القرآن، ثم بعد ذلك يحاول أن يعطي للمرأة صورة مشوهة عن نصيبها في ذلك اليوم، حتى يتم الصورة التي رسمها أمثاله الذين أعطوا للمرأة المسلمة تلك الصورة المشوهة لمكانتها في الاسلام بالنسبة للرجل في الحياة الدنيا، ولكن بروكلمان جاء ليتم هذه الصورة في الحياة الآخرة فقال بعد وصفه مباهج الجنة:

«ومباهج الجنة هذه — كما هو واضح — تتوجه الى خيال الرجال دون غيرهم — (النساء)». (*)

والحقيقة أن الله عز وجل حينما وصف الجنة وعد بها الذين آمنوا عامة ولم يخص بها الرجال دون النساء، وإنما وضع لها قاعدة واضحة المعالم قال فيها: «من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون». (١)

قال تعالى: «من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن».

وعلى هذه القاعدة كان الوعد القرآني بالجنة للذين آمنوا، من الرجال والنساء على السواء فالوعد والخطاب للكل وللجميع ولم يقصد النداء القرآني ان الذين آمنوا هم الرجال فقط، لكن الذين آمنوا من رجال وإناث.

هذه طبيعة اللغة العربية، فإذا كان الجمع خليطا من ذكور وإناث كان النداء والتحدث لهم بصفة جمع الذكور من باب التغليب، وهذا ما غاب عن بروكلمان أستاذ اللغة العربية وآدابها.

القرآن لم يخص بلفظ (الذين آمنوا) الرجال دون النساء بالنسبة لمتاع الآخرة.

كما أود أن أوضح في الرد على بروكلمان أن القرآن قد أوضح في بعض الآيات التي تبين أن نعيم الجنة لا يكون قاصرا على الرجال دون النساء بل ان المرأة والرجل مشتركان في المتاع بمباهج الجنة اذا كانا مؤمنين ولكن هذا المتاع مبنى على العمل.

قال تعالى:

«يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم و بآيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم». (٢)

(٥) بروكلمان — تاريخ الشعوب — ص ٣٥ (أنظر النسخة العربية المترجمة ٧٢).

(١) سورة النحل — آية ٩٧.

(٢) سورة الحديد — آية ١٢.

«ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا». (١)

«جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب». (٢)

«الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين، أدخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون» (٣)

«إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون، هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون». (٤)

من هذه الآيات القرآنية يتضح أنه لا فرق بين الرجال والنساء في نعيم الجنة. أما قوله إن الله قد وعد الرجال بمصاحبة حور العين (٥)، ولم يعد النساء بمصاحبة الرجال فهذا بديهي من الناحية الأخلاقية، فطبيعة المرأة وحيائها وخجلها الذي فطرت عليه بانسانيتها جعل من غير المعقول أن يعدهن بوعود مثل هذه من أمور الجنس، كما أن العرب لم تتعود ذلك في طبائعها، ومن البديهي أن يكون القرآن نموذجاً للخلق وقدوة للخلق، فالمرأة بطبيعتها التي فطرها الله عليها تستحي، وتخجل من سماع ذكر هذه الأمور.

كما أن الحور العين التي وعد الله عباده الصالحين بهن في الجنة قد يكن هن نساء الدنيا فيخلقهن الله تبارك وتعالى خلقاً جديداً، فيصبحن هن الحور العين الموعود بهن الرجال الصالحون من أزواجهن أيضاً. (٦)

كما أن بروكلمان لما لجأ إلى التفرقة بين الرجال والنساء في الوعد بالجنة، وقال إن الوعد بالمتاع بالجنة في الآخرة كان موجهاً إلى الرجال دون النساء، لم يقل إن الوعيد بالعذاب لمن كذب في الآخرة للرجال دون النساء، أليست الأداة واحدة بالنسبة للوعد والوعيد مثلما قال الحق: «الذين آمنوا»، «الذين عملوا الصالحات» بالنسبة للوعد قال: «الذين كفروا والذين لا يرجون لقاء ربهم» وغير ذلك بالنسبة للوعيد، فلماذا لم يقل إن الوعيد بالنار كان موجهاً للرجال دون النساء، أم أنه أظهر صورة وأخفى غيرها حتى يبلغ هدفه؟

(١) سورة النساء آية ١٢٤.

(٢) سورة الرعد آية ٢٣.

(٣) سورة الزخرف آية ٦٩-٧٠.

(٤) سورة يس - آية ٥٥، ٥٦.

(٥) بروكلمان - تاريخ الشعوب - ص ٣٥ انظر النسخة المترجمة ص ٧٢.

(٦) تفسير الخازن ج ٤ ص ١١٤.

الفصل الثاني

بعض آراء (بروكلمان) في عصر الخلفاء الراشدين والرد عليها

١

ويتحدث بروكلمان عن الأحداث التي جرت في عهد خلافة أبي بكر الصديق، ويتناول حركة الردة التي تعرضت لها شبة الجزيرة فيقول:

«بيد أنه لم تلبث أن اجتاحت بلاد العرب بأكملها روح الردة ولم يكن للدوافع الدينية في ذلك دور يذكر، وإنما أريد فقط التخلص من سلطة حكومة المدينة غير المريحة». (١)

إن بروكلمان لو كلف نفسه شيئاً من العناية ودرس أسباب الردة وظواهرها لوجد أن أقوى الدوافع وأخطرها، كانت متركزة على الناحية الدينية. وسنبين ذلك للقارئ فيما يأتي:

دوافع الردة

(١) الرغبة في التحلل من قوانين الدين الاسلامي والرجوع الى الأباحية الجاهلية:

وهذا الذي عناه بروكلمان في قوله سلطة المسلمين غير المريحة، فالمرتدون عندما رغبوا في التخلص من الدين الاسلامي وقيود الشريعة الاسلامية والرجوع الى شهواتهم والى التماذى في ارتكاب المنكر وممارسة الحياة الحيوانية التي كانوا يعيشونها كل ذلك لأنهم لم يعرفوا الاسلام على حقيقته، ولم يعرفوا حقيقة الرسول ولا جوهر الدين الذي أتى به ولم يعرفوا فوائده وأهدافه. هذا كله بسبب بعدهم عن منبعه ولذلك كان إيمانهم به ضعيفاً. وذلك في قوله تعالى:

«قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم، وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً إن الله غفور رحيم، إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون». (٢)

(١) بروكلمان - تاريخ الشعوب - ص ٤١ انظر الترجمة العربية ص ٤٨.

(٢) سورة الحجرات - آية ١٤، ١٥.

فهؤلاء الأعراب الذين كان إيمانهم سطحيًا صعب عليهم ترك ملاذ الدنيا وشهواتهم وسعوا جاهدين في التخلص من الدين حتى يتمتعوا ويعودوا إلى ما كانوا عليه مبتعدين عن أى قانون يطبق عليهم أو يمنعهم مما يرغبون فيه . ولا يتم لهم ذلك إلا بابتعادهم عن السلطة المركزية الموجودة في المدينة وانهم يعرفون تمام المعرفة أن السلطة الدينية الموجودة في المدينة هي سلطة سياسية أيضا فالسياسة والدين لا يكاد ينفصل أحدهما عن الآخر عند المسلمين فسعوا للتخلص من الناحية السياسية حتى يتمكنوا بعد ذلك من التخلص من القيود الدينية .

وهذا ما ذكره كثير من المؤرخين فقد أوجد الإسلام نظاما دينية وسياسية ونظاما اجتماعية وخلقية كانت هذه النظم جديدة على العرب لم يألفوها في جاهليتهم فكان من الصعب على كثير منهم أن يخضعوا لها .^(١)

(٢) ردة من أجل المال — وهو سبب ديني أيضا:

وهذا الفريق من المرتدين فهموا — لجهلهم حقيقة الإسلام — أن الزكاة إنما كانت تدفع لمحمد علامة على خضوعهم له من الناحية السياسية ولم يعرفوا حقيقتها في الإسلام وكيف أنها تؤخذ من أغنيائهم لترد على فقرائهم سعيا إلى تحسين الأوضاع الاجتماعية لديهم ولم يعرفوا أن الزكاة لم توزع بعيدا عنهم، لكنها توزع بين أفراد القبيلة نفسها .

وهذا ما يظهر من قول قرّة بن هبيرة لعمر بن العاص : « لا يا هذا إن العرب لا تطيب لكم نفسا بالآثاء، فإن أعفيتموها من أخذ أموالها فستسمع » .^(٢)

ولم يفهم البعض قوله تعالى « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم »^(٣) وقالوا : لسنا ندفع زكائنا إلا إلى من كانت صلاته سكنا لنا^(٤) وأرادوا بذلك أن الزكاة كانت محصورة على شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا خطأ فاحش .

وقد أوجدت هذه الفرقة من المرتدين حركة في المدينة، اذ قام بعض المؤمنين يقولون بعدم قتالهم وهذا كان رأى عمر رضى الله عنه أنه لا داع إلى قتال مانعي الزكاة وقال لأبي بكر: علام نقاتل هؤلاء؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا

(١) الخربوطي: علي حسن — الدولة العربية الإسلامية — ص ٦٥ القاهرة ١٩٦٠ .

(٢) الطبرى ج ٣ ص ٢٥٩، ابن الأثير ج ٢ ص ٣٥٢ .

(٣) سورة التوبة — آية ١٠٣ .

(٤) ابن كثير — البداية والنهاية ج ٦ ص ٣١١ .

الله وأن محمدا رسول الله فان قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها)؟ (١) فقال أبو بكر: والله لو منعوني عناقا وفي رواية عقلا كانوا يؤدونه الى الرسول لقاتلتهم على منعها؟ وقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال. (٢) ثم قال أبو بكر لعمر: الا بحقها وحق الشهادة أداء بقية الفرائض.

وكان رأي أبي بكر هنا أن الغاء ركن من أركان الاسلام يعني هدم الاسلام فلو تساهل — رضي الله عنه — في ركن من أركان الاسلام لضاعت بقية أركانه ولتهدم بنيانه وقد استبان ذلك فيما بعد للقائلين بعدم قتال مانعي الزكاة، فقال عمر — رضي الله عنه —: فوالله ما هو الا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه فعرفت أنه الحق (٣) وقال عبد الله بن مسعود: لقد قمنا بعد رسول الله مقاما — بالنسبة لقتال المرتدين — كدنا نهلك فيه لولا أن الله منَّ علينا بأبي بكر. (٤)

(٣) الخوف من سيطرة قريش:

بعدما انتقل الرسول الى جوار ربه فكر الذين لم يتمكن الايمان في قلوبهم فكرة خاطئة وهي أنه ما دام الرسول قد توفي فمن يخلفه في هذا الدين؟ واعتقدوا أن قريشا اذا وليت هذا الأمر سوف تحوله الى ملك عضود فسعوا جاهدين لكي يفوتوا هذه الفرصة على قريش ويقاسموها ملك الجزيرة طائنين أنهم بذلك سيحدون من سيطرة قريش. وخافوا ان تفرض عليهم سلطانها وتستبق بمركز السلطة بالجزيرة.

فكانوا يعتقدون أنه اذا توفي محمد وهو الشخصية النادرة في العدل، فمن المحتمل أن من سيخلفه من قريش سيحكم بهواه ويحكم هو وأهله وعشيرته فيعلو بذلك شأن قريش وتضيع سمعة قبائلهم ويحرمون هم من شرف السلطة.

(٤) الذين تنبأوا في حياة الرسول:

منهم من خشي سيطرة قريش بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وسعوا الى سلبهم هذه السيطرة بطرق شتى منها أن بعضهم قد ادعى النبوة فبعد ما قضى النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ظهر الأسود العنسي باليمن ومسيلمة باليمامة وطلحة بن خويلد في بني أسد وسجاح في بني تميم وادعى كل منهم النبوة فكانت ردة هؤلاء قبل وفاته صلى الله عليه وسلم.

(١) الطبرى ج ٢ ص ٢٤٤، ابن الأثير — الكامل ج ٢ ص ٣٤٤، ابن كثير ج ٦ ص ٣١١.

(٢) ابن كثير — البداية والنهاية — ج ٦ ص ٣١١.

(٣) ابن كثير — البداية والنهاية — ج ٦ ص ٣١١.

(٤) ابن الأثير — الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٤٢.

كان هدفهم من ذلك كما ذكرنا الرغبة في السيطرة ومشاركة قريش السلطة على بلاد العرب وهذا ما يظهر في كتاب الكذاب مسيلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله، السلام عليك، أما بعد فأني قد اشركت في الأمر معك وان لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشا قوم يعتدون).

ثم كتب الرسول صلى الله عليه وسلم اليه جوابا: (من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين).^(١)

فمن هذا يتضح أن الدافع الى ارتدادهم رغبتهم في تضيق نطاق السلطة لقريش بالنسبة للجزيرة العربية وسعيهم في مشاركتها في السيطرة.

إن هذه الدوافع لودققنا فيها النظر لوجدنا أنها ترجع الى جهلهم بالدين فلو تمكن منهم الدين على حقيقته وعرفوا جوهره لما فكر كل فريق منهم في التخلص منه بالطريقة التي اتبعوها لارتدادهم، ولهذا أيضا سعى الرسول الى قتالهم وكبح جماح من تنبأ في عهده — حتى يكون الدين لله وحده — وسعى بعده أبوبكر وعلى نفس النمط في دحض مفترياتهم وكبت رغباتهم المنحرفة وارجاعهم الى الصراط الذي ارتضاه لهم ربهم ونبىهم محمد صلى الله عليه وسلم.

هذه هي حركة الردة التي يصفها بروكلمان بأنها حركة لا دخل لها في الدين بل هي مجرد حركة أراد القائمون بها التخلص من سلطة المدينة غير المريحة فلم تكن سلطة المدينة سلطة متعبة بل كانت سلطة تسعى الى خير البشرية واخراجها من ظلمات الجهل والاستعباد الى النور والعلم والحرية الحققة فظنوا الجاهلون بحقيقتها سلطة تمنعهم من التصرف في حقوق صورها لهم جهلهم أنه من حقهم التصرف فيها بينما هي في الواقع تؤدي بهم الى السير في المسالك التي تؤدي بالمجتمع الى الانحطاط وتمزيق أواصره.



(١) ابن هشام ج ٤ ص ١٨٣، ابن خلدون ٢ ص ٥٧، الطبري ج ٢ ص ١٤٦.

يذكر بروكلمان:

«وعندما ظهر خالد بن الوليد في منطقة تميم، وجد الطاعة في كل مكان تقريبا، الا أن مالكا ابن نويرة، سيد يربوع (أحد بطون حنظلة) الذي انفصل عن المدينة عقب وفاة محمد مباشرة ظل مؤمنا بسجاح، بيد أنه عندما حاصره خالد بفصائله، عرض هو أيضا استسلامه، ومع ذلك سمح خالد بالقضاء عليه «بقتله» مع رجال آخرين وذلك لأنه اشتهى زوجته الجميلة كما يروى». (١)

إن هذه التهمة قد نقلها بروكلمان من اليعقوبي وأبي الفرج الأصفهاني، وقد قلنا سابقا إن بروكلمان أو حتى معا إذا نقل أحدهما رواية ولم يحققها تحقيقا علميا بمراجعة مصادر أخرى، فإن كليهما يكون مسؤولا عن الرواية المفتراة وشريكا للمفترين.

فتهمة خالد بقتل مالك بن نويرة ونزوته على امرأته قد كثر فيها اللغط وتشعبت فيها الآراء واختلفت وتعددت الروايات. وإن اختلاف الروايات وتعددتها في هذه القضية من أهم الأسباب في اضعاف صحتها.

ولو استعرضنا بعض الروايات التي قيلت في موقف خالد من مالك، لوجدنا أن لكل رواية ما يدحضها و يظهر زيفها.

لما قدم خالد البطاح بعث السرايا وأمرهم بالأذان وأن يأتوه بكل من لم يجب ومن امتنع أن يقتلوه، وكان أبو بكر بقدر أوصاهم أن يؤذنوا إذا نزلوا منزلا فاذا أقاموا الصلاة سألوهم عن الزكاة وإن أبوا فليقاتلوهم.

فجاءته الخيل بمالك، واختلفوا في أمر اسلام مالك ومن معه فكان أبو قتادة ممن شهد باجابتهم للأذان، ولكن بقية من كان مع أبي قتادة لم يذكروا أنهم سمعوا رد الاذان من مالك وقومه، فلما اختلفوا في أمرهم أمر بهم خالد فحبسوا في ليلة باردة فنادى منادى خالد أن (دافئوا أسراكم) وكان على الأسرى ضرار بن الأزور، وهو من كنانة، وكانت كلمة دافئوا في لغة كنانة معناها القتل، فقتلهم ضرار وسمع خالد بذلك فخرج وقال: إذا أراد الله أمرا أصابه. (٢)

(١) بروكلمان — تاريخ الشعوب — ص ٤٣ (أنظر النسخة المترجمة ص ٨٦).

(٢) ابن الأثير ج ٢ ص ٣٥٨، ابن كثير — البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٢٢، ابن خلدون ج ٢ ص ٧٤، الطبري ج ٢ ص ٢٧٨.

وكثرت الروايات في هذا الأمر حيث صارت لغطا، ليس للعقل فيه مجال وتدخل الدساسون من خلال هذا اللفظ، ليضعوا في سيرة الرجل ما يشينه ويحط من قدره، ونقلها الرواة المسلمون من غير تدبر ولا تفكير. (١) فيقول اليعقوبي: «فأتاه مالك بن نويرة يناظره واتبعته امرأته فلما رآها خالد أعجبته فقال: والله لا نلت ما في مثابتك حتى أقتلك، فنظر مالكا فضرب عنقه، وتزوج امرأته». (٢)

و يذكر أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني أنه لما تنبأت «سجاح» اتباعها مالك ثم أظهر أنه مسلم، فضرب خالد عنقه فطعن عليه جماعة من الصحابة لأنه تزوج امرأة مالك بعده وقد كان يقال إنه كان يهواها في الجاهلية واتهم لذلك بأنه قتل مسلما ليتزوج امرأته من بعده. (٣)

وفي رواية أخرى يقول فيها: «إن ليلى كانت مع زوجها (مالك) وهو يناظر خالدا، فلما سمعته يقول: إني قاتلك، والله لأقتلنك، ألقت بنفسها على قدمي الفاتح تلتمس منه العفو وقد انسدل شعرها على كتفها وبلل الدمع منها عينين زانهما الحور فزادهما سحرا، ونظر خالد الى وجهها البارع وهي ترنو اليه مستعطفة مسترحمة نظرة هوى وأعجاب فصاح مالك: انني مقتول لا محالة وأجاب خالد: ما لهذا والله انما قضى عليك كفرك، وأمر بضرب عنقه». (٤)

إن من الرواية نفسها يتضح لنا عدم اسلام مالك كما أن أمر خالد للسرية أن يأتيه بمن لم يجب لداعية الاسلام وأن مجيء الخيل بمالك يدل على عدم اسلامه واجابته للدعوة، فلو صح اسلام مالك لذهب الى قائد المسلمين طائعا مختارا معلنا اسلامه. (٥)

كما أن زيف هذه الرواية يظهر في عدم تناسقها فلو أن قوم مالك أتوا مع المسلمين كما قال أبو قتادة لانتفى الخلاف لأنهم كانوا في الصلاة جماعة، فكيف يكون هناك خلاف وكلهم كانوا في صلاة واحدة؟ فيذكر أبو قتادة أنهم صلوا مع المسلمين و يذكر بقية الفصيحة أنهم لم يصلوا فهذا تناقض غير واضح ولا يمكن أن يقع على هذه الصورة، ولو علم الجيش بأمر أبي قتادة لما أحضروا قوم مالك الى خالد، وأيضا لما وضعهم خالد حتى يتحقق من أمر اسلامهم.

(١) د. شعوط — أباطيل يجب أن تمحي من التاريخ الاسلامي — ص ١٢٧.

(٢) اليعقوبي ج ٢ ص ١٣١.

(٣) الاصفهاني: الأغاني ج ١ ص ٦٤.

(٤) المصدر السابق ص ٦٦.

(٥) عرجون: خالد بن الوليد ص ١٤٦.

(موقف الصديق والفاروق من سيف الله) :

يذكر المؤرخون أنه لما وصل أبو قتادة إلى أبي بكر فأخبره بمقتل مالك قال عمر لأبي بكر: إن سيف خالد فيه رهق، وأكثر عليه في ذلك فقال أبو بكر: هيه يا عمر تأول خالد فأخطأ، فرفع لسانك عن خالد فأني لا أشيم سيفاً سله الله على الكافرين. وودى مالكا وكتب إلى خالد أن يقدم عليه، ففعل. ودخل المسجد وعليه قباء وقد غرز في عمامته سهماً فقام إليه عمر فنزعها وحطمها وقال له: قتلت امرأة مسلماً ثم نزوت على امرأتها والله لأرجنك بأحجارك!... وخالد لا يكلمه فظن أن رأى أبي بكر مثله ودخل على أبي بكر فأخبره الخبر واعتذر إليه فعذره وتجاوز عنه فخرج خالد وعمر جالس فقال: هلم إليّ يا بن أم سلمة. فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه فلم يكلمه. (١)

لو استعرضنا مقام الرجلين في الحفاظ على دين الله وفي اتباع سنة رسول الله والجرأة في الحق، وعدم الخشية إلا من الله — لو استعرضنا كل ذلك — لوجدنا أن أبا بكر لا يمكن أن يدافع عن إنسان انتهك حرمة من حرمت الله. ولا يمكن أن يفرط في حد من حدود الله مهما كانت الأحوال والظروف.

كما أن عمر يسير معه على هذا المنهج، فلا يمكن أن تأخذ واحداً منهما رأفة على جان أو مذب ولا ينبغي أن يكون للمركز الأدبي أو الاجتماعي أثر في تقدير الجريمة أو توقيع العقوبة.

ونستطيع بعد ذلك أن ندرك أن عرض صورة الخلاف بين أبي بكر وعمر في هذا الشأن لا ينبغي أن يكون، لأن خالدًا إما أن يكون بريئاً في نظر الرجلين فلا تثريب عليه، وإما أن يكون مسيئاً فلا يصح لأبي بكر أن يلتمس له المعاذير مع وقوعه في الجريمة مهما كانت حاجة الدولة إليه ومهما كان بلاؤه.

ثم لماذا صور الرواة موقف عمر وحده ضد خالد، مع أن هذه القضية من الخطورة بحيث يكون أعلام الصحابة جميعاً لهم رأي فيها؟ (٢)

فالمسألة ليست هي مسألة اجتهاد في أمر مشتبه فيه، بل الاختلاف في أمر واضح صريح. ثم أن الحادث — قتل خالد لمالك — وهو مسلم، قد علم به بعض أهل السرية أو الفرقة كلهم وكلهم من الصحابة من مهاجرين وأنصار، وكان إيمانهم هو إيمان أبي قتادة فلورأوا خطأ خالد لكان

(١) الضبري ج ٢ ص ٢٨٠. ابن الأثير ج ٢ ص ٣٥٩، ابن كثير ج ٦ ص ٣٢٥.

(٢) أنظر د. شعوط ص ١٣٣.

موقفهم هو موقف أبي قتادة من انكاره للحادث ، لأنهم كلهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلهم على درجة واحدة من الايمان بحيث لا يقبلون ظلما ولا جورا ولا اعتداء على مسلم برىء .

ثم ان الرواية تقول ان أبا بكر ودى مالكا فنقول نحن : اذا كان أبو بكر ودى مالكا فقط والرواية نفسها تقول ان مالكا قتل مع أصحابه اعتمادا على قول خالد (دافئوا أسراكم) فلم لم يود أبو بكر بقية أصحاب مالك وهم قتلوا على حكم واحد ، ورأيهم كان على رأي سيدهم مالك فمن الواجب أن يكون حكمهم في الدية هو حكم سيدهم حتى لو اختلف مقدار الدية ؟

وما الفرق في رأي عمر بين اسلام مالك واسلام أصحابه ؟ فلماذا كان غضب عمر على قتل مالك ؟ ولم ترو القصة أنه غضب على قتل البقية ! أما كان غضبه على الجماعة أولى ؟

وأبو قتادة نفسه لماذا لم ينكر على خالد الا قتله مالكا ، ولم ينكر عليه قتل الجماعة ، أما كان قتل الجماعة أولى بالغيرة على قتل الفرد ؟

(مالك بن نويرة لم يكن مسلما) :

هنا فلننظر الى رواية ابن الأثير للحديث الذي جرى بين عمر ومتمم بن نويرة أخى مالك — فيقول ابن الأثير: ولما قدم — متمم — على عمر قال له : ما بلغ بك الوجد على أخيك ؟ قال : بكيته حولا حتى اسعدت عيني الذاهبة عيني الصحيحة .. الخ . فقال عمر : أنشدني بعض ما قلت فيه فأنشده مرثيته التي يقول فيها :

من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وكنّا كندمانى جذيمة حقة
فلما تفرقنا كأنى ومالكا

فقال عمر : لو كنت أقول الشعر لرثيت أخى زيدا ، فقال متمم : ولا سواء يا أمير المؤمنين لو كان أخى صرع مصرع أخيك لما بكيته . فقال عمر : ما عزاني أحد بأحسن مما عزيتني به . فهذا دليل من أخيه على موته كافرا . (١)

وتزعم بعض الروايات أن عمر قال : « لئن وليت الأمر لأقيدنك به » .

(١) س ٤٦٠ — الكامل ج ٢ ص ٣٦٠ .

وحقق الله أمنية عمر وولى الأمر بعد أبي بكر، فأين وعد عمر باقامة الحد؟ وأين جرأة عمر وقوة إيمانه؟ فليس هو بالذي يثنيه شيء عن اقامة حد أو اداء واجب فما دلالة هذا؟ هذا يدل على أن عمر كان مقتنعا ببراءة خالد من تهمة قتل مالك بن نويرة وهو مسلم لأنه لم يقم عليه الحد بعد أن أصبح خيفة للمسلمين.

(براءة خالد)

أما موضوع أم تميم وقصة زواج خالد بها فقد اختلفت الروايات في كيفية اتصال خالد بأم تميم أرملة مالك بن نويرة كما اختلفت في مقتل مالك. فبعض الروايات تقول أن أم تميم كانت مسلمة وقد انفصلت (١) عن مالك بمجرد ارتداده الا أنها ظلت محبوسة عنده.

وثانيه تقول بأن خالدا قد اشتراها من الفيء وبنى بها. (٢)
وأخرى تقول بأنه تركها حتى ينقض طهرها. (٣)

فعلى كل حال قد كان زواج خالد بأم تميم زواجا شرعيا بدليل أن أم تميم بقيت مع خالد حتى رجع الى اليمامة. (٤)

أما ما قيل من أن خالداً خالف التقاليد الشرعية بزواجه من أم تميم في ميدان القتال فلعل خالدا اقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم بزواجه من السيدة صفية بنت حبي بن أخطب في غزوة خيبر.



(١) عرجون ص ١٥٥.

(٢) المرجع السابق ص ١٥٧.

(٣) الطبرى ج ٣ ص ٢٧٨، ابن كثير ج ٦ ص ٣٢٢، ابن الأثير ج ٢ ص ٣٥٨.

(٤) العقاد: عبقرية خالد — ص ٩٨.

ويذكر كارل بروكلمان في كتابه «تاريخ الشعوب» عن سيدنا عثمان فيقول:
«وقد يكون أصله الأرستقراطي هذا، الذي عادل عند النبي نقص كفاءته الشخصية». (٥)

لا ندري ماذا يريد بروكلمان من هذا النص الذي كتبه حول عثمان بن عفان، فهل يريد أن يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم اختار عثمان — رضي الله عنه — ليكون صهره بسبب غناه وثروته ومظهره الأرستقراطي، كما يقول بروكلمان، واعتبر الرسول أن ثراء عثمان يعادل نقص كفاءته الشخصية وعلى ذلك عقد معه مصاهرة على كرميته (رقية وأم كلثوم)؟؟؟

وهذه رمية من غير رام، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن ينظر في معاملة أصحابه إلى شيء غير التقوى والصلة الخالصة بالمولى سبحانه وتعالى والعمل الصالح والخلق الفاضل.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم راضيا كل الرضا عن عثمان لتقواه وعمله الصالح فقال مرة: «اللهم ارض عن عثمان فاني عنه راض».

فاذا دققنا في القضية التي ذكرها بروكلمان نجد أن الدافع لرسول الله صلى الله عليه وسلم في علاقته بعثمان ورضاه عنه لم يكن لشيء من أمور الدنيا.. كما أن عثمان لم تكن تنقصه الكفاءة الشخصية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعد وفاته، والا لما اختاره أهل الشورى الذين عينهم عمر لاختيار من يخلفه. فاختياره من الستة دليل واضح على أنه أكفأ الموجودين وأصلحهم لرعاية شؤون المسلمين.

فكيف يقال أن أصله الأرستقراطي هو الذي عادل نقص كفاءته عند النبي صلى الله عليه وسلم؟!!

ثم يستطرد بروكلمان في نفس الصفحة فيقول:
«وليس من شك أيضا في أن أعضاء المجلس — كبار الصحابة — آثروا اختياره رغبة منهم في أن يروا على رأس المسلمين رجلا يستطيعون توجيهه والتعامل معه في سهولة ويسر». (٥)

أما عن المعنى الذي قصده بروكلمان من أن اختيار الصحابة لعثمان لأنه كان ضعيفا بحيث يمكن توجيهه والسيطرة عليه، فهذا قول لم يقله أحد ولم يكن له واقع في التاريخ، فإن أعضاء المجلس الذي عينه الخليفة الراحل لم يكن أحد منهم يعرف من منهم سيكون الخليفة إلى آخر لحظة

(٥) بروكلمان ص ٥٧ — أنظر النسخة المترجمة ص ١١٠.

(٥) بروكلمان — المصدر السابق .

وهذا ما يظهر من قصة الشورى ، وسأوردها حتى يتضح الأمر أكثر وهي أن عمر دعا عليا وسعدا وعثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير، فقال لهم : إننى نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم، لا يكون هذا الأمر إلا فيكم وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنكم راضٍ .

فان أعضاء مجلس الشورى الذين اختارهم أمير المؤمنين ورأى أنهم أفضل القوم ممن بقى من الذين ذهب الرسول وهو عنهم راضٍ، هؤلاء الستة، رأى فيهم عمر أنهم هم أفضل القوم وهم الذين يخافون ربهم، يتقونه حق تقاته، ولم يكن لهم منهج يسرون عليه سوى منهج الرسول صلى الله عليه وسلم . ثم أمرهم أن يتشاوروا ثلاثة أيام ولا يأتي اليوم الرابع الا وعليهم أمير منهم، وبناء على رغبة أمير المؤمنين عمر في سرعة البت في هذه القضية أخرج عبد الرحمن بن عوف نفسه من هذا الأمر على أن يكون حكما يختار من يراه أقوى وأصلح لولاية أمر المسلمين . وعرض أعضاء مجلس الشورى على عبد الرحمن بن عوف وأخذوا منه ميثاقه على أن يؤثر الحق ولا يتبع الهوى ولا يخص ذا رحم ولا يالو الأمة نصحا .

كما أعطوه موافقتهم على أن يكونوا معه على من يبدل أو يغير وأن يرضوا على من يقع اختياره عليه .

وبذل عبد الرحمن بن عوف جهده في التحرى عن الأصلح والأقوى لحمل مسؤولية الخلافة، وانحصرت الآراء كلها في رجلين من الستة هما عثمان وعلي بن أبي طالب، فأصبح موقف عبد الرحمن بن عوف دقيقا جدا في تفضيل أحد هذين الرجلين على الآخر.

فدعا عليا وقال : عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفين من بعده . قال : أرجو أن أفعل فأعمل بمبلغ علمي وطاقتي، ودعا عثمان فقال له مثلما قال لعلي فقال : نعم نعمل . فرفع رأسه الى سقف المسجد ويده في يد عثمان، فقال : اللهم اسمع واشهد اللهم أني قد جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان، فبايعه .^(١)

فمن سياق هذه الأحاديث تبين أن اختيار عثمان خليفة للمسلمين لم يكن الا لأنه أقوى وأصلح من يتحمل المسؤولية أمام الله وأمام المسلمين .

وهنا تسقط دعوى بروكلمان من أولها الى آخرها لعدم وجود سند يعتمد عليه فيما يزعم .



(١) أنظر الطبري ج ٤ ص ٢٣٨، ابن الأثير ج ٣ ص ٦٥-٧٦، ابن كثير ج ٧ ص ١٤٤-١٤٧.

الفصل الثالث

بعض آراء (بروكلمان) في عصر بني أمية وبني العباس والرد عليها ١

ويتعرض بروكلمان لسيرة الصحابي الجليل المغيرة بن شعبه فيصفه بأوصاف تشبه السباب فيقول عنه:

«وهو رجل انتهازي لا ذمة له، ولا زمام، اضطر في شبابه الى أن يغادر مسقط رأسه الطائف بسبب جريمة قتل، حتى اذا كانت سنة ٦٢٩م وفد على محمد في المدينة ثم انه حطم آلهة البلدة بأمر من الرسول وأظهر من التقوى ما جعله في جملة الأستقرائية الاسلامية الجديدة».

ثم يعود فيستطرد و يقول:

«وقد عينه عمر بن الخطاب على البحرين ثم البصرة الا أنه عزله من منصبه من سوء السيرة الأخلاقية — الزنا —». (٥).

دائما نقف مع بروكلمان أمام كل رواية خاطئة وكل فرية ذكرها المفرضون في الاسلام لنقول: إنه كان ينبغي على بروكلمان أن يتحقق من صحة الكذوبة التي ينقلها عن بعض المراجع العربية وليس لها من القوة ما يقف أمام النقد العلمي، فقد نقل في كتابه عن المغيرة بن شعبه أنه رجل انتهازي لا ذمة له ولا زمام وأخذ عليه أنه ارتكب جريمة قتل قبل اسلامه.

ثم ذكر أنه اظهر من التقوى ما جعله من الصفوة المختارة عند الرسول صلى الله عليه وسلم. فلو كان بروكلمان صاحب نية حسنة أو باحثاً أكاديمياً لعلم أن في جميع هذه الرواية أمور لا ينبغي تسجيلها في صحيفة أحد الصحابة، وكان يجب أن يعرف أن سيرة الصحابة في جاهليتهم لا يقام لها

(٥) بروكلمان — ص ٦٤ — ٦٥ — انظر الترجمة العربية ص ١٢١.

وزن بعد اسلامهم، فقد أصبح المغيرة بن شعبة بعد اسلامه موضع ثقة الرسول عليه الصلاة والسلام ثم صحابته من بعده فولاه عمر البحرين ثم البصرة ثم الكوفة^(١) وأقره على ذلك عثمان من بعده ثم معاوية^(٢).

ثم هو فوق هذا كله يحمل شهادة من القرآن الكريم بأنه من الذين رضي الله عنهم في قوله تعالى «لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة»^(٣) فهو ممن حضر بيعة الرضوان في الحديبية وكان له موقف مع عروة بن مسعود الثقفي الذي كان يتناول لحية الرسول عليه الصلاة والسلام أثناء حديثه فيقرع المغيرة يد عروة ويقول له: أكفف يدك من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤).

فاذا كان القرآن قد ذكره في بيعة الرضوان فمعنى ذلك أنه كان من الصفوة المختارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن كما قال بروكلمان انه انتهازى لا ذمة له ولا زمام.

ونحن نذكر بعض مواقف المغيرة من الاسلام في بعض المراجع العربية مما يدحض زعم بروكلمان ويجعلنا لا نقيم وزنا لما يذكره خصوم الاسلام.

فالمغيرة بن شعبة شهد اليمامة وفتح الشام وذهبت عينه باليرموك وشهد القادسية وفتح نهاوند وهمدان^(٥).

واعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان^(٦) وآثر البعد عن الخوض فيها ويصفه بروكلمان بأنه لا ذمة له ولا زمام.

أما اتهام المغيرة بن شعبة بأن سبب عزله عن البصرة لسوء سيرته الأخلاقية فهي تهمة لا نصيب لها من الحقيقة ويكفي لنفيها وكشف زيفها تولية عمر له على الكوفة بعد البصرة فلو صحت هذه التهمة عند عمر لما جدد له العهد برعاية أمور المسلمين حين يوليه على مصر مثل الكوفة ثم كيف يتطرق الشك الى صحابي مثل المغيرة وهو من رواة الحديث الذين لا يتطرق الشك اليهم؟^(٧)

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٠، ابن الأثير أسد الغابة ج ٥ ص ٢٤٨.

(٢) ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٦٢.

(٣) سورة الفتح آية ١٨.

(٤) ابن هشام ج ٣ ص ٢٠٠، الطبري: التاريخ ج ٢ ص ٦٢٧، ابن الأثير — الكامل ج ٢ ص ٢٠١، ابن كثير ج ٤ ص ١٦٧.

(٥) ابن الأثير — أسد الغابة ج ٥ ص ٢٤٨، تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٦٢.

(٦) المصدران السابقان.

(٧) ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٦٢.

ويتطرق بروكلمان لشخصية عبد الله بن عباس أثناء حديثه عن قيام الدولة الأموية، قال:

«وكان عبد الله بن عباس قد استولى قبل ذلك على ما في بيت مال البصرة وانضم الى صفوف معاوية». (٥).

نعود فنقول: إن بروكلمان وأمثاله يدسون أنوفهم في كتب التاريخ و يبحثون عن الروايات الهزيلة التي رواها المغرضون. ثم يعرضونها على الناس لينتقصوا بها من قدر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان المفروض أن مثل بروكلمان يعرض هذه القضية على موازين التحقيق العلمي و يفحص رواة القصة قبل أن يصدر حكمه عليها، فقصة عبد الله بن عباس وما قيل عنه من أنه أخذ ما في بيت مال البصرة لم نجد لهذه الرواية سوى نقلها عن أبي الأسود الدؤلي في كتب التاريخ الأولى التي تعتمد على نقل الخبر دون فحص أو تدقيق كما أنها وجدت في بعض كتب الأدب مثل «العقد الفريد». (١).

وقد ذكرت سابقا بعدم وجوب قبولنا هذه الأخبار التي اختصت بها كتب الأدب ونقلتها كتب التاريخ من غير تحقيق. بل يجب علينا أن نضعها تحت مجهر الحقيقة والواقع وننظر اليها بمنظار عصرها الذي جرت فيه ونقدمها بذلك لمجال الجرح والتعديل.

ولا ينبغي علينا أن نأخذ بها كما نقلها المغرضون وروجوا لها وحاولوا الباسها ثوب الحقيقة هادفين بذلك الاساءة الى الاسلام ورجاله. فرواية استيلاء ابن عباس على مال البصرة هي من ضمن هذه الروايات المختلقة في كتب الأدب والتاريخ فحاول زعماء الاستشراق اصطيادها وعرضها على الملأ بالصورة التي يرغبون.

فلو أبعدنا شخصية عبد الله بن عباس عن واقعها الحقيقي من حيث ايمانه وعلمه ونسبه وصحبته ونظرنا الى القضية نظرة مدقق دون اعتبار لأي ناحية من نواحي شخصيته رضي الله عنه لظهرت لنا الحقيقة.

فالذين ذكروا القصة يتفقون على رأى واحد وهو أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قد مر على أبي الأسود الدؤلي وكان على بيت مال البصرة وقال له: لو كنت من البهائم لكنت جملا، ولو كنت راعيا لما بلغفت المرعى. فكتب أبو الأسود الى علي أن ابن عمك أكل ما تحت يديه بغير

(٥) بروكلمان ص ٦٤ — أنظر الترجمة العربية ص ١٢١.

(١) ابن عبد ربه — العقد الفريد ج ٥ ص ١٠١.

علمك^(١) و يتفقون أيضا على أن المكاتب لم تحصل الا فور المشاحنة التي حصلت بين ابن عباس وأبي الأسود.

والظاهر من الرواية أن ابن عباس قد مر بأبي الأسود ووبخه على أمر ما، فأساء ذلك الى أبي الأسود فحاول الانتقام لنفسه فما كان منه الا أن سلك هذا المسلك، ذلك لأن الرواية لم تذكر أى حديث قد دار بين ابن عباس وأبي الأسود. حول المال أو بيت المال. ومعنى ذلك أنه لو صحت هذه الرواية، ولم تحدث المغاضبة ما كتب أبو الأسود مثل ما كتب^(٢).

ثم تقول الرواية انه قد جرت هناك عدة مراسلات بين علي بن أبي طالب من جهة، وبين ابن عباس وأبي الأسود من جهة أخرى يظهر منها اقتناع الامام علي برأى أبي الأسود، واصراره على ابن عمه بارجاع المال أو تبيان مقدار المبلغ ووجه انفاقه^(٣).

ولو نظرنا الى هذه الناحية من القضية فهل من المعقول أن علياً بن أبي طالب يتهم ابن عمه العباس باختلاس بيت مال المسلمين بمجرد وصول الخبر اليه من أبي الأسود؟ ولنفترض أن الخبر من أبي الأسود قد وصله بالتأكيد لم لم يقم سيدنا علي بتحري القضية والاستفسار عن مدى صحتها؟ وهذا ما لم تذكره كتب التاريخ هل كان أبو الأسود مصدقا عند علي أكثر من ابن عباس لدرجة أنه بمجرد أن يصله الخبر يبادر بارسال كتاب لابن عمه يطالبه باحضار المال.

كما أن بروكلمان يقول: «ان ابن عباس قد انضم الى معاوية وترك عليا.» ولسنا نعرف من أين أتى بروكلمان بهذه القضية فلم أجد لها صحيح سند في كتب التاريخ وكل ما ورد في هذا الصدد هو أن ابن عباس هدد عليا بالانضمام الى معاوية وهذا ما ذكره ابن عبد ربه في كتابه الأدبي «العقد الفريد» حيث قال: «والله لئن لم تدعني من أساطيرك لأحملته الى معاوية يقاتلك به فكف عنه علي»^(٤).

أما الانضمام الفعلي الى معاوية الذي يزعمه بروكلمان فليس له من الحقيقة نصيب.

ولو استوعب بروكلمان كل ما قيل في ترك ابن عباس البصرة لوجد ما يدحض زعمه، فالكل متفق على أن ابن عباس قد خرج من البصرة الى مكة ولم يلحق بمعاوية في الشام^(٥).

كما أن هناك عدة روايات تنفي هذه القصة المختلقة. فيروي ابن الأثير أن ابن عباس لم يزل عاملا على البصرة لعل حتى قتل علي^(٦).

(١) الطبري ج ٥ ص ١٤١، ابن الأثير ج ٣ ص ٣٨٦، ابن خلدون ج ٢ ص ١٨٢.

(٢) د. شعوط: — أباطيل يجب أن نحمي من التاريخ الاسلامي ص ٢١٢.

(٣) الطبري ج ٥ ص ١٤٢، ابن الأثير ج ٣ ص ٣٨٦.

(٤) ابن عبد ربه — ج ٥ ص ١٠١.

(٥) الطبري ج ٥ ص ١٤٢، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٣٨٧، ابن كثير — البداية والنهاية — ج ٧ ص ٣٢٢، ابن خلدون

ج ٢ ص ١٨٥.

(٦) ابن الأثير ج ٣ ص ٣٨٦.

و يذكر في رواية أخرى أن ابن عباس كان على مقدمة الجيش الذي أظهره الحسن لأخذ البيعة من معاوية (١). و يروي السيوطي في بقية الدعاة أن ابن عباس هو الذي استخلف أبا الأسود على البصرة عند شخوصه الى الحجاز فظل فيها حتى قتل علي (٢).

و يروي ابن خلكان أن ابن عباس هو الذي استخلف أبا الأسود على البصرة عند سفره الى الحجاز ولم يذكر قصة الاختلاس (٣) كما أن بعض المراجع لم تورد هذه القضية مثل ابن حجر (٤) و ابن الأثير (٥) فاختلاف الروايات دليل على عدم التأكد من الموضوع ذاته ولكن ينبغي علينا أن نأخذ بالأقرب للواقع والمنطق والمطابق لواقع العصر والشخصية ذاتها.

و بعد هذا يتضح لنا عدم صحة فرية الاختلاس وفرية الانضمام الى معاوية.

ثم لو نظرنا الى الشخصيات التي تدور حولها هذه الفرية لبدا الأمر أكثر وضوحاً. فشخصية ابن عباس ومكانتها من ناحية التقوى والعلم والنسب وهذا ما سأذكره فيما بعد، كانت على نقیض شخصية أبي الأسود الدؤلي المشكوك في سلامتها (٦).

كان أبو الأسود معروفاً بالبخل، وكان يقول: «لو أطعمنا المساكين في أموالنا كنا أسوأ حالا منهم» وقال لبنیه: «لا تجاودوا الله عز وجل، فانه أجود وجوده لو شاء أن يوسع على الناس كلهم لفعل، فلا تجهدوا أنفسكم في التوسع فتهلكوا هزلاً» (٧).

إنه اذا كان هذا القول صحيحاً من أبي الأسود فقد سقطت شهادته فلا تقبل على عبد الله ابن عباس لأن أبا الأسود بناء على هذه الرواية صرح وجاهر بأمر كان يجاهر به الكفار والمشركون حين كانوا يقولون: «أنطعم من لو يشاء الله أطعمه؟» (٨).

ثم يعود بروكلمان و يتطرق لابن عباس أثناء حديثه عن ظهور الدولة العباسية: «وكان جدهم عبد الله بن عباس وهو ابن عم الرسول، واذ لم يجد سبيلاً الى تمثيل دور سياسي ما فقد صرف همه الى الحديث يدرسه و يتزود فيه بالخيال الطياش والاستمداد من القصص التلمودي الذي قر به اليه نفر من اليهود الداخلين في الاسلام» (٩).

(١) ابن الأثير ج ٣ ص ٤٠٤.

(٢) السيوطي: — بقية الدعاة ج ١ ص ٤٥٨ — القاهرة ١٣٨٤.

(٣) ابن خلكان: — وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٣٨ — بيروت دار صادر.

(٤) تهذيب التهذيب.

(٥) أسد الغابة.

(٦) د. شعوط — أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ الاسلامي ص ٢١٢.

(٧) ابن خلكان — وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢١٨.

(٨) د. شعوط — ص ٢١٣.

(٩) بروكلمان ص ٩٣ (أنظر الترجمة العربية ص ١٦٦).

حقا ان ابن عباس لم يمثل دورا سياسيا في الدولة الاسلامية سوى ولاية البصرة في خلافة علي ابن أبي طالب الذي ما لبث أن توفي الامام علي حتى ترك ابن عباس البصرة واختار الإقامة في مكة بمحض ارادته كما تقدم.

وما نعرف عن ابن عباس أنه في يوم من الأيام قد سعى لنيل مركز سياسي فسدت في وجهه السبل، كما يزعم بروكلمان، بل أن هناك مواقف عدة توضح تجنب ابن عباس عن هذه المواقف ورغبته في عدم السعي لطلب أى دور سياسي. وها هو ذا ابن عباس يقول لمعاوية بعد ما أخذ البيعة من أهل المدينة لابنه يزيد: «يا معاوية اني لخليق أن أنحاز الى بعض السواحل، فأقيم به ثم انطلق بما تعلم حتى أدع الناس كلهم خوارج». (١)

إن هذا افتراء وكذب ورمى ابن عباس بأنه يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخترع أحاديث من محض خياله أو يتأثر بقصص التلمود وما وضعه اليهود في كتبهم من الكذب والافتراء فأى رمية هذه التي رمى بها بروكلمان هذا الصحابي الجليل حبر الأمة وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصدق من روى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!!

فقد شهد له أهل العلم من الصحابة بصدق ما يروى، وتحريه دائما وجه الصواب بحيث أطلق عليه علماء الحديث أنه من الرواة المحدثين المتخصصين في رواية الحديث، واعتبروه في الدرجة الأولى من الرواة والمحدثين مع أبي هريرة وابن عمر وأنس بن مالك وعائشة وابن مسعود رضي الله عنهم وهؤلاء جميعا لا يتطرق الشك اليهم في حسن تقديرهم لابن عباس. ومرويات ابن عباس المسجلة في الكتب الصحاح قد بلغ عددها (١٦٦٠) حديثا. (٢)

فهذا ابن عباس وفي مقدوره أن يفعل ما يفعل ولكن لا يريد من هذا الأمر شيئا، وها هو ذا معاوية عند وفاته يوصي ابنه يزيد فيقول: «واني لست أخاف عليك أن ينازعك هذا الأمر إلا أربعة نفر من قريش: الحسن بن علي، وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر». (٣)

ولم نر من ضمن هؤلاء الأربعة أنه قد ذكر ابن عباس، فقد كان معاوية عارفا تمام المعرفة من ناحية ابن عباس بأنه لا رغبة له في الأمر، بل كل همه العلم والتحصيل والبعد عن ذلك الدرب.

ويروي ابن الأثير أيضا أن ابن عمر كان هو وابن عباس بمكة فعادا الى المدينة فلقيهما الحسين وابن الزبير فسألاه: ما وراءكما؟ فقالا: موت معاوية وبيعة يزيد. فقال ابن عمر: لا تفرقا

(١) س لأبرجد ٣ ص ٥١٠.

(٢) نور هو - حديث والمحدثون ص ١٤٠.

(٣) س لأبرجد ٤ ص ٦. الفخرى ج ٥ صفحة ٣٢٢.

جماعة المسلمين، وقدم هو وابن عباس المدينة فلما بايع الناس بايعا. (١)

يعني أن ابن عباس لم يعارض ولم يمانع ولم يدع لنفسه ما لغيره من أمور الخلافة فابن عباس كان رجلا زاهدا في هذا المجال من الحياة لم يسع لطلبه ولم يسع لتسهيل سبله حتى يصل اليه .

فلو كان بروكلمان قد اكتفى في رمي ابن عباس بالكذب والاعتماد على الخيال فيما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاكتفينا بهذا الرد، وإنما أضاف الى هذه التهمة تهمة أخرى وهي أنه اعتمد على قصص التلمود وعلى ما أملاه عليه نفر من اليهود الداخلين في الاسلام .

ونحن ازاء هذه التهمة لا بد لنا من الرد على بروكلمان لأن ما رواه ابن عباس من أحاديث كان كله في فضل العلم والحث على طلبه والسعي في الحصول عليه والعمل من أجل الآخرة . هذه المعاني كلها لم تكن معروفة لليهود قبل الاسلام كما أنها لم توجد في كتب التلمود الموجودة بين أيديهم، فكيف يذكر بروكلمان أن ابن عباس تزود من القصص التلمودي فيما روى من أحاديث؟ ولم يضع ابن عباس من الأحاديث التي تبين أحقيته في الخلافة كبعض زعماء الشيعة مثلاً .

ومع هذا فاننا لو نظرنا الى نشأة ابن عباس وتربيته في صغره وملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحب رسول الله له لوجدنا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على مدى صدق ابن عباس فيما يرويه عن الرسول الكريم، فقد دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم في عدة مناسبات . عن ابن عباس قال : «ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب» . (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم : «اللهم آتة الحكمة اللهم بارك فيه وانشر منه» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم : «اللهم أعطه الحكمة وعلمه التأويل اللهم أحش جوفه حكما وعلماً» . (٤)

وقد بلغ ابن عباس من صغر سنه مركزا مرموقا بين كبار الصحابة، فقد كان عمر يدخله مع أشياخ بدر في مجلسه، وكان عمر على مهارته وحذقه واجتهاده لله والمسلمين كان اذا جاءته قضية معضلة قال لابن عباس انها قد طرأت علينا قضية عطل ، فأنت لها ولأمثالها و يأخذ بقوله . (٥)

كما يروى ابن عبد البر أن عمر كان يسحبه ويدنيه ويقربه ويتشاور مع أهله من الصحابة ويقول عنه إن ابن عباس من الكهول له لسان قوول وقلب عقول . (٦)

(١) س لأبر ح ٤ ص ١٧ .

(٢) س م ح ١٠ .

(٣) ح ١٠ لأبر ح ١ ص ٣١٥ .

(٤) ح ١٠ لأبر ح ١ ص ٣١٦ .

(٥) أور هو - ص ١٤٠ .

(٦) لأبر ح ٣ ص ٩٣٥ .

ويروى أيضا عن مسروق أنه قال فيه : «ترجمان القرآن ابن عباس لو أدرك اسناننا ما عاشره منا رجل». (١)

وقال القاسم بن محمد : «ما رأيت في مجلس ابن عباس باطلا قط وما سمعت فتوى أشبه بالسنة من فتواه». (٢)

وعن عائشة رضي الله عنها سألت من استعمل على الموسم العام ؟ قالوا : ابن عباس — قالت : هو أعلم الناس بالحج. (٣)

كان عطاء اذا حدث عنه قال : حدثني البحر، وابن مهران، اذا ذكر عنده ابن عمرو ابن عباس قال : كان ابن عباس أفقهما. (٤)

وقال ابن عمر : انه قد أثر علما، وقال : لقد رأيت من ابن عباس مجلسا، لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخرا. (٥)

هذا هو ابن عباس في رأي الصحابة والتابعين رضي الله عنهم .
والخلاصة أن ابن عباس لم يستعمل خياله الطياش، ولم يستمد من القصص التلمودي الذي قربه اليه نفر من اليهود كما يقول بروكلمان، لأن ابن عباس أولا : قد عرف عنه التحري في أخذ الرواية من أصلها، فقد وردت عدة روايات تبين مدى تحري ابن عباس في أخذ الرواية من أصلها، فيروى ابن الأثير عن عبد الله بن أبي رافع قال : كان ابن عباس يأتي الى رافع فيقول : ما صنع النبي صلى الله عليه وسلم يوم كذا ؟ ومع ابن عباس من يكتب ما يقول. (٦)

وثانيا : ان تحري ابن عباس في روايته لم يجعله يثق بالاسرائيليات ولا بما نقله اليهود في كتبهم لأنه كان دائما يتحري عن سند كل رواية تصل اليه .

ويروى الدارمي في مسنده عن ابن عباس أنه كان يأتي باب أحد الأنصار وهو قائل يقول : «فأتوسد ردائي على بابه يسفى الريح عليّ بالتراب فيخرج فيراني : فيقول : يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ هلا أرسلت اليّ فأتيك فأقول : لا .. أنا أحق أن آتيك فأسألك عن الحديث». (٧)

(١) الاسنيع ج ٣ ص ٩٣٥ .

(٢) الاسنيع ج ٣ ص ٩٣٦ .

(٣) النيرازي : طبقات الفقهاء ص ١٨ — بغداد ١٣٥٦ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) حية الأولياء ج ٢ ص ٣٢٠ .

(٦) الاصابة ج ٢ ص ٣٢٠ . أبوزهو ص ١٣٩ .

(٧) أبوزهو ص ١٥٠ .

كما خاض بروكلمان بالنسبة للعصر العباسي في مسألة الزواج المزعوم بين العباسية وجعفر البرمكي فقال:

«وتعزو الروايات سبب الخلاف الأخير بين هارون الرشيد وجعفر البرمكي الى حادثة غرامية حصلها أن الخليفة عقد لجعفر على أخته العباسية عقداً سورياً حتى يكون في ميسوره أن يأنس بالاجتماع بهما في وقت معاً، ولكن جعفرأ أساء اصطناع هذه الحرية التي تمت له». (٥)

ثم زعم: «ان الذين دخلوا حديثاً في الاسلام في العصر العباسي لم يرتاحوا ارتياحاً كلياً لشعائره الصارمة». (١)

ولكنني لم أقم بالرد على بروكلمان في هذه النقاط خشية التكرار فقد تعرض لها فيليب حتي من قبل ورددت عليه.



(٥) بروكلمان — ص ١٨٧.

(١) المرجع السابق ص ١٨٣.

القسم الثالث

أ

مقارنة بين طريقتي كل من المؤلفين في تصوير هذه الآراء والافتراءات وتبريرها

وما دمننا بصدد المقارنة بين طريقة (حتي) وطريقة (بروكلمان) في ذكر المفتريات على التاريخ الاسلامي:

فاننا نذكر:

أولاً: القضايا التي اتفقا على ذكرها، وقد أخذت في ذلك أن أذكرها من أحدهما ولم أتعرض للآخر مطلقاً خشية التكرار.

ثانياً: القضايا التي انفرد بها فيليب حتي.

ثالثاً: القضايا التي انفرد بها كارل بروكلمان.

أولاً - القضايا التي اتفقا على ذكرها

(١) سبب خروج السيدة عائشة في معركة الجمل:

فكلاهما قد ذكر أن السيدة عائشة قد خرجت في هذه المعركة لتشفى ما بصدرها من حقد على علي بن أبي طالب بسبب ما قيل أن علياً ذكره عنها في حادث الافك.

ونلاحظ أن كلا المؤلفين يذكر هذه الفرية معتمداً على وجودها في المراجع العربية وخاصة في كتب التاريخ القديمة مثل الطبري وابن الأثير وغيرهما.

حقاً، لقد وردت هذه الرواية في كتب التاريخ القديمة، ولكن لم توجد وحدها بل وجدت كرواية من ضمن عدة روايات تذكر سبب خروج السيدة عائشة، فمن ضمن هذه الروايات أن السيدة عائشة لم تخرج إلا للصلح، وقد أقيمت الأدلة من المراجع الموثوق بها والأدلة العقلية المتفقة مع المنطق على أن خروجها كان للصلح، فكلاهما لا يأخذ إلا بالرواية التي تشين السيدة عائشة ويتجاهل الخبر الصحيح الذي يتفق مع أخلاق أمهات المؤمنين وعلى رأسهم السيدة عائشة. فنلاحظ في هذه النقطة مدى سوء النية فيما كتبه هذان الرجلان.

(٢) اتهام الحسن بن علي بأنه قد تنازل عن الخلافة مقابل رشوة قدمها له معاوية.

(٣) اتهام عبد الملك بن مروان ببناء بيت المقدس لتحويل الحجاج إليه.

(٤) مسألة العباسة وجعفر البرمكي.

وقد أقمنا الأدلة على فساد ما ذهبوا إليه وكشفنا سوء نيتهما وعداوتهما للإسلام، وقلنا إن مجرد وجود هذه الأخبار في كتب الأدب لا يدل على صحتها لضعف سندها وسوء نية رواتها، وقد وجد بجانبها روايات صحيحة تتفق مع أخلاق الصحابة والتابعين، فكانت الأمانة التاريخية والتحقيق العلمي يقتضيان أن يراجع كل من فيليب حتى و كارل بروكلمان جميع الروايات التي وردت في هذا الموضوع في كتب المسلمين ليتبين الحق أمامهما دون أن يتورطا فيما وقعا فيه من الخطأ.

ولكن (حتي) كما قلنا نراه ينتقي أشنع الروايات ويثبتها في كتابه، ويدعمها بما ورد في الكتب العربية ليستدل بذلك على صحة وجهة نظره، يشوه بعض الحقائق التاريخية في تاريخ المسلمين، ويتلمس الأسباب الواهية ليتخذها حجة على سلامة رأيه في تغيير معالم التاريخ الإسلامي، ويتخذ من الروايات المكذوبة في كتب التاريخ الإسلامي قضية مسلمة يبني عليها آراءه، وكان الأجدر به أن يعرض الروايات التي اعتمد عليها على معايير البحث العلمي الحديث ليبين عدم صلاحيتها قبل أن ينشرها على الناس.

أما (بروكلمان) فقد اعتمد في كتاباته على أمثاله من المستشرقين، فهو لم يعتمد على الكتب العربية لا اعتقاده بعدم صلاحيتها حيث قال في مقدمة كتابه: «إنها لم تخضع بعد للتحليل

النقدي»^(١)، واكتفى بالكتب الحديثة التي أشار إليها مثل: ولهاوزن، كيتاني، باتولد، ومينورسكي، ممن نقلوا هذه الأخبار من غير تمحيص علمي أو تحقيق تاريخي.

كما أنه يدعي أنه يلتزم في كتاباته طريقة البحث العلمي الحديث، فلم لم يرجع الى الأصل ليطلع على الروايات المختلفة ثم ينتقي الأفضل والأقرب للصواب لواقع العصر؟

٥) اتهام بعض خلفاء بني أمية وبني العباس بالمجون:

وفي هذه الافتراءات نجد بروكلمان لا يرجع فيها لمرجع موثوق به من كتب العرب، وإنما أخذها عن المستشرقين واعتبرها حقيقة ثابتة، دون أن يستعمل هو معياره العلمي وأصول البحث الحديث.

أما (حتي) — بسوء نيته ومكره — يحاول ايها القارئ العربي بحقيقة هذه الافتراءات لكونها قد وردت في الكتب العربية، فهو عند ذكره هذه الافتراءات على الشخصيات الاسلامية يحاول أن يدعم رأيه بكتب الأدب العربي مثل: كتاب الأغاني لابي الفرج الأصفهاني وكتاب التاج في أخلاق الملوك للجاحظ، وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، وهذه المراجع حذرنا منها فيليب حتي نفسه، فلماذا يعتمد عليها فيما ذكره إلا إن كان يريد أن ينشر البلبلة والشك في التاريخ الاسلامي؟

٦) جعل الناحية الاقتصادية هي الدافع الأساسي للفتوحات الاسلامية:

نرى بروكلمان في هذه القضية لم يغير في أسلوبه، فهو قد اعتمد على من سبقه من المستشرقين الذين حاولوا أن يجدوا دوافع حقيقية للفتح وبجروده من حقيقته التي قام عليها، فهو ينقل عنهم دون تحقيق.

أما «حتي» فسار مع بروكلمان في أن المسلمين كانوا يقصدون من الفتح البحث عن أماكن خصبة ليرفعوا من مستوى معيشتهم، ولم يكونوا يقصدون نشر الدعوة الاسلامية، إلا أن «حتي» أراد أن يدعم رأيه في هذا الموضوع بالرجوع الى الكتب العربية، لكنه لم يكن أميناً في الاستشهاد بالآيات القرآنية ولا بالروايات التاريخية.

فلما أراد أن يبرهن على صدق دعواه في أن المسلمين اتخذوا من الفتح وسيلة للحصول على أموال من البلاد المفتوحة في صورة الجزية التي يدفعها الذميون، فذكر بعض آية من القرآن الكريم ليستدل بها على صدق دعواه، فلو كان أميناً لذكر الآية كاملة حتى يعلم الحكمة التي من أجلها

(١) كارل بروكلمان — تاريخ الشعوب — مقدمة الكتاب ص ٨ .

فرضت الجزية على أهل الكتاب، فهذه الآية هي قوله تعالى «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون»^(١)

ولكنه اختصرها وقال (قاتلوا.... من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون).

فأى بلاهة وأى سخرية من «فيليب حتي» حين يتلاعب بآيات القرآن الكريم ويطوعها ليعزز بها رأيه.

ونراه أيضا في مرة أخرى يرجع أسباب الفتح لعوامل اقتصادية، ويرجع لنص يترمنه الجزء الذي يوضح أهداف الفتح، فينقل من كتاب «فتوح البلدان» للبلاذري أن رستم قائد الفرس قال للمغيرة بن شعبة مندوب قائد المسلمين: (قد علمت أنه لم يحملكم على ما أنتم فيه الا ضيق المعاش وشدة الجهد ونحن نعطيكم ما تشبعون به ونصرفكم ببعض ما تحبون) نقل الى هنا فقط ولم ينقل بقية الخبر وفيه جواب المغيرة لرستم حيث يقول: (ان الله بعث الينا نبيه صلى الله عليه وسلم فسعدنا باجابته وأمرنا بجهاد من خالف ديننا (حتي يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) ونحن ندعوك الى عبادة الله وحده والايمان بنبيه صلى الله عليه وسلم فان فعلت والا فالسيف بيننا وبينكم).^(٢)



(١) سورة حوتة - آية ٢٩.

(٢) البلاذري - فتوح البلدان ص ٢٥٧.

ثانياً - القضايا التي انفرد بها فيليب حتي

(١) سبب زواجه صلى الله عليه وسلم بالسيدة زينب بنت جحش وانه بدافع الحب. وقد اعتمد فيليب حتي في هذه القضية على الاسرائيليات التي وردت في بعض كتب التفسير ودست على أصحابها، ولم يرجع الى القرآن الكريم الذي يفند هذه الروايات ويمنع من قبولها، فلو فهم (حتي) مدلول قوله تعالى «ولما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا».

لو اطلع «فيليب حتي» على هذه الآية لما وقع فيما وقع فيه من الخطأ ولما سقط هذه السقطة كما سقط فيها غيره من الذين لا يعقلون.

(٢) زعمه أن خلافة ابي بكر كانت نتيجة اتفاق ثلاثي بين ابي بكر وعمر وأبي عبيدة. وهذه الفرية لم يذكرها أحد من المؤرخين المسلمين، وانما الذي ذكرها هم بعض المستشرقين، وهي فكرة تافهة لأنه لا يوجد دليل ولا شبه دليل على وجود هذه المؤامرة لعدة أسباب قد بينتها في ردنا على (حتي) عندما ذكر هذه الفرية.

(٣) خلافة العرب قبل الاسلام: لقد اعتمد في هذه الفرية على ما قرأه في مقدمة ابن خلدون عن طبيعة عرب أهل الحجاز، ولم يعرف «فيليب حتي» ما الذي يقصده ابن خلدون من هذه الرواية، هل يقصد أن يتحدث عن عرب الحجاز بهذه الصورة في جميع العصور الاسلامية؟ أم ان ابن خلدون يتحدث عن عرب الحجاز المعاصرين له؟.

(٤) تحويل معاوية الخلافة إلى ملك: في هذه النقطة أيضا نرى (حتي) يرجع لمقدمة ابن خلدون، الا أنه لا ينقل بأمانة وصدق، فهو عندما يريد أن يدعم رأيه بما رواه ابن خلدون، ومع ذلك، لم يفهم عبارة ابن خلدون أو أراد أن يحرفها على هواه، لأن ابن خلدون لا يعيب على معاوية فعلته كما فعل «حتي» بل يقول: «فقد رأيت كيف صار الأمر الى الملك وبقيت معاني الخلافة، من تحرى الدين ومذاهبه والجرى على منهاج الحق».(١)

(٥) هجوم الاسلام على كل من خالفه.

(٦) انكار المعجزات النبوية عدا القرآن.

(٧) سياسة عمر الاشتراكية (كلمة اشتراكية لم تكن معروفة في صدر الاسلام).

(٨) جهل العرب بأمور البحر.

هذه النقاط التي ذكرها (حتي) لم يبحثها بحثا علميا ولم يرجع فيها الى مراجع موثوق بها، وانما ألقاها جزافا كأنها من الأمور المسلم بها، وقد ناقشناه في موطن الرد عليه.

(١) مقدمة ابن خلدون ج ١ ص ١٧٣.

ثالثاً - القضايا التي انفرد بها بروكلمان

(١) مسألة الغرائق العلى:

أما قصة الغرائق فقد اعتمد في ذكرها على ما دسه الاسرائيليون وخصوم الاسلام في بعض كتب المسلمين ليحاولوا التشكيك في كتاب الله وفي أمانة رسول الله، ولم يكلف بروكلمان نفسه العناء في بحث هذه القضية بحثاً علمياً، حتى يميزه بين الصواب والخطأ وبين الروايات التي تتنافى مع العقل والمنطق ومع نصوص القرآن الكريم وعصمة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنه ترك كل ذلك واستجاب لهواه، وظن أنه بطريقته هذه قد طعن الاسلام طعنة قاتلة ليشفى به نفسه ونفوس اخوانه ممن أعماهم التعصب.

(٢) الطعن في شخصية ابن عباس وعثمان بن عفان والمغيرة بن شعبة:

وكذلك تناول ابن عباس وعثمان بن عفان والمغيرة بن شعبة، وهم صفوة الصحابة رضوان الله عليهم الذين عرفوا بالاستقامة والأمانة والعلم وقوة الايمان والبعد عن الشبهات والمعاصي، ولكنه أخذ يتلمس ما يشفى غلته وغلة اخوانه من الصاق بعض المعاييب والتهم، فلم يجدها الا في كتب الأدب، وكتب أصحاب الفرق والمذاهب المختلفة، ولم ترد في كتب التاريخ الا عن طريق رواية غير موثوق بهم مثل أبي مخنف ولوط بن يحيى في كتاب الطبري.

(٣) انكار نزول الوحي على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

(٤) اتهمه الدين الاسلامي أنه قام على تقليد الديانات الأخرى وان الرسول قد كيّف شعائر قومه بشعائر اليهود والنصارى من أجل كسبهم، وتبدل الرسول للاسلوب القرآني في المدينة عن مكة.

(٥) اعتبر الحجر الأسود وثناً عبد في الجاهلية والاسلام.

(٦) حركة الارتداد ودوافعها وسبل محاربتها.

في هذه النقاط السابقة لم يكن بروكلمان مبتدعاً، وانما هي أفكار صليبية قديمة قدم الحملة الصليبية التي أخذ الصليبيون من يومها على تكذيب الرسالة والتشكيك في أصلها ومضمونها وفي صدق ما جاء بها، حتى يتسنى لهم احداث البلبلة في نفوس المسلمين والعمل على اضعاف ايمانهم بهذه الرسالة المحمدية، بعد أن أدركوا أن سبب قوة المسلمين وصلابتهم في وجه خصومهم هو تمسك المسلمين بهذا الدين، فكان هدفهم من وراء هذه الافتراءات والادعاءات الكاذبة هو تشويه صورة الاسلام في نفوس المسلمين.

فجاء بروكلمان وهو أحد تلاميذ هذه المدرسة ليكمل بعض مهمتهم، غير عابىء بما هو واجب على كل باحث وكاتب من تحرى الحقيقة والبحث عنها، حتى يعطي كتاباته الصبغة الصحيحة والصورة اللائقة بالباحث الأمين.

ب

واجب رجال التاريخ إزاء هذه الآراء

إذا كانت هذه الآراء والافتراءات قد وجدت في كثير من كتب التاريخ الاسلامي الأول وبعض كتب التفسير فلا بد من العمل على ازالتها بالوسائل التي يمكن اتخاذها، لتخلص من هذه الافتراءات وتطهير الكتب التاريخية وعقول الشباب المسلم من آثارها وهذا يرجع في نظرنا الى أمور أربعة هي:

الأمر الأول:

بالنسبة لكتب التاريخ القديمة وما حوته من اسرائيليات وأخبار واهية وقضايا ضارة بالاسلام، فهذه تحتاج الى جهد كبير للعمل على احباط ما فيها من آراء ووسوسة على الاسلام والمسلمين، وهذا المجهود لا يستطيع القيام به فرد أو جماعة الا اذا تضافرت الهيئات العلمية لاعادة كتابة التاريخ الاسلامي من جديد، وتمحيص قضاياها، وتسهيل الحصول على المراجع الجديدة التي خلت مما وضعه خصوم الاسلام، لتحل محل الكتب القديمة بوسائلها الحديثة في الاستدلال على زيف ما وضعه خصوم الاسلام بالأدلة القاطعة من الأخبار الصحيحة والمنطق والعقل، حتى يمكن اقناع قراء هذه الكتب بفساد ما ورد في الكتب القديمة.

ورغم أن فائدة هذه الكتب الحديثة لن تظهر سريعاً الا أنه بعد مرور زمن طويل يمكن أن تغطي هذه المؤلفات (المحققة تحقيقاً علمياً) على ما هو موجود في الكتب القديمة.

الأمر الثاني:

مراجعة ما ألف وطبع حديثاً من قبل الكتاب المسلمين الذين درسوا على أساتذة من الغرب، كانوا قد تصيدوا بعض الأخبار المزيفة في كتب التاريخ الاسلامي والتفسير لينصبوا منها براهين يقومون بها آراءهم الفاسدة ضد الاسلام والمسلمين، فيأتي هؤلاء الكتاب المسلمون يأخذون عن أساتذتهم وهم معصوبو العيون. وهم بحكم مراكزهم كأساتذة في الجامعات الاسلامية ولهم الهيمنة على الكتب المقررة فيحملون الطلاب على قراءة ما ألتجوه وما اعتمدوا فيه على آراء المستشرقين، ولايقاف وصد هذا الاتجاه تقوم الهيئات العلمية بتأليف لجان من اعلام التاريخ الاسلامي الذين لهم خلفية دينية وغيره على الاسلام بمراجعة الكتب المقررة على طلاب المدارس والجامعات حتى لا تنتشر هذه الآراء فتبلبل أفكار الطلاب المسلمين وتشككهم في ماضيهم المجيد.

الأمر الثالث:

هو اختيار أساتذة ومدرسين للتاريخ الاسلامي ممن سلمت عقائدهم وتحصنوا بقدر كاف من الدراسات الاسلامية حتى وجدت عندهم الخلفية الاسلامية. لأن هؤلاء يستطيعون أن يرجعوا الى

الكتاب والسنة وسير الصحابة، فيعالجون بها ما يرونه غير متفق مع الكتاب والسنة، أو غير لائق بمقام الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ومقام أصحابه رضوان الله عليهم، وتنقية بيئتهم التي عاشوا فيها من صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم واتباع هديه وسنته، فإذا كانوا مؤمنين بتعاليم الاسلام فانهم يستطيعون أن يؤثروا في طلابهم تأثيراً روحياً يؤمنون به إيماناً قوياً، ويدرك به الطلاب أمجاد الاسلام وطهارة رجاله في عصوره الأولى، ومدى ما قدمه الاسلام للحضارة الانسانية المتمثلة في سلوك رجاله وما كانوا عليه من صفات كريمة، نشرت الاسلام في شرق الأرض وغربها.

فإذا وجد للتاريخ الاسلامي أساتذة ومدرسون بهذه الصفة يمكن تربية جيل جديد ينهض بهذه الأعباء، ويتحمل مسؤولية تصحيح الأخطاء والرد على الافتراءات التي اصطنعها خصوم الاسلام.

الأمر الرابع:

فهو أن يُجعل للتاريخ الاسلامي في الجامعات العربية والاسلامية قسم خاص منفصل عن بقية أقسام التاريخ الأخرى، حتى تتميز شخصية التاريخ الاسلامي بأساتذته وطريقة تدريسه ومراجعته التي تعتمد أول ما تعتمد على الكتاب والسنة، ثم على المراجع الموثوق بها والروايات الصحيحة التي لا يستطيع أن يميزها عن غيرها سوى الأساتذة الذين لهم نصيب وافر من الدراسات الاسلامية، فهؤلاء وحدهم هم الذين يعرفون طرق الرواية و يستطيعون التمييز بين صحيحها وسقيمها.

فإذا تيسر للقائمين على أمر الجامعات تحقيق هذا الأمر فانهم يضعون اللبنة الأولى للبناء الشامخ، الذي يمكنه أن يصد تيارات الالحاد والأكاذيب التي يحاول خصوم الاسلام ادخالها في عقول الشباب المسلم.

بعض الكتب التي تأثرت بآراء وافتراءات بعض المستشرقين

ونحن نذكر على سبيل المثال لا الحصر عددا من أصحاب الكتب التاريخية الذي تأثروا بآراء المستشرقين، خاصة بروكلمان وفيليب حتي، ونشروا آراءهم في المحيط العلمي والجامعي بواسطة كتبهم أو محاضراتهم وهم:

- ١ — طه حسين في كتابه (على هامش السيرة) و (على وبنوه).
- ٢ — عبد المنعم ماجد في كتابه (التاريخ السياسي للدولة العربية).
- ٣ — أحمد شلبي في كتابه (التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية).
- ٤ — على حسنى الخربوطلي في كتابه (الدولة العربية الاسلامية).
- ٥ — حسن ابراهيم حسن في كتابه (تاريخ الاسلام السياسي).
- ٦ — بنت الشاطيء في كتابها (نساء النبي).

أولا — الدكتور طه حسين: الفتنة الكبرى (على وبنوه):

١ — ما ذكره د. طه حسين عن موقف السيدة عائشة من خلافة علي فيقول في ص ٢٨/٢٩ من كتابه (الفتنة الكبرى على وبنوه) «ولما علمت — عائشة — حقيقة الأمر وأن عليا هو الذي تمت له البيعة في المدينة ضاقت بذلك ضيقا شديدا وأعلنت أنها كانت تؤثر انطباق السماء على الأرض قبل أن ترى عليا وقد أصبح للمسلمين اماما».

ثم يعود فيقول: «كان معروفا أن عائشة رحمها الله لم تكن تحب عليا ولا تهواه بل كان معروفا أنها تجدد عليه موجدة شديدة منذ حديث الافك حين أراد علي أن يواسي النبي صلى الله عليه وسلم فأشار عليه بأن يطلقها».

ولم يقف عندما أخذه عن المستشرقين بل زاد عليه من خياله ما شاء حيث قال في صفحة ٢٩ من نفس الكتاب: «وكانت تنكر على علي — فيما أعتقد — أمرين آخرين أحدهما لم يكن لعلي فيه خيرة، فقد تزوج فاطمة بنت رسول الله ورزق منها الحسن والحسين فكان أبا الذرية الباقية للنبي ولم يمنح لها هذا الولد من رسول الله».

أما الأمر الآخر فهو أن عليا قد تزوج أسماء الخثعمية بعد وفاة أبي بكر رحمه الله وأسماء الخثعمية هي أم محمد بن أبي بكر الذي نشأ في حجر علي فكانت عائشة تجدد على علي لهذا كله.

٢ — وعن بيعة يزيد يقول طه حسين في صفحة ٢٤٧ من كتابه نفسه:

«فالشئ المحقق هو أن معاوية قد استكره هؤلاء النفر على الصمت بعد أن لم يستطع أن

يستكرههم على البيعة». والمقصود بهؤلاء نفرهم (الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير، وعبد الله ابن عمر).

ثم يقول: «وكذلك استقر في الاسلام لأول مرة هذا الملك الذي يقوم على البأس والبطش والخوف الذي يرثه الأبناء عن الآباء».

٣- أما عن يزيد نفسه فيقول طه حسين في صفحة ٢٥٨: «كان قبل ولايته لعهد أبيه مسرفاً على نفسه في طلب اللذة والعكوف عليها والاستهتار بها حتى كثر حديث الناس فيه. وكان الفتى مشغولاً عن أبيه بسياسة شهواته الجامحة. وقد أقبل على الملك دون أن ينصرف إليه عن لذاته أو يقلع عما كان عاكفاً عليه من العبث واللهو والمجون».

٤- وعن ابن عباس يقول في صفحة ١٣٤: «ورأى ابن عباس نجم ابن عمه في أفول ونجم معاوية في صعود فأقام في البصرة ففكر في نفسه أكثر مما يفكر في ابن عمه وفي هذه الخطوب التي كانت تزدهم عليه وكأنه آثر نفسه بشيء من الخير وسار في بيت المال سيرة تخالف المألوف من أمر علي ومن أمره هو».

٥- في كتاب «على هامش السيرة» صفحة ٣٢٧ حيث ذكر عنوان كبير بهذه الصورة «شوق الحبيب الى الحبيب» فيقول: «واذا هو يمتحن في ذلك نبيه، ويمتحن في ذلك زيدا ويمتحن في ذلك المؤمنين الصادقين جميعاً يلقي في قلب النبي حب زينب زوج زيد ويلقى في قلب زيد الانصراف عن زينب والنفور منها».

ثم يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم: «وهذه نفس مضطربة أشد الاضطراب ممتنعة أشد الامتناع واجدة أشد الوجوم ترفض هذا الحب رفضاً وتزدرى عنه ازدراء، وإذا هي تنكره حتى على نفسها ولكن الله يبدي ما تخفي ويعرف الناس ما تنكره». مع أن طه حسين ممن يقال عنهم أنه كان يحفظ القرآن الكريم، ولكن تأثره بالمستشرقين منعه أن يرجع الى قوله تعالى «فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً».

ثانياً - الدكتور عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية:

١- يتحدث الدكتور ماجد عن حياة العرب وهو متأثر بغيره من المستشرقين فيقول في صفحة ٦٢/٦١ ج ١: «وكان بعض الأعراب يذبحون الكلاب كقبيلة بني أسد أو يأكلون لحوم الناس كقبيلة هذيل، أو يأكلون الجراد كقبيلة طي، كما أن بعض الأعراب كانوا يأكلون الحيات والعقارب والجعلان والخنافس أو حتى القمل».

٢- وفي ص ٩٨ ج ١ يقول: «وفجأة في سن الأربعين يملك محمد موهبة النبي أو الرسول».

٣- وعن الحج في الاسلام يذكر في ص ١٢٥ ج ١ فيقول: «وقد أناب فيه أبا بكر صديقه يقرأ

- عليهم سورة براءة التي يتبرأ فيها محمد ممن يحج من المشركين» كأن محمداً هو الذي يتبرأ.
- ٤- وفي ص ٢٥٠ ج ١ يقول: «كما أن النبي كان ينسخ بعض الآيات التي أملاها ويأتي بأخرى محلها».
- ٥- ويقول في ص ١٢٨ ج ١ عن الدعوة وعن الرسول: «وهو وإن أرسل إلى العرب إلا أنه اعتبر نفسه أنه مرسل لكافة الناس».
- ٦- وفي ص ١٣٤ ج ١ يقول عن الزكاة: «وانه من الخطأ أن نتصور أن اهتمام الاسلام بالزكاة يرجع إلى المشاكل الاجتماعية في جميع حالاته، أو أنه نوع من التضامن الاجتماعي كما في وقتنا».
- ٧- وينكر المعجزات النبوية سوى الوحي فيقول في ص ١٠٢ ج ١: «ولكن محمداً لم يرض أن تنسب إليه معجزة غير نزول الوحي عليه من قبل الله» فكان يرد عليهم بقوله: «قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً»^(١).
- ٨- وفي ص ١٣٧ ج ١ يذكر تحريم الربا فيقول «وكذلك حارب الربا كل المحاربة وذلك لأن معظم القائمين به هم اليهود» وكأنه شرع لغرض شخصي.
- ٩- ويقول في ص ١٦٣ ج ١ عن دوافع الفتح «ولكننا لا نوافق بعض المستشرقين في قولهم إن العرب كانوا مدفوعين نحو الفتوح بالحماس الديني وإن الحروب التي قاموا بها تعتبر حروباً دينية، فنحن لا نظن أن العرب - ومعظمهم من البدو - كانت تسودهم الروح الدينية والرغبة في نشر الاسلام».
- ١٠- وفي صفحة ٢٢١ ج ١ يقول: «إن العرب لم يستطيعوا فتح هذه القرى - قرى مصر - إلا بعد أن أحرقوا المزارع، وسبوا أهلها».
- ١١- وفي صفحة ١٨٠ ج ١ يقول: «ولقد كان للانتصار في أجنادين وقع عظيم، بحيث اعتقد المسلمون أن هذا النصر من الله».
- ١٢- وفي صفحة ١٨٣ ج ١ يذكر سبب عزل عمر بن الخطاب لخالد بن الوليد فيقول: «وإن كان من الجلي أن الرجال الأشداء يخشون الأشداء مثلهم».
- ١٣- وينكر على السيدة عائشة أن سبب خروجها في معركة الجمل الاصلاح فيقول في صفحة ٢٦٣ ج ١: «وقد حاولت عائشة أن تثير العرب في هذه النواحي على علي، على أساس أن غايتها الاصلاح».

(١) سورة الاسراء - آية ٩٣.

وقد ذكر عائشة ضمن الحاقدين على علي لقبوله الخلافة من أيدي قتلة عثمان فيقول في ص ٢٦٢ جـ ١: «ومن بينهم أزواج النبي وعلى رأسهم أم المؤمنين عائشة». وفي هذه المرة ذكر بقية نساء الرسول ولم يذكر ذلك أحد خلافة والمذكور هو موضوع السيدة عائشة.

١٤— وعن عثمان يقول في صفحة ٢٥٥ جـ ١ «ثم ان عثمان لم يراع المصلحة العامة بقدر رعايته لمصلحة أقربائه».

١٥— ويقول عن فتح المسلمين للأندلس في صفحة ٢٠٤ جـ ٢ «قل إنهم طبخوا من قتلاهم من الأسرى في القدور».

ثالثا — الدكتور علي حسني الخربوطلي — الدولة العربية الاسلامية:

١— يقول في صفحة ١٢٤ «فان نبأ مبايعة علي وقع عليها وقوع الصاعقة ولم تستطع أن تخفي شعورها أو تكتفم غيظها، بل أعلنتها عليه حربا شعواء مدفوعة في ذلك بأحقاد شخصية بحتة».

و يذكر في هامش كتابه أن تلك الأحقاد الشخصية مركزة في نقطتين هما:

(١) كرهها لفاطمة زوجة علي لانجابها الحسن والحسين.

(٢) حديث الافك. وقد نقل هذا عن طه حسين في كتابه «علي وبنوه».

و يعلق الدكتور الخربوطلي على ذلك فيقول: «وكانت السيدة عائشة تسعى لتحويل الخلافة اليه (عبد الله بن الزبير) فقد حرصت عائشة على أن يصلي بالناس خلال الحرب (حرب الجمل) ونحن نعلم مدى أهمية ذلك».

٢— ويقول في صفحة ١٢٦ آخذا برأى المستشرق كاترمير حيث يقول: «إنه لم يكن بين العرب الطامعين في الخلافة في القرن الأول الهجري — باستثناء علي — رجل اجتمعت له الحقوق والمؤهلات سوى شخص واحد هو عبد الله بن الزبير».

٣— وفي صفحة ٢٢٢ فيقول: «اهتم عبد الملك بانشاء الأبنية فبنى المسجد الأقصى والصخرة أثناء قتال ابن الزبير ليحول الناس عن الحج الى مكة».

رابعا — الدكتور أحمد شلبي — التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية:

١— يقول عن عائشة في صفحة ٣٣٧ جـ ١ «كانت ثائرة على عثمان وكانت هي وطلحة من أشد الناس انتقادا له، ولما حوضر عثمان تركت عائشة المدينة وذهبت الى مكة فلما قتل عثمان

خرجت من مكة قاصدة المدينة فلما عرفت أن البيعة تمت لعلّي غضبت وقالت : والله لا يكون هذا الأمر أبداً، قتل عثمان مظلوماً والله لأطالبن بدمه» .

ثم يقول : «هل كان حزن عائشة على عثمان هو الذي دفعها الى ذلك العمل ؟ والحقيقة لا.. فقد كانت هناك عوامل أبعد غورا نذكر أهمها :

١- حديث الافك .

٢- نفس علي على أبي بكر الخلافة وامتنع عن مبايعته زمناً، فلماذا تسرع عائشة لمبايعة علي؟ ولماذا تتركه يهنأ بهذه الخلافة؟

٣- عدم انجابها من الرسول وانجاب فاطمة من علي» .

٢- ويقول في صفحة ٤٤ ج٢ «ولم يكن معاوية يقصد الخير للمسلمين في تعيين ابنه يزيد بقدر ما كان يقصد تهيئة أسباب السعادة لابنه» .

خامساً - الدكتور حسن ابراهيم حسن - تاريخ الاسلام السياسي:

يقول في صفحة ٢٥٧ ج١ عند ذكره تقليد عبد الرحمن بن عوف لعثمان الخلافة : (قال علي ابن أبي طالب لعبد الرحمن) : «لقد حبوته جودهر ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون . والله ما وليت عثمان الا ليرد الأمر اليك والله كل يوم هو في شأن، ومن ثم نرى أن التنافس قد ظهر عند ذلك الوقت بين عثمان وعلي» .

سادساً - الدكتور بنت الشاطي - نساء النبي:

وتقول في صفحة ١٤٧ حين حديثها عن زواجه صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش : «أفينكر على بشر رسول أن يرى مثل زينب فيعجب بها؟ وماذا يطلب من مثله - في سمو خلقه وعفة ضميره - أكثر من أن يشيح بوجهه عمن أعجبه وهو يسبح باسم الله العظيم مقلب القلوب وأى ضبط للنفس ينتظر من بشر رسول أكثر من أن يحيته زيد فيستأذنه من جديد في طلاقها فيأبى عليه الا أن يمسكها ويتقي الله؟» .

هؤلاء هم الذين لمعت أسماؤهم في سماء التاريخ والأدب وأخذ عنهم الشباب في المعاهد والمدارس ونقلت عنهم المعرفة باعتبارهم أساتذة المدرسة الحديثة في التاريخ الاسلامي .

ثم يتبين لنا فيما بعد أننا كنا معصوبي العينين محجوبين عن الرؤية، كنا نرى بعيونهم ونفكر بعقولهم وما كنا ندري أنهم نقلوا عن المستشرقين الذين خبثت نواياهم واشتد حقدهم على الاسلام، فاخذوا يشوهون التاريخ الاسلامي وافترون على المسلمين افتراءات واضحة .

وحين كانت كتابات المستشرقين بلغاتهم، كنا نشك فيما كتبوا ونأخذ الحيلة عندما نقرأ ما كتبوا.

ولكن لما صار الكاتب عربيا، واللسان عربيا، والقيادة الفكرية عربية، سلمنا واعتقدنا أن الصواب فيما كتبوا، حتى تبين لنا أن هؤلاء الكاتبين كانوا أبواقا تذيع ما كتبه المستشرقون بغير تصرف أو نقد أو تعليق.

هنالك كان لا بد لنا من كشف ما ستره هؤلاء عن عيون الشباب المتعلمين حتى يتنبهوا إلى هذه المزالق و يراجعوا هذه الأفكار المسمومة ليقيسوها بمقياس العدل والحق والواقع الذي كان عليه الرعيل الأول من المسلمين وسارت على نهجه الأمة الإسلامية.



تعريف بأهم المصادر والمراجع

من الطبيعي أن تبدو للباحث في بحثه أهمية بعض المصادر والمراجع التي عاش معها في بحثه وصاحبته طويلا، ولما كان موضوع هذا البحث موضوعا اسلاميا، والمراجع التي تمدنا بالمعلومات معظمها من المراجع والمصادر القديمة، كان لزاما علينا أن نكتب تعريفا ببعض هذه المصادر والمراجع حتى يتمكن الباحثون في مثل هذا الموضوع أن يرجعوا اليها لينتفعوا بها في بحوثهم ومعلوماتهم.

فمن بحثي هذا وجدت في بعض المصادر والمراجع ما يغطي معظم بحثي، وذلك اما لا تساع الفترة المؤرخ عنها في بعض هذه المصادر مثل كتاب الطبري، وكتاب الكامل لابن الأثير، فهذان الكتابان وغيرهما تعتبر مراجع مهمة اعتمد عليها المستشرقون في اذاعة ونشر وتلفيق أخبار ذكروا أنهم أخذوها من هذه المراجع التي خرجوا منها بمفترياتهم، فأصبح لزاما علينا أن نعود اليها لنحقق مدى صحة هذه الفرية ولنبين للقارئ أن هذه الكتب جمعت آراء مختلفة وروايات متعددة، فمنها الصحيح، ومنها المزيف الموضوع، فلما جاء المستشرقون سقطوا على الروايات المدسوسة والآراء المكذوبة ووجدوا ضالتهم المنشودة نقلا عن المؤرخين المسلمين.

ومن أجل ذلك كان لزاما عليّ أن أنوه ببعض المصادر والمراجع التي وضعت الحق في نصابه وكشفت الستار عن زيف المزيفين، فمن هؤلاء ابن خلدون في المقدمة التي ناقش فيها بعض القضايا التي لم يكن كسابقيه فيها في الاكتفاء بالنقل، بل نجده يبحث في أصلها وصحة أسانيدها فان اتفقت مع الواقع ومنطق العقل ذكرها وان كانت على غير ذلك فندها وأبطلها وأظهر زيفها. كما استعنت ببعض المراجع التي تناولت بعض هذه القضايا من المؤرخين المحدثين والمشتغلين بالقضايا الاسلامية مثل كتاب «أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ» للدكتور ابراهيم شعوط»، وكتاب «دفاع عن العقيدة والشرعية ضد مزاعم المستشرقين» للشيخ الغزالي وكتاب الأستاذ أحمد محمد جمال «مفتريات على الاسلام».

فأحببت أن أدمع بحثي بآراء المنصفين من المستشرقين لتكون شهادة من بعضهم على بعض فتسقط حجة المفتريين.

وسأكتب كلمة مختصرة أبين بها قيمة بعض هذه المراجع ومدى افادتي منها في بحثي لينتفع بها من أراد أن يكتب مرة أخرى في هذا الموضوع.

أولا - كتاب الرسل والملوك

لابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ وهو من كتب التاريخ الجامعة لأخبار العالم ابتداء من أول الخلق وانتهاء إلى سنة ٣٠٩هـ، رتبه مؤلفه على السنوات وذكر ابن الجوزي أنه بسط الكلام في

الوقائع بسطا وان لم يصننا الا مختصرا، ولم يصلنا سوى أحد عشر مجلدا منه فقط. (١)
كما اهتم مؤلفه باثبات القصة أو الواقعة التاريخية عن طريق الرواية — العنينة — وقد حاكاه
ونقل عنه من جاء بعده من مؤلفين كابن مسكويه، وابن الأثير.

ولعل من مميزات هذا الكتاب أن صاحبه لم يقتصر على ذكر رواية واحدة بل كان ينقل
الروايات المختلفة مهما كان ناقلها فيضعها كلها أمام القارئ، فمنها الغث ومنها السمين، ومنها
ضعيف السند والمشكوك في روايته، وليأخذ منها القارئ ما يروقه اذا أراد الاستدلال على صحة
وجهة نظره.

وقد اعتمد ابن جرير في رواياته — حسبما جاء في مقدمة كتابه — على سيف بن عمرو وابي
مخنف رغم أنهما غير ثقة. فسيف بن عمر قال عنه ابن معين: ضعيف الحديث وقال أبو داود: ليس
بشيء وقال النسائي والدارقطني: ضعيف، وقال ابن عدي: أحاديثه مشهورة وعامتها منكرة، وقال
ابن حبان: قالوا: كان يضع الحديث وقال ابن حبان والحاكم: ان سيف بن عمر اتهم بالزندقة
وقال عنه الدارقطني: انه متروك. (٢)

أما أبو مخنف، وهو لوط بن يحيى، أخباري لا يوثق به، تركه أبو حاتم وغيره وقال الدارقطني:
ضعيف، وقال يحيى بن معين: ليس بثقة وقال ابن عدي: شيعي. وقال أبو عبيد الجري: سألت
أبا حاتم عنه فنفض يده، وذكره العقيلي في الضعفاء. (٣)

وقد نقل كتاب الطبري (الرسل والملوك) الى الفارسية أبو علي محمد البلعي من وزراء السامانية
سنة ٣٥٢هـ ونقله غيره الى التركية وهو المتداول بين عوام الروم، وعليه ذيل لابي محمد عبد الله ابن
محمد الفرغاني وعرف هذا الذيل بالصلة. (٤)

أما مؤلف هذا المرجع فهو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ولد سنة ٢٢٤هـ الموافق ٨٣٩م
وتوفي سنة ٣١٠هـ الموافق سنة ٩٢٣م، وهو مؤرخ ومفسر وفقيه ولد في آمل بطبرستان واستوطن بغداد
وتوفي بها، تنقل بين العواصم الكبرى طلبا للعلم، حفظ القرآن صغيرا، أقام في العراق فعرض عليه
القضاء فامتنع والمظالم فأبى. (٥)

(١) كشف الظنون ج ١ ص ٢٩٧.

(٢) ابن حجر العسقلاني — تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٢٩٥ — ٢٩٦.

(٣) ابن حجر العسقلاني — لسان الميزان ج ٤ ص ٤٩٢. بيروت مصور عام ١٣٩٠هـ عن طبعة ١٣٣٠ باهند

(٤) كشف الظنون ج ١ ص ٢٩٨.

(٥) الاعلام للزركلي ج ٦ ص ٢٩٤. الموسوعة العربية ص ١١٥٣.

- قال عنه ابن الأثير: «أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ».
- وكان اعتمادي على طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٩م في بعض الموضوعات الآتية مثل:
- (١) زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش.
 - (٢) موقف السيدة عائشة من الامام علي بن أبي طالب.
 - (٣) قصة العباسة وبطلان زواجها المزعوم من جعفر البرمكي.

ثانياً - الكامل في التاريخ

وهذا لا ينقص أهمية عن سابقه بالنسبة لمراجع التاريخ الاسلامي، وهو يتكون من اثني عشر مجلداً ومجلد آخر جعل للفهارس، والكتاب مرتب حسب السنين ابتداءً مؤلفه من بدء الخليقة وانتهى الى سنة ٦٢٩هـ. (١)

فهو سائر على نهج الامام الطبري في كتابه، فقد اعتمد عليه في نقل الأخبار عنه، الا أنه اتبع فيه منهجاً جديداً، فهو لم يذكر رواية القضية بل اكتفى بنقلها مجردة من العنونة، وقد نقل عن الطبري من بداية الخليقة الى سنة ٣٠٩هـ وهو حيث ما وقف الطبري ثم دون معلوماته بعد وفاة الطبري بصورة مفصلة حتى سنة ٦٢٩.

وأصبح حجة فيما نقل في كثير من الروايات بحيث لم يزد عليه أحد من مؤلفي عصره حيث أصبح الكل بعده عيالا عليه.

طبع هذا الكتاب عدة مرات، وعنى به المستشرقون فطبعوه طبعة علمية بليدن سنة ١٨٦٦م.

كما علق عليه جمال الدين محمد ابراهيم الوطواط المتوفى سنة ٧١٨هـ، حواشي مفيدة، وزيله على بن الساعي المتوفى سنة ٦٧٤هـ في خمسة مجلدات. (٢)

وترجمه الى الفارسية مولانا نجم الدين الطارمی وهو من أعيان دولة ميرزايرشاه وقد اعتمدت على طبعة بالأوفست ببيروت سنة ١٩٦٦م.

أما مؤلفه فهو أبو الحسن بن محمد بن الأثير الشيباني الجزري، ولد ونشأ في جزيرة بن عمر من أعمال الموصل سنة ٥٥٥هـ الموافق ١١٦٠م وتوفى سنة ٦٣٠هـ الموافق ١٢٣٤م، رحل الى دمشق وبيت المقدس ثم عاد واستقر في الموصل وانقطع للعلم والتأليف، ألف كتابه الكامل وله أيضاً أسد الغابة في معرفة الصحابة، وتحفه العجائب وطرفة الغرائب والجامع الكبير، واختصر كتاب

(١) كشف الظنون ج ٢ ص ١٣٨٠.

(٢) انصدر السابق.

الانساب للسمعاني^(١). وقد استعنت به في الرد على كل من (بروكلمان) و (فيليب حتي) في بعض الموضوعات:

- (١) أحقية معاوية في تولية يزيد.
- (٢) نفي التهم التي ألصقت بيزيد بن معاوية.
- (٣) نفي التهم التي ألصقت بعبد الملك بن مروان وابنيه الوليد وهشام.

ثالثاً - كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر

وهو مكون من سبعة مجلدات، الأول منها يحتوي على ٥٥٨ صفحة وهو المقدمة، وهي ذات موضوع خاص لاشتمالها على نصوص في أصول العمران والنظريات الفلسفية والسياسية وأضاف فيها العلوم، كما اشتملت المقدمة على أصول علم الاجتماع وطرق التربية بالنسبة للنشء، فانتقد فيها البدء بتعليم القرآن والاقتصار عليه لأن الأطفال في هذه الحالة يقرأون ولا يفهمون فلا تحصل لهم الملكة اللغوية.

ونعى فيها على الفلاسفة المتقدمين، اقتصارهم على دراسة العالم العلوي والذات الالهية، وقولهم بآراء لا يمكن فهم أن يبرهنوا عليها.

وقد ترجمت هذه المقدمة الى الفرنسية وغيرها من اللغات، وترجمها الى الفارسية الشيخ محمد بير زادة المتوفى سنة ١١٦٢هـ، وشرحها الشيخ أحمد المغربي المقرئ سنة ١٠٤١هـ^(٢) كما قام بتحقيقها السيد الدكتور علي عبد الواحد وافي في ثلاثة مجلدات.

ولابن خلدون منهج خاص في مقدمته هذه بالنسبة لعلم التاريخ، فقد جعل للبحث في الوقائع قواعد خاصة، فالوقائع التاريخية في منهج ابن خلدون التاريخي يرتبط بعضها ببعض ارتباط العلة بالمعلول، وبهذا جعل ابن خلدون علم التاريخ فرعاً من فروع الفلسفة، وجعل لمقدمته هذه موضوعاً خاصاً هو الحياة الاجتماعية، وما يتصل بها من حضارة مادية وعقلية، والتي رأى أنها تتطور من حال الى حال، كحال البداوة، وحال الأسرة الحاكمة أو القبيلة، وحال الدولة المتحضرة المستقرة في المدينة، وعلى ذلك بحث ابن خلدون في أصول العمران والملك والكسب والعلوم والصنائع المختلفة، فكان فذاً بين فلاسفة المسلمين مما جعله مؤسساً لفلسفة التاريخ.^(٣)

(١) الموسوعة العربية الميسرة ص ٩.

(٢) كشف الظنون ج ١ ص ١١٢٤.

(٣) الموسوعة العربية ص ١٤.

أما الأجزاء الستة الأخرى فهي في علم التاريخ، وكتاب العبروديان المبتدأ والخبر، ذو قيمة كبرى بين كتب التاريخ الاسلامي.

وكتب ابن خلدون عن التاريخ منذ بدء الخليقة حتى عصره ورتب كتابه حسب السنين ولم يلتزم فيه بتحقيق الروايات التاريخية كما اشترط ذلك لكتابة التاريخ في مقدمته، وقسم كتابه الى قسمين، (القسم الأول) يتكلم فيه عن أحوال العرب (والقسم الثاني) عن أخبار البربر بديار المغرب، وختم كتابه بالتعريف عن نفسه فعقد فصلا في ٧٦ صفحة بعنوان التعريف بابن خلدون.

أما مؤلف الكتاب فهو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المولود سنة ٧٣٢هـ الموافق ١٣٣٢م، والمتوفى سنة ٨٠٨هـ الموافق ١٤٠٦م.

مؤرخ اجتماعي، فيلسوف عربي مسلم، ينتهي نسبه الى وائل بن حجر من عرب اليمن، أقامت أسرته في تونس، حيث ولد ونشأ، وتعلم بها، وتنقل في بلاد العرب والأندلس، ثم أقام بتلمسان وشرع بها في تأليف تاريخه، ثم عاد الى تونس ومنها انتقل الى مصر واتصل بسلطانها برقوق، فولاه قضاء المالكية، حج الى مكة سنة ١٣٨٧م رافق جيش المماليك الذي أنفذ لصد زحف تيمورلنك، ثم انقطع بعد ذلك للتأليف في مصر وأتم كتابه (العبر).

وقد انتفعت به في الرد على كل من (بروكلمان) و (حتي) في بعض الموضوعات مثل:

- (١) تبرير موقف معاوية من تحويل الخلافة الى ملك.
- (٢) اثبات أن ما وضع من أخبار لهو الخلفاء في كتب الأدب إنما مبعثه هو انهماك الكتاب أنفسهم في الملذات المحرمة فوضعوها ليبرروا لأنفسهم سوء فعلهم.
- (٣) موقف الامام علي رضي الله عنه بجانب سيدنا عثمان رضي الله عنه في محنته.

رابعا — حضارة العرب

للمستشرق الفرنسي «جوستاف لوبون» في مجلد واحد مكون من ٦٥٩ صفحة وقد قسمه مؤلفه الى ستة أبواب كل باب منها يحتوي على عدد من الفصول.

كما يشتمل على عشر لوحات وأربع خرائط و ٣٣٦ صورة فوتوغرافية من تصوير المؤلف نفسه.

يهتم الكتاب بتاريخ العرب والمسلمين ولكن المهم فيه أن هذا الكتاب أعطى العرب والمسلمين حقهم من الانصاف، فاعترف بعقوبة الاسلام وشموخه، وأثره على معتنقيه، وانصف الحضارة الاسلامية، وأشاد بفضلها على الحضارة الأوروبية.

فبحث هذا الكتاب في جميع أحوال العرب والمسلمين من حيث الأصل والنسب والأرض والوطن، أي من حيث الجغرافيا والطبائع والنظم في المدن والأرياف في الحضر والبدو ووضع

نظمهم السياسية والاجتماعية، ومن حيث الاتصالات بين الشعوب الاسلامية التي حصلت أثر الفتح الاسلامي.

كما بحث في الاسلام وكيف انتشر حتى أضحي له تلك الدولة المترامية الأطراف، فاهتم الكتاب بالبحث في أحوال شعوب البلاد المفتوحة من جميع نواحيها الاجتماعية والسياسية، وأثرها على العرب وأثر العرب الفاتحين فيها.

وناقش الحضارة العربية، مصادرها ومناهجها، وأثرها على الشعوب والحضارات الأخرى، وأشاد بشمولها وبقائتها وخصص لها باباً قائماً بذاته وهو الباب الخامس من الكتاب، فعرض وبحث فيه جميع فروع الحضارة فتحدث عن اللغة والفلسفة والتاريخ، عن الرياضيات وعلم الفلك، عن العلوم والجغرافيا، عن الفيزياء وتطبيقاتها عن العلوم التطبيقية عند المسلمين، عن الفنون بجميع نواحيها من عمارة ونسيج، من نحت ونقوش وما الى ذلك.

تحدث عن تجارة العرب واتصالاتهم بالشعوب الأخرى وتمدينهم للمدن الأوروبية.

ثم خصص باباً آخر— وهو الباب السادس — عن أسباب انحطاط حضارة العرب في الشرق وكيف ورث الغرب حضارة الشرق.

ثم ختم الكتاب بفصل يصف فيه حال الاسلام الحاضر. وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات آخرها كانت سنة ١٩٦٩م في القاهرة، كما قام بترجمة هذه الطبعة من الفرنسية إلى العربية الأستاذ عادل زعيتير، وهذه التي اعتمدت عليها.

أما مؤلف الكتاب فهو المستشرق الفرنسي جوستاف لوبون، ولد سنة ١٨٤١ وتوفي سنة ١٩٣١م، وهو من علماء النفس والاجتماع، ألف عدداً من الكتب في علم النفس والاجتماع، وقد أفادني في الرد على (بروكلمان) و(حتي) في بعض الموضوعات مثل:

- (١) طبيعة الفتح الاسلامي وحسن معاملته لأهل البلاد المفتوحة.
- (٢) اثبات معرفة العرب بأمور البحر، وان عرب الشام هم سادة البحر الأبيض.
- (٣) أصالة اللغة العربية وعمقها الحضاري.

خامساً — الدعوة الى الاسلام

للمستشرق الانجليزي السير توماس ارنلد، وهو مقسم الى ثلاثة عشر باباً وعدد صفحاته ٥٢١ مع الفهارس، ويتميز الكتاب بالبحث عن تاريخ نشر العقيدة الاسلامية كما اتصف بالانصاف للاسلام والمسلمين.

الباب الأول اختص بالتعريف عن الدين الاسلامي وأساليب انتشاره .
والباب الثاني دراسة مستوفية عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره داعية الى الاسلام .

وخصص عشرة أبواب منه لكيفية انتشار الاسلام بين شعوب العالم، فقسم العالم الاسلامي الى عشر مناطق، وخص كل منطقة من العالم بباب خاص .

أما الباب الأخير وهو الثالث عشر، فعقده عن دعاة المسلمين، وأشار فيه الى وجوب وجود هيئة منظمة للدعوة الى الاسلام وبين فيه المهمة الملقة على عاتق الأفراد وعوامل نجاحهم .

وطبع في لندن سنة ١٨٩٦م وهو أول طبعاته، ثم ترجم الى العربية والتركية والاردية^(١) . وقد ترجمه الى العربية وعلق عليه الدكتور حسن ابراهيم حسن، والدكتور عبد المجيد عابدين، والأستاذ اسماعيل النحراوي، كما قام بمراجعة الترجمة الأستاذ مصطفى السقا .

وقد طبعت النسخة المترجمة ثلاث مرات في القاهرة، الأولى كانت سنة ١٩٤٧م والثانية ١٩٥٧، أما الثالثة والأخيرة والتي اعتمدت عليها في سنة ١٩٧٠م .

أما مؤلف الكتاب فهو السير توماس ارنلد ولد سنة ١٨٦٤م وتوفي سنة ١٩٣٠م مستشرق انجليزي، تعلم في كمبردج وعمل استاذاً للفلسفة بجامعة عليكرة بالهند كان أول استاذ في قسم الدراسات العربية بمدرسة اللغات الشرقية بلندن، تتسم كتاباته عن بعض قضايا التاريخ الاسلامي بالحياد والانصاف .

من أهم آثاره كتابنا الذي نحن بصددده وهو الدعوة الى الاسلام، وكتاب الخلافة الذي طبع بأكسفورد عام ١٩٢٤م . وقد أفادني كتابه الدعوة الى الاسلام في الرد على (بروكلمان وحتى) في بعض الموضوعات مثل:

- (١) في الرد على من حاول الصاق الشبه حول حقيقة النبوة .
- (٢) طبيعة الفتح الاسلامي وان الفاتحين ليس لهم أطماع في الفتح غير نشر الدعوة الاسلامية .
- (٣) اثبات أن معظم الشعوب المفتوحة دخلت الاسلام، رغبة فيه وهروباً من الأوضاع غير المستقرة بالنسبة للكنيسة وللحكومات السابقة للفتح الاسلامي .



(١) الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٥ .

الختام

عندما كلفت بهذا الموضوع، موضوع (دراسة نقدية لآراء «فيليب حتي» و «كارل بروكلمان»)، قرأت كتاب «تاريخ العرب المطول» لفيليب حتي وقرأت كتاب «تاريخ الشعوب الإسلامية» لكارل بروكلمان، فوجدت في كلا الكتابين قضايا وموضوعات وقفت أمامها أفكر كيف صدرت هذه الأفكار والقضايا من عالين كبيرين يشار إليهما بالبنان في مجال الكتابات التاريخية؟

وجدت هجوماً غير كريم على المقدسات الإسلامية، وأكاذيب موضوعة تمس عقيدة المسلمين كما تمس شخصية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، واتهامات شائنة لكبار الصحابة في صدر الإسلام، ثم تتبعهما للروايات المزيفة ومقالات أصحاب الأهواء، ليتخذ كل منهما دليلاً من هذه الروايات المتهافة على صحة وجهة نظره.

ثم تابعت القراءة في أمهات الكتب التاريخية فاتضح لي مدى ما يكنه كل من بروكلمان وفيليب حتي من حقد على الإسلام ورجاله.

ولقد ساعدتني المعلومات التي حصلت عليها من قراءتي لمصادر التاريخ الإسلامي، ولما نعلمه من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ساعدتني هذه المعلومات على رد هذه الافتراءات بما تحتاجه كل فرقة من الرد عليها سواء من القرآن الكريم — حين أجد التعرض والهجوم على القرآن الكريم — ومن الحديث النبوي حين أحس بأن الهدف هو الطعن في أحاديث رسول الله، وبالمنطق والعقل والحجة حين أحس بانحراف عن المعقول في كتابة هذين الرجلين.

ولقد اسعفتني وقوى حجتي في الرد على كثير من الرميات التي وجهها كل منهما إلى الإسلام ورجاله ساعدني بعض المستشرقين الذين لم تجرفهم تيارات العصبية ولم تأخذهم حمى البغض للإسلام، فكتبوا ما أعانني على الرد بآرائهم على اخوانهم في الملة والدين.

وأخذت أبحث في كتابات المحدثين ومؤلفات المعاصرين لأجد فيها ما يطمئنني على صحة ردودي وسلامة موقفني أمام هذه الضلالات والافتراءات.. فوجدت في كتب القدامى تصحيحاً لبعض القضايا التي اعتمد كل من فيليب حتي وكارل بروكلمان على نشرها وإذاعتها.

وجدت ابن خلدون في مقدمة يصحح الآراء الفاسدة التي عنى بها خصوم الإسلام وشوهوا الحقيقة التي كان ينبغي أن يعرفوها، وكذلك وجدت في كتاب (العواصم من القواصم) لابن العربي ما استطعت به أن أرد كيد هؤلاء الناس وأمثالهم في نحورهم.

وكذلك شد من أزرى وأنار الطريق أمامي عدد من فضلاء الكتاب والمؤرخين المعاصرين أمثال فضيلة الاستاذ الشيخ محمد الغزالي في كتبه دفاع عن العقيدة والشرعية ضد مزاعم المستشرقين، التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام وكتاب مع الله .

وكذلك فضيلة الدكتور الشيخ ابراهيم شعوط في كتابه «أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ» .
والأستاذ أحمد محمد جمال في كتابه «مفتريات على الاسلام» .

وفي أثناء معاشتي لهذه القضايا، وقع في يدي ما انتجه فريق من الكتاب المعاصرين الذين درسوا في مدارس المستشرقين، فراعني ما وجدت في هذه الكتب التي تحمل أسماء أساتذة كبار وتدرس في الجامعات العربية والاسلامية .

راعني أن ما وجدته من الانحراف في الفكر والتجني على الاسلام، انهم تأثروا بما كتبه كل من فيليب حتي وكارل بروكلمان من قضايا ظهر فيها الحقد والمكر السيئ بالاسلام والمسلمين .

ثم أدركت أن ما أراده بروكلمان وفيليب حتي من الخط من شأن الاسلام وبليلة أفكار الشباب المسلم لا يساوي شيئاً بجانب ما أحدثته كتب ومؤلفات هؤلاء الأساتذة المسلمين الذين صارت لهم الهيمنة الفكرية على عقول الشباب في الجامعات والمدارس الاسلامية .

وخرجت من بحثي هذا بهذا الجهد المتواضع الذي حاولت أن أجعل منه مشاعل على الطريق لمن يريد السلامة في مسيرة التاريخ .

وأعتبر أن بحثي هذا محاولة للدفاع عن الاسلام، وتصحيح بعض القضايا التي تعمد خصوم الاسلام أن يضعوها بارزة أمام عيون الشباب المسلم، واعتبره احدى اللبئات الأولى التي أرجو أن يكتمل البناء عليها بجهد الباحثين الذين أرجو أن يرزقهم الله التوفيق والسداد بما ينتجون من آراء وكتب تمتلئ بها عقول الشباب وعيونهم وتحل محل ما كتبه هؤلاء الذين نهجوا نهج أساتذتهم من المستشرقين .

والله وحده المستعان والمرجوف في كل نائبة انه نعم المولى ونعم النصير . .



قائمة بأسماء المصادر والمراجع

(مرتبة ترتيباً هجائياً — بالنسبة لشهرة المؤلف)

قائمة بأسماء المخطوطات:

- (١) الضباع: محمد بن أحمد
تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام
رقم الايداع ٦٨ بمكتبة الحرم المكي
- (٢) الظاهري: أبو محمد علي بن أحمد
أسماء الصحابة والرواة
رقم العدد
رقم الايداع ٢٥٤ دار الكتب المصرية
ت ٤٥٦ هـ
- (٣) العجمي: علي بن حسن
تاريخ مكة والمدينة والطائف
رقم الايداع ٦١ مكتبة الحرم المكي.
- (٤) محب الدين: عبد الكريم الحنفي
اعلام العلماء الاعلام ببناء المسجد الحرام
رقم الايداع ٩٣ مكتبة الحرم المكي
- (٥) الهيثمي: أحمد بن حجر
تطهير الجنان واللسان عن الخطورة
بالتفوة بمثالب معاوية بن أبي سفيان.
رقم الايداع ٢٥٠ مكتبة جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة.
ت ٦٧٤ هـ

أسماء المصادر والمراجع:

- (١) القرآن الكريم
- (٢) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحلیم
ت ٧٢٨هـ
الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.
القاهرة ١٣٧٩
- (٣) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحلیم
منهاج السنة — القاهرة ١٣٢١
- (٤) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي
ابن محمد بن عبد الكريم، الجزري الشيباني
ت ٦٣٠هـ
أسد الغابة في معرفة الصحابة دار الشعب — القاهرة
- (٥) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي
ابن محمد بن عبد الكريم، الجزري
الشيباني ت ٦٣٠هـ
الكامل في التاريخ — بيروت ١٣٨٦
- (٦) ابن الجوزي: جمال الدين
عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي
ابن جعفر. ت ٥٩٧هـ
تلقيح فهم أهل الأثر في عيون التاريخ
والسير — القاهرة ١٩٧٥م
- (٧) ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي
ت ٨٥٢هـ
تهذيب التهذيب — بيروت ١٩٦٨
- (٨) ابن حجر العسقلاني
لسان الميزان — الهند ١٣٣١هـ
- (٩) ابن حجر العسقلاني
الاصابة في تمييز الصحابة دار الفكر — بيروت

- (١٠) ابن الخطيب: محمد محمد
عبد اللطيف
حقائق ثابتة في الاسلام القاهرة ١٣٩٤
- (١١) ابن خلكان: أبو العباس شمس
الدين أحمد بن محمد ت ٦٨١
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان
دار صادر — بيروت
- (١٢) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد
ابن خلدون الحضرمي المغربي
ت ٨٠٨ هـ
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر
بيروت ١٣٩١
- (١٣) ابن سعد: محمد بن منيع الزهري
ت ٢٣٠ هـ
الطبقات الكبرى بيروت ١٣٨٠
- (١٤) ابن عبد الحكم: عبد الرحمن بن
عبد الله — ت ٢٥٧ هـ
فتح مصر ليدن ١٩٢٠
- (١٥) ابن عبد البر: عمر يوسف بن
عبد الله ت ٤٦٣ هـ
الاستيعاب دار الفكر — بيروت
- (١٦) ابن عبد ربه: أحمد بن محمد
الاندلسي — ت ٣٢٨ هـ
العقد الفريد دار الشرق — بيروت
- (١٧) ابن عبد الوهاب: محمد ت ١٢٠٦ هـ
مختصر سيرة الرسول — القاهرة ١٣٧٩
- (١٨) ابن العربي: أبو بكر ت ٥٤٣ هـ
العواصم من القواصم القاهرة ١٣٨٧
- (١٩) ابن قتيبة: أبو محمد بن عبد الله ابن
مسلم الدينوري ت ٢٧٦ هـ
الامامة والسياسة القاهرة ١٣٨٨
- (٢٠) ابن القيم: شمس الدين أبو عبد الله
محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية
ت ٧٥١ هـ
أحكام أهل الذمة في الاسلام دمشق ١٣٨١
- (٢١) ابن كثير: أبو الفداء اسماعيل
ت ٧٧٤ هـ
تفسير ابن كثير دار الفكر — بيروت

- (٢٢) ابن كثير: ابو الفداء اسماعيل
ت ٧٧٤هـ
البداية والنهاية بيروت ١٩٧٤
- (٢٣) ابن ماجه: ابو عبد الله محمد بن يزيد
سنن ابن ماجه بيروت ١٣٧٢
- (٢٤) ابن الوردي: زين الدين عمر بن
مظفر أبو الفوارس الكنوي
ت ٧٤٩هـ
تتمة المختصر في اخبار البشر القاهرة ١٣٨٩
- (٢٥) ابن هشام: أبو محمد عبد الملك
ت ٢١٣هـ
السيرة النبوية القاهرة ١٩٧٥
- (٢٦) ابو اسحاق: الشيرازي الشافعي
طبقات الفقهاء بيروت
- (٢٧) ابو حبان: محمد بن يوسف
ت ٧٥٤هـ
البحر المحيط بيروت ١٣٩٨
- (٢٨) أبو رابية: عبد الخالق سيد
جولة مع المستشرقين القاهرة ١٣٩٦
- (٢٩) ابوريه: محمد
أضواء على السنة القاهرة ١٣٧٧
- (٣٠) أبو زهرة: محمد محمد
الحديث والمحدثون القاهرة ١٣٧٨
- (٣١) أبو السعود: العمادي الحنفي ت
٩٨٢
ن محمد
تفسير أبو السعود مطبعة السعادة — القاهرة
- (٣٢) أبو الفرج: علي بن الحسين
الأصفهاني ت ٣٥٦هـ
الأغاني مصر — بدون
- (٣٣) أبو الفضل: ابن منظور
لسان العرب بيروت ١٩٦٨

- (٣٤) أبو يوسف: يعقوب بن ابراهيم
ت ١٨٢
- (٣٥) الباشا: حسن
دراسات في تاريخ الدولة العباسية
القاهرة ١٩٧٥
- (٣٦) آربرى: د. أ. ج
المستشرقون البريطانيون لندن ١٩٤٦
- (٣٧) ارنست
تركيا الفتاة بيروت ١٩٦٠
- (٣٨) ارنولد: توماس
الدعوة الى الاسلام القاهرة ١٩٧٠
- (٣٩) انطيوخس: جورج
يقظة العرب القاهرة ١٩٦٩
- (٤٠) البخاري: أبو عبد الله بن محمد بن
اسحاق ت ٢٥٦هـ
- (٤١) بروكلمان: كارل
تاريخ الشعوب بيروت ١٩٧٤
- (٤٢) البستاني: بطرس
دائرة معارف البستاني دارالمعارف —
بيروت
- (٤٣) البغوى: ابو محمد الحسين الفرا
ت ٥١٦هـ
- (٤٤) البغدادي: مطير حسان
الدولة العربية القاهرة ١٩٦٧
- (٤٥) البلاذري: ابو الحسن أحمد بن يحيى
ت ٢٧٩هـ
- (٤٦) البلاذري
انساب الاشراف القاهرة ١٩٥٩

- (٤٧) البهى: نجيب محمد - مقال (البيئة
التي نشأ فيها الشعر الجاهلي وتياراته
الكبرى)
- (٤٨) ترتون: أ. س. ترتون
أهل الذمة في الاسلام
- (٤٩) ترمذى: ابو عبس محمد بن عبس
سنن الترمذي القاهرة ١٩٦٥
- (٥٠) تغرى بردى: جمال الدين أبو المحاسن
ت ٨٧٤
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة
المؤسسة العامة للتأليف والترجمة القاهرة
- (٥١) الجاحظ: أبو عثمان عمر بن بحر
ت ٢٥٥
التاج في أخلاق الملوك القاهرة ١٣٢٢
- (٥٢) جرمود: عبد الجبار
هارون الرشيد بيروت ١٣٧٦
- (٥٣) جصاص: ابوبكر محمد بن الرازي
ت ٣٧٠ هـ
أحكام القرآن دار الفكر - بيروت
- (٥٤) جمال: احمد محمد
مفتريات على الاسلام القاهرة ١٣٩٥
- (٥٥) جمعة: سعد
مجتمع الكراهية دار الكتاب العربي -
بيروت
- (٥٦) الجهشبارى: ابو عبد الله محمد ابن
عبدوس ت ٣٣١ هـ
الوزراء والكتاب القاهرة ١٣٥٧
- (٥٧) حاجى خليفة: مصطفى عبد الله
ت ١٠٦٨ هـ
كشف الظنون مكتبة المتنى - بغداد

- (٥٨) حتي: فيليب تاريخ العرب المطول القاهرة ١٩٤٩
- (٥٩) حتي: فيليب خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى بيروت ١٩٧٥
- (٦٠) حسن: حسن ابراهيم تاريخ الاسلام السياسي
- (٦١) حسن: علي ابراهيم التاريخ الاسلامي العام القاهرة ١٩٦٣
- (٦٢) حسين: طه على هامش السيرة الطبعة ٢ القاهرة
- (٦٣) الحلبي: علي بن برهان السيرة الحلبية (سيرة الأمين والمأمون) دارالفكر- بيروت
- (٦٤) الحماني: أحمد مجلة جوهر مقال الاسلام
- (٦٥) الحموى: شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت الرومي ت ٦٢٦ معجم البلدان بيروت ١٩٥٧
- (٦٦) الخازن: علاء الدين علي بن محمد ابن ابراهيم ت ٧٤١ هـ تفسير الخازن دارالفكر- بيروت
- (٦٧) الخالدي: محمد التبشير والاستعمار بيروت
- (٦٨) الخربوطلي: علي حسني الدولة العربية الاسلامية القاهرة ١٩٦٠
- (٦٩) الحضري: محمد بك تاريخ التشريع بيروت ١٣٨٧
- (٧٠) الحضري: محمد بك تاريخ الأمم الاسلامية (الدولة الأموية) القاهرة ١٣٦٩
- (٧١) الرفاعي: أحمد فريد عصر المأمون القاهرة ١٢٤٦

- (٧٢) الارزقى: ابو الوليد محمد بن عبد الله
ت ٢٥٠
أخبار مكة القاهرة ١٣٥٢
- (٧٣) الزركشى: بدر الدين محمد بن
عبد الله ت ٧٩٤
البرهان في علوم القرآن القاهرة ١٣٧٦
- (٧٤) الزركلى: خير الدين
الاعلام بيروت ١٣٨٩
- (٧٥) زكريا: هاشم زكريا
المستشرقون والاسلام القاهرة ١٣٨٥
- (٧٦) الزمخشري: ابو القاسم جارا الله محمود
ابن عمر ت ٥٣٨
تفسير الكشاف دار الفكر - بيروت
- (٧٧) زيدان: جورجى
العرب قبل الاسلام دار الهلال القاهرة
- (٧٨) سالم: عبد العزيز
تاريخ العرب قبل الاسلام الاسكندرية
١٣٩٣
- (٧٩) السباعي: مصطفى
المستشرقون والاستشراق الكويت ١٣٨٧
- (٨٠) سرور: جمال الدين
الحياة السياسية في الدولة العربية بيروت
١٩٧٣
- (٨١) سيدبو: ل. أ. سيدبو
تاريخ العرب العام القاهرة ١٣٨٦
- (٨٢) السيوطى: جلال الدين ت ٩١١ هـ
الاتقان في علوم القرآن دار الفكر - بيروت
- (٨٣) السيوطى: " " "
اعجاز القرآن دار الفكر - بيروت
- (٨٤) شعوط: ابراهيم علي
أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ القاهرة
١٣٩٦

- | | | |
|------|---|---|
| (٨٥) | شعوط: مقال (مفاهيم خاطئة في تاريخ العرب في الجاهلية). | العدد الأول من مقال مجلة جامعة الملك عبد العزيز جدة ١٣٩٥ |
| (٨٦) | الشهرستاني: أبو الفتح محمد ابن عبد الكريم ت ٥٤٨ هـ | الملل والنحل القاهرة ١٣٨٧ |
| (٨٧) | الأصبهاني: ابونعيم احمد ابن عبد الله ت ٤٣٠ هـ | حلية الأوليا وطبقات الأصفيا القاهرة ١٣٩٤ |
| (٨٨) | الصواف: محمد محمود | المخططات الاستعمارية لمكافحة الاستعمار — الطبعة الأولى |
| (٨٩) | الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن ت ٥٤٨ هـ | مجمع البيان بيروت ١٣٨٠ |
| (٩٠) | الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ | جامع البيان في تفسير القرآن القاهرة ١٣٧٣ |
| (٩١) | الطبري " " " | تاريخ الطبري دار المعارف — القاهرة |
| (٩٢) | طلس: أسعد | عصر الازدهار بيروت ١٩٦٠ |
| (٩٣) | الظماوى: سليمان | عمر بن الخطاب وأصول السياسة والادارة بيروت ١٩٦٩ |
| (٩٤) | الظهطاوي: محمد عزت اسماعيل | التبشير والاستشراق |
| (٩٥) | الظهطاوي: محمد عزت اسماعيل | محمد نبي الاسلام في التوراة والانجيل والقرآن القاهرة ١٩٧٢ |
| (٩٦) | العامري: عماد الدين يحيى ابن ابي بكر | بهجة المحافل دارصادر — بيروت |

مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة عدد مايو
١٩٥٢

(٩٧) العبادى:عبد الحميد- مقال
«أحابيش مكة هل كانوا عرباً أم
أحباشاً؟»

مقال (البحر الأحمر كطريق تجارى في عهد
البيزنطيين والعرب والمماليك)
القاهرة ١٣٥٨

(٩٨) عثمان: حسن

خالد بن الوليد القاهرة ١٣٧٨

(٩٩) عرجون: صادق

سحط النجوم العوالى المكتبة السلفية القاهرة

(١٠٠) العصامي: عبد الملك بن حسين ابن
عبد الملك ت ١١١١هـ

عبقريه محمد دار الكتاب- بيروت

(١٠١) العقاد: عباس محمود

ما يقال عن الاسلام دار الكتاب - بيروت

(١٠٢) العقاد: عباس محمود

الفصل في تاريخ العرب بيروت ١٩٦٨

(١٠٣) على: جواد

المستشرقون القاهرة ١٩٦٤

(١٠٤) العقيقي: نجيب

مختصر تاريخ العرب بيروت ١٩٦٧

(١٠٥) على: سيد أمير

تراجم اسلامية القاهرة ١٣٩٠

(١٠٦) عنان: محمد عبد الله

الموسوعة العربية الميسرة بيروت ١٩٦٥

(١٠٧) غربال: محمد شفيق

مع الله القاهرة ١٩٥٩

(١٠٨) الغزالي: محمد

التعصب والنساخ بين المسيحية والاسلام
القاهرة ١٩٦٥

(١٠٩) الغزالي: محمد

دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مزاعم
المتشركين القاهرة ١٣٩٥

(١١٠) الغزالي : محمد

لب التاريخ القاهرة

(١١١) غنيم: محمد علي

تاريخ الدولة الاسلامية وتشريعها
بيروت ١٩٦٦

(١١٢) غياته: يوجينا

الأحكام السلطانية القاهرة ١٣٨٦

(١١٣) الفراء: محمد بن الحسين ت ٤٥٨ هـ

مجلة محاضرات الجامعة الاسلامية لموسم
٩٤/٩٣

(١١٤) القارى: عبد العزيز
مقال (المستشرقون في الاسلام)

الجامع اللطيف ١٣٩٢

(١١٥) القرشى: جمال الدين محمد جار الله
ابن محمد نور الدين بن ابي بكر ابن
ظهير القرشى

الجامع الأحكام القرآن بيروت ١٣٨٧

(١١٦) القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد
ت ٦٧١

في ظلال القرآن بيروت ١٣٨٦

(١١٧) قطب: سيد

مآثر الانافة في معالم الخلافة الكويت
١٩٦٤

(١١٨) القلقشندى: أحمد بن عبد الله
ت ١٤١٨

عصر هشام بن عبد الملك بغداد ١٩٧٥

(١١٩) الكبيسي: عبد المجيد

فوات الوفيات بيروت ١٩٧٣

(١٢٠) الكتبي: محمد بن شاکرت ٧٦٤

حضارة العرب القاهرة ١٩٦٩

(١٢١) لوبون: جستاف

- (١٢٢) ماجد: عبد المنعم
التاريخ السياسي للدولة العربية
القاهرة ١٩٦٥
- (١٢٣) الماوردي: علي بن حبيب ت ٤٥٠ هـ
الاحكام السلطانية القاهرة ١٣٨٦
- (١٢٤) ميخائيل: بشرى زخارى
محمد رسول الله هكذا بشرت به الأناجيل
القاهرة ١٩٧٢
- (١٢٥) المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين
ت ٣٤٦
مروج الذهب بيروت ١٣٩٣
- (١٢٦) مسلم: الامام ابو الحسن مسلم ابن
الحجاج النيسابورى ت ٢٦١
صحیح مسلم دار الفكر - بيروت
- (١٢٧) مصطفى: شاكر
دولة بني العباس القاهرة ١٩٧٣
- (١٢٨) مصطفى: عاطف - مقال
(المستشرقون في الاسلام)
مجلة الدارة العدد الثاني والثالث من السنة
الثالثة
- (١٢٩) المقدسي: ابو عبد الله محمد بن أحمد
ت ٣٨٠
أحسن التقاسيم ابريل ١٩٠٦
- (١٣٠) المقدسي: مطهر بن ظاهر ت ٣٥٥
البدء والتاريخ القاهرة ١٩١٦
- (١٣١) المقرئ: تقي الدين احمد بن علي
ت ٨٤٥
المواعظ والآثار بذكر الخطط والآثار القاهرة
١٩٥٩
- (١٣٢) المليباري: محمد عبد الله
مجلة المؤتمر الأول - مقال للأدباء
السعوديين
- (١٣٣) المودودي: أبو الأعلى
تفسير سورة النور دار الفكر - بيروت

(١٣٤) النجار: عبد الوهاب

الخلفاء الراشدون القاهرة ١٩٦٠

(١٣٥) النمر: عبد المنعم

الاسلام في الهند القاهرة ١٣٧٨

(١٣٦) هيكل: محمد حسين

الفاروق عمر القاهرة ١٩٦٣

(١٣٧) هيكل: محمد حسين

حياة محمد القاهرة ١٩٦٥

(١٣٨) الواقدي: محمد بن عمر ت ٢٠٧

فتوح الشام مطبعة المشهد الحسيني —
القاهرة

(١٣٩) ولهاوزن: يوليوس

الدولة العربية وسقوطها دمشق ١٩٥٦

(١٤٠) الباقي: صالح المدهون

تنبيه الانام الى تاريخ الاسلام



1. Draycott: G.M. Mohamet Founder of Islam - London 1916.
2. Smith: R. Bosuiath, Mohommedan Mahmedanism, 1889.



فهرسالموضوعات

الموضوع	الصفحة
— إهداء	٩
— المقدمة	١١
— «تمهيد» المستشرقون	١٥
القسم الأول	٣١ — ٨٨
— الفصل الأول : بعض آراء فيليب حتي في عصر النبوة والرد عليها	٣٣
١) الشعب العربي يأكل العقارب والخنافس	٣٣
٢) زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش	٣٧
٣) الإسلام يسترجع قواه بعد غزوة أحد	٤٢
٤) لم يكن للرسول معجزة غير القرآن	٤٥
— الفصل الثاني : بعض آراء فيليب حتي في عصر الراشدين والرد عليها	٤٧
١) خلافة أبي بكر كانت نتيجة اتفاق مسبق بينه وبين عمر وأبي عبيدة	٤٧
٢) كان دستور عمر عسكرياً اشتراكياً قوامه العروبة	٥٠
٣) لم يدفع العرب للفتح سوى الفقر والجوع	٥٣
٤) أهم ما يعرضه العرب على أهل البلاد المفتوحة هو الجزية	٥٥
٥) أهل البلاد المفتوحة لم يدخلوا الإسلام إلا خلاصاً من الجزية	٥٨
٦) علي في المدينة ينافس طلحة والزبير — أم المؤمنين تنضم إلى مقاومي علي لبغض في نفسها نتيجة حديث الإفك	٦١
— الفصل الثالث : بعض آراء فيليب حتي في عصر بني أمية وبني العباس والرد عليها	٦٩
١) معاوية يحمل الحسن على التنازل	٦٩
٢) معاوية يجعل الخلافة ملكاً عضوضاً	٧١
٣) عبد الملك يحاول صرف الحجاج إلى بيت المقدس	٧٦
٤) اتهام عبد الملك وولديه الوليد وهشام بشرب الخمر	٧٨
٥) لم يكن في الاسطول الإسلامي في عهد معاوية جند من العرب — أعراب الحجاز يجهلون أمور البحر	٧٩
٦) ارجاع سبب نكبة البرامكة إلى زواج جعفر البرمكي من العباسية — الزواج	
الصوري	٨٥

القسم الثاني ٨٩ — ١٣١

— الفصل الأول : بعض آراء كارل بروكلمان في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم

- وإرد عليها ٩١
- (١) الحجر الأسود من أقدم أوثان مكة ٩١
- (٢) الرسوف يعترف بأنغرائيق العلي ٩٥
- (٣) الرسول ظن أنه مدعو للرسالة ١٠٠
- (٤) لم تكن الدقة والتماسك الفكري أقوى جوانب القرآن وعالم الرسول الفكري
- انبثق من اليهودية والنصرانية ١٠٤
- (٥) بعد أن قطع الرسول الرجاء في اليهود في المدينة أدخل العبادات الإسلامية الصيام والصلاة ١٠٥
- (٦) القرآن لم يعد النساء بالتمتع بمباهج الجنة ١٠٨

— الفصل الثاني : بعض آراء بروكلمان في عصر الخلفاء الراشدين والرد عليها ١١١

- (١) الدوافع الدينية لم تكن مسؤولة عن حركة الارتداد ١١١
- (٢) خالد يقتل مالكا بن نويرة وهو مسلم طمعا في زوجته ١١٥
- (٣) أرستقراطية عثمان تكمل شخصيته وضعفها سبب في توليته الخلافة ١٢٠
- الفصل الثالث : بعض آراء بروكلمان في عصر بني أمية وبني العباس والرد عليها ١٢٣

- (١) المغيرة بن شعبة رجل لا ذمة له ولا زمام ١٢٣
- (٢) ابن عباس وبيت مال البصرة .. ابن عباس يضع الحديث من خياله ١٢٥
- (٣) سبب الخلاف الأخير بين هارون الرشيد وجعفر البرمكي حادثة غرامية ١٣١

القسم الثالث ١٣٣ — ١٤٧

- أ) مقارنة بين طريقة كل من المؤلفين في تصوير هذه الآراء والافتراءات وتديريها ١٣٣
- ب) واجب رجال التاريخ إزاء هذه الآراء ١٤٠
- ج) بعض الكتب التي تأثرت بآراء وافتراءات بعض المستشرقين ١٤٢
- * تعريف مبسط بأهم المراجع التي اعتمد عليها المؤلف ١٤٩
- * الخاتمة ١٥٧
- * قائمة بأسماء المصادر والمراجع ١٥٩

